



حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

عباس محمد العفاد

« طبعة جديدة منقحة ومراجعة »



المعنى: حقائق الإسلام وأبطال خصومه.

المؤلف: عباس محمود العقاد .

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .

تاريخ النشر: الطبعة الرابعة - يونيو 2005 م .

رقم الإيداع: 2003/ 16080

التقديم الدولي: ISBN 977-14-2410-6

الإدارة العامة للنشر: 21 في Avenue Marabout - المهنج - الجزائر
ت: 021 3472844 - 021 3462576 فاكس: 021 3462576 - ص ب: 21 إحياء
البريد الإلكتروني لإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisk.com

الطبع: 80 النسخة المتناغية الرابطة - طبعة السادس من أكتوبر
ت: 021 3530247 - 021 3530289 - فاكس: 021 3530296
البريد الإلكتروني للطبع: press@nahdetmisk.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كادل مدني - الدجالة -
الغافرة - ت: 021 3530289 - 021 3530296 فاكس:
ت: 021 3530289 - 021 3530296 فاكس:

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 0800222622
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales@nahdetmisk.com

مركز التوزيع والإستراتيجية: 408 طريق الحرية (رئيسي)
ت: 021 3530289

مركز التوزيع بالمسورة: 47 شارع سيد السبيل - عمارك
ت: 021 3530289

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisk.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسرة أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)
وتتبع بالمثل الخصومات مسبقاً موقع البيع
www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي مسبق من الناشر.

تقديم

بقلم أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد .

أما بعد ، فقد طال التصدي للأديان ، بقصد النيل منها ، وبغير قصد ، واستمرأ الكثيرون التخفف من أحكامها ، بدعوى بدعوتها وبغير دعوى ، وهان على بعض الهيئات أن تشكك فيما فرغ منه العلم ، وحار بين هؤلاء وهؤلاء كثيرون حتى أصبح أمر الدين شكاً وتظنيماً . وهذه ظاهرة من شأنها أن تشغل بال المؤتمر الإسلامي ، وتبلغ من عنايته واهتمامه مبلغاً بعيداً .

حدث هذا بدعوى حرية الفكر ، وحرية البحث . وما درى هؤلاء جميعاً أن حرية الفكر والنظر تتطلب غزارة معرفة ، واتساع أفق ، وعمق بحث ، وسلامة منطق ، ونصوع حجة ، وإيمان قلب ، وإنصاف رأي ، واستقامة مذهب ، وتنزهاً عن الهوى .

ولما كان محل اتفاق أن الأستاذ عباس محمود العقاد موفور النصيب من هذا كله ، كان طبيعياً أن يتجه التفكير إليه ، وكان طبيعياً أن يرتاح هو إلى هذا الاتجاه ، لما أخذ نفسه به من مؤازرة الحق وتأيينه ، ومقاومة الباطل وتقنيده .

وها هو ذا كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» يخرج المؤتمر الإسلامي لكل نعتي بالثقافة ، راغب في تمييز الحق من الباطل ، راجح أن يقف على أصول الإسلام ومبادئه ، ليحقق به المؤتمر غرضاً من أغراضه : هو نشر الثقافة الدينية خالصة عما يشوبها من شبهات ، ويعلق بها من ريب .

هذا ، والنية أن يترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ، واللغات الآسيوية ؛ ليعم
نفعه ، وليكون له الأثر المرجو .

والله سبحانه هو المستعان ، وهو ولينا ، وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

تحريراً في ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ م .

أنور السادات

السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي

فاتحة

بسم الله ، وعلى هدى من الإيمان بالله .

وبعد ، فهذا كتاب عن فضائل الإسلام وأباطيل خصومه ، يتقاضانا التمهيد له أن نقدم بين يديه بكلمة موجزة عن فضل الدين كله ، أو فضل العقيدة الدينية في أساسها ؛ إذ لا محل للكلام على فضل دين من الأديان ما لم يكن أمر الدين كله حقيقة مقررة أو ضرورة واضحة ، ولا معنى كذلك لأن نقصر الخطاب على المؤمنين المصدقين ولا نشمل به المتشككين والمتردددين ، بل المنكرين والمعطلين ؛ لأن المتشكك والمعطل أولى بتوجيه هذا الخطاب من المؤمن المصدق ، ولا فضل لدين على دين ما لم يكن للدين كله فضل مطلوب تتفاوت فيه العقائد كما تتفاوت فيه من يعتقلون ومن لا يعتقلون .

هل للدين حقيقة قائمة ؟

هل للدين ضرورة لازمة ؟

سؤالان متشابهان ، بل سؤال واحد في صورتين مختلفتين ، ولسنا نزعم أن الصفحات القليلة التي نقدم بها هذا الكتاب كافية للإجابة عن هذا السؤال الذي يجاب عنه كل يوم بما يتسع بعد الجواب الواحد لألف جواب . ولكننا نزعم أن هذه الكلمة الموجزة كافية لموضعها المقدور من هذا الكتاب ؛ لأنها تكفى لهذا الموضع إذا تركت شكوك المتردددين والشكرين مضعوفة الأثر منقوضة الأساس ، وتكفى لموضعها إذا تركت من يشك ويتردد وقد أحس الزمن في بواعث شكه وأسباب تردده ، وبحث عن جانب الحقيقة فيها فلم يجده ، أو بحث عنها فوجدها في الجانب الآخر أقرب إلى العقل والبداهة ، وأجدر بالانجاء في وجهتها إلى نهاية المطاف .

وتعني في بداءة الطريق نحب أن نصحب القارئ على بصيرة من الباب الذي
تستفتح به طريق البحوث في هذا الكتاب ، بل نستفتح به الطريق في كل بحث
تشعبت حوله المسالك واضطربت عنده الآراء . وبإينا هذا قبل كل طريق من تلك
الطرق أن نسأل : إذا كان هذا الأمر غير حسن فما هو الحسن ؟ ثم هذا الذي
نستحسنه كيف يكون ؟ وأي الأمرين إذن هو الأقرب إلى العقل أو الأيسر في
التصور ؟ فإن كان ما نستحسنه هو الأقرب إلى عقولنا والأيسر عندنا في الإمكان
فقد حق لنا أن نفضله ونتكر ما عداه ، وإن عرفنا بعد المقابلة بينهما أن الذي ننكره
أقرب إلى العقل والإمكان من الذي نستحسنه - فقد وجبت علينا مراجعة التفكير
ووجب في رأينا ، قبل رأي غيرنا ، أن نصطنع الأناة ونتردد في الجزم والتفضيل .



وتبدأ الآن من البداءة في هذه الغائجة فنقول : إن أكبر الشبهات التي نعترض
عقول المتشككين والمنكرين شبهتان هما : شبهة الشر في العالم ، وشبهة الخرافة
في كثير من العقائد الدينية . وخلاصة شبهة الشر : أنهم لا يستطيعون التوفيق بين
وجود الشر في العالم وبين الإيمان بإله قدير كامل في جميع الصفات . وخلاصة
شبهة الخرافة في كثير من العقائد الدينية : أنهم لا يستطيعون التوفيق بين العقائد
وبين المحسوسات والمعقولات التي تتكشف عنها معارف البشر كلما تقدموا في
معارج الرقي والإدراك .

شبهة الشر

أما شبهة الشر فهي من أقدم الشبهات التي واجهت عقل الإنسان منذ عرف التفرقة بين الخير والشر ، وعرف أنهما صفتان لا يتصف بهما كائن واحد . وربما كان تفريق الإنسان الهمجي بين شعائر السحر وبين شعائر العبادة مقدمة الحلول للكثيرة التي عالج الإنسان البدائي أن يحل بها هذه المشكلة العصية ، ثم ترقى الإنسان في معارج الحضارة والإدراك فاهتدى إلى حل آخر أوفى من هذا الحل الساذج وأقرب إلى المعقول ، وذلك حيث آمن بالهين اثنين ، وسمى أحدهما باله النور ، وسمى الآخر باله الظلام ، وجعل النور عنواناً لجميع الخيرات ، والظلام عنواناً لجميع الشرور .

إلا أن هذا الحل - على ارتفاعه ووفائه بالقياس إلى الحلول البدائية في عقائد القبائل الهمجية - لن يُرضى عقول المؤمنين بالتروحيد ، ولن يحل لهم مشكلة الشر في الوجود ، ولا يزال في عرفهم حتى اليوم ضرباً من الكفر يشبه جمود الجاحدين وتعطيل المعطلين .

ولعلنا لم نطلع على حل لهذه المشكلة العصية أوفى من الحل الذي نطلق عليه اسم حل الوهم ، ومن الحل الذي نطلق عليه اسم حل التكافل بين أجزاء الوجود . وخلاصة حل الوهم : أن القائلين به يعتقدون أن الشر وهم لا نصيب له من الحقيقة ، وأنه عرض زائل يتبعه الخير الدائم . ومن الواضح أن هذا الحل لا يفضي الإشكال ، ولا يفتى عن التماس الحلول الأخرى التي تريح ضمير المعتقد به فضلاً عن المعترضين عليه ؛ إذ لا نزاع في تفضيل اللذة الموهومة على الألم الموهوم ، ولا يزال الاعتراض على الألم لغبر ضرورة قائماً في العقول ما دام في الإمكان أن تحل لذاتنا الموهومة محل ألما الموهومة .

وخلاصة الحل الذي نطلق عليه اسم حل التكافل بين أجزاء الوجود : أن

المعتقدين به يرون أن الشر لا يناقض الخير في جوهره ، ولكنه جزء متمم له ، أو شرط لازم لتحقيقه : فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقیصة تقابلها وترجح عليها . وقد يطرد هذا القول في لذائذ المحسوسة : يطرد في فضائلنا النفسية ، ومطالبنا العقلية ؛ إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع ، ولا نستمتع بالرئی ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن بسوءنا المنظر القبيح .

وهذا الحل - حل التكافل بين أجزاء الوجود - أوفى وأقرب إلى الإقناع من جميع الحلول التي عرّجت بها هذه المشكلة على أيدي الحكماء أو على أيدي فقهاء الأديان ، ولكنها لا تغني الحائر المتردد عن سؤال لا بد له من جواب ، وهو : لماذا كان هذا التكافل لزاماً في طبيعة الوجود ؟ ولماذا يتوقف الشعور باللذة على الشعور بالألم ، أو يتوقف تقدير قيمة الفضيلة على وجود النقيصة وضرورة الاشمئزاز منها ؟ أليس الله بقادر على كل شيء ؟ أليس من الأشياء التي يقدر عليها : أن يتساوى لديه خلق اللذة وخلق الألم ؟ أليس خلق اللذة أولى برحمة الإله الرحيم من خلق الألم ، كيف كان موقعه من التكافل بينه وبين اللذات ؟

وعندنا أن المشكلة كلها بعد جميع ما عرضنا من حلولها إنما هي مشكلة الشعور الإنساني ، وليست في صميمها بالمشكلة الكونية .

وهنا نعود إلى الباب الذي نستفتح به مسالك هذه المشكلات ، ونسأل أنفسنا : إذا كان الإله الذي توجد النقائص والآلام في خلقه إلهاً لا يبلغ مرتبة الكمال المطلق ، فكيف يكون الإله الذي يبلغ هذه المرتبة في تصورنا وما ترتضيه عقولنا ؟ أيكون إلهاً قديراً ثم لا يخلق عالماً من العوالم على حالة من الحالات ؟ أيكون إلهاً قديراً يخلق عالماً يمثله في جميع صفات الكمال .

هذا وذاك فرضان مستحيلان أو بعيدان عن المعقول ، كل منهما أصعب فهماً وأعسر تصوراً من عالماً الذي ننكر فيه النقائص والآلام .

فأما الإله المقدير الذي لا يخلق شيئاً فهو نقیضة من نقائص اللفظ لا تستقيم في

التعبير ، بله استقامتها في التفكير ؛ فلا معنى للقدرة ما لم يكن معناها الاقتدار على عمل من الأعمال .

وأما الكمال المطلق الذي يخلق كمالاً مطلقاً مثله فهو نقيضة أخرى من نقائص اللفظ لا تستقيم كذلك في التعبير ، بله استقامتها في التفكير ؛ فإن الكمال المطلق صفة منفردة لا تقبل الحدود ولا أول لها ولا آخر ، وليس فيها محل لما هو كامل وما هو أكمل منه . ومن البديهي أن يكون الخالق أكمل من المخلوق ، وألا يكون كلاهما متساويين في جميع الصفات ، وألا يخلو المخلوق من نقص يتزده عنه الخالق . فاتفقهما في الكمال المطلق مستحيل يمتنع على التصور ، ولا يحل تصوره مشكلة من المشكلات . وأي نقص في العالم المخلوق فهو حقيق أن يشع لهذا الشر الذي نشكوه ، وأن يقترن بالألم الذي يفرضه الحرمان على المحرومين ، وبخاصة إذا نظرنا إلى الأجزاء المتفرقة التي لا بد أن يكون كل جزء منها قاصراً عن جميع الأجزاء ، وأن يكون كل شيء منها متخالفاً لما عداه من الأشياء .

فوجود الشر في العالم لا يناقض صفة الكمال الإلهي ولا صفة القدرة الإلهية . بل هو - ولا ريب - أقرب إلى التصور من تلك الفروض التي يتخيلها المنكرون والمترددون ولا يذهبون معها خطوة في طريق الفهم وراء الخيال المبهم العقيم .

وقد يختلف مدلول القدرة الإلهية ومدلول النعمة الإلهية بعض الاختلاف في هذا الاعتبار : فمدلول القدرة الإلهية يستلزم - كما تقدم - خلق هذا العالم الموجود ، ولكن مدلول النعمة الإلهية يسمح لبعض المتشائمين أن يحسبوا أن ترك المخلوقات في ساحة العدم أرحم بها من إخراجها إلى الوجود ، ما دام الألم فيه قضاء محتوم على جميع المخلوقات . ومهما يكن من شيوع التشاؤم بين طائفة من المفكرين فليس تفسير النعمة الإلهية بترك المخلوقات في ساحة العدم تفسيراً أقرب إلى المعقول من تفسير هذه النعم الإلهية بإنعام الله على مخلوقاته بنصيب من الوجود يملفون به مبلقهم من الكمال المستطاع لكل مخلوق .

وليس الشر إذن مشكلة كونية ولا مشكلة عقلية إذا أردنا بالمشكلة أنها شيء متناقض عصى على الفهم والإدراك ، ولكنه في حقيقته مشكلة الهوى الإنساني الذي يرفض الألم ويتمنى أن يكون شعوره بالسرور غالباً على طوائع الأسور .

وإذا كانت في هذا الوجود حكمته التي تطابق كل حالة من حالاته فلا بد من
حكمة فيه تطابق طبيعة ذلك الشعور ، ولا نعلم من حكمة تطابق طبيعة ذلك
الشعور ، غير الدين .

إن الشعور الإنساني في هذه المشكلة الجلي يتطلب الدين . فهل ثمة مانع يمنعه
من قبل العقل أو من قبل المعرفة التي يكسبها من تقدمه في العلم والحضارة ؟ هنا
يستطرد بنا الكلام على مشكلة الشر إلى الكلام على مشكلة الدين أو مشكلة
التدين في جملته ، وخلاصتها - كما قدمنا - عند المترددين والمعتلين أن الأديان
قد اختلطت قديماً بكثير من الخرافات ، وأن العقل يتعسر عليه أحياناً أن يوفق بين
عقائد الدين وحقائق المعرفة العلمية .

شبهة الخرافة

وهنا نعود مرة أخرى إلى سؤالنا الذي افتتحنا به هذه الكلمة ، فنسأل المترددين
والمعتلين : إذا كان التدين على هذه الحالة التي وجد بها غير حسن في تقديركم
فكيف يكون الحسن ؟ وكيف تتصورونه ممكناً على نحو أقرب إلى العقل وأيسر في
الإمكان ؟

وكأننا بهم يقترحون ديناً لا يركن إليه إلا الثخبة المخنارة من كبار العقول الذين
لا تنسرب الخرافة إلى مداركهم في عصر من العصور ، كأننا ما كان موقع ذلك
العقل من درجات التقدم والحضارة .

هذا ، أو يقترحون ديناً يتساوى فيه كبار العقول وصغارهم تساوياً كلياً لا عمل
فيه لاجتهاد الروح وتربية الضمير واستفادة المستفيد من كفاح الحوادث وتجارب
الحياة .

هذا ، أو يقترحون ديناً يتبدل في كل فترة تبديلاً كلياً كلما تبللت معارف الأمم في
مختلف الأزمنة أو مختلف البلدان .

ومهما نستعرض في تصور المقترحات التي تنحصر للمترددين والمعتلين فلا نخال
أننا سنتجهون إلى مقترح يرويه وبراه غيرهم أقرب إلى التصور وأيسر من الدين في

تاريخه المعهود ؛ فإن أطوار التدين كما بدأت من أقدم عصورها إلى اليوم لا تزال أقرب إلى العقول من كل مقترح ذكرناه على ألسنتهم بين هذه العروص .

والحجة المختارة من كبار العقول لا تمح إلى تعاليم الدين كما تحتاج إليه طوائف البشر من اجهلاء أو صغار العقول . وقد ينزه أباة النجاة اعجازة عن الحرافة في آونة محدودة ، ولكنهم لن يتموهوا عنها في كل آونة مع التسليم بتطور العلم وتطور الإدراك الذي يستفيد من جملة العلوم .

أما أن يتساوى الدين تساويًا أليًا في كشف حقائق الكون ، من أول عهد البشر بالتدين إلى آخر عهدهم المقتور لهم من الحياة الأرضية - فإيما هو بكسة بهم إلى حالة لا فرق بينها وبين أحوال الجماد أو أحوال الآلات التي لا عمل فيها لاجتهاد الروح ولا لتربية الصغير

وأما أن تبدل العقائد في كل لحظة تتغير فيها مذكرات العلوم ومذكرات المعرفة على العموم فتلك حالة نحاول أن نتصورها في أطوار الجماعات فلا نرى أنها قابلة للتصور في جماعة واحدة تعيش من أسلاف إلى أخلاف مثلت السنين ، أو ألوف السنين ، اللهم إلا إذا تصورنا عقول هذه الجماعة وصنائيرهم في صورة الصفحات التي تنصب صفحة بعد صفحة حين تعرض على قرئها وهم يريدون تملها أو لا يريدون

كل هذه الصور يقترحها من يشاء ، ولا يكلف نفسه أن يصادى مع صورة منها في التخيل ، أو يعالج تطبيقها في الواقع إذا استطاع ، وما هو بمستطيع

ونكاد نقول عن نشأة التدين بين جماعات البشر كما نشأ في عالم الواقع إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، نولا أننا نرى أن الرمان المنظاول قد يمكن فيه اليوم ما لم يكن ممكنًا بالأمس ، وقد يمكن فيه غدًا ما ليس ممكن في يومنا هذا ، ولا في الأيام التي سبقت ، وقد يمكن فيه عند قوم في العصر الواحد ما يتعذر على آخرين في العصر نفسه . لا أننا ندين بقول الفاتلين : إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، إذ نظرنا إلى تطور الدين نظرة تحيط بأطواره كلها من جميع الأزمنة وبين جميع الأقوام .

وينبغي أن نذكر أن التعبير الرمزي والعقيدة الإيمانية لازمتان من لوازم الشعور الديني لا تنفصلان عنه ، ولا يسأى لنا أن نضربهم طوره وحوافيه ما لم تكن على استعداد لتفسير هذا المعبر وفيون ذلك الإيمان .

ولسنا نقل التعبير الرمزي والعقيدة الإيمانية ترخصاً مع الدين وحده برخصة لا تتضمنها مع سائر المدركات الحسية أو النفسية ؛ لاسا نعلم أن التعبير الرمزي والعقيدة الإيمانية لازمتان من لوازم تكوين الإنسان في مدركات حسه ومدركات نفسه ، على اختلاف الأساليب ومعارض الإدراك .

فأى إدراك للإنسان أصدق عنه من إدراك العين ؟ وما هي حقيقة هذا الإدراك إن لم يكن هي صميمه تعبيراً رمزياً يصعب له من الأسماء ما ليس بينه وبين الواقع مطابقة غير مطابقة الرمز للحقيقة التي ترمز إليها ؟ نحن نسمي الألوان بأسمائها ، ثم مرجع إلى حقائقها فلا نعم لها حقيقة هي الواقع إلا أنها بددبت كما يقال في أمواج الأثير ، ولا نعم للأثير من حقيقة هي الواقع غير أنه كما يقال - فرض نقول نه ؛ لاسا لا نريد أن نقول بفرض العدم أو بفرض الفضاء والخلاء

ومن أمثلة العقيدة الإيمانية التي تلمسها في كل حي أو تلمسها في كل مولود أن الأباء والأمهات يحسون ذريتهم ولا يقبلون بديلاً عنها ، ولو كان البديل حياً من تلك الذرية وأحمل مطراً وأفضل مخبزاً وأدعى إلى العطشة والرحاء ولا بقاء لأنواع الأحياء إذا قامت لأبوة على عاطفة غير هذه العقيدة الإيمانية التي يرتبط بها قوام الحياة ولا يختلف اثنان في وصف هذا الحد لأبوى بالمغالاة إذا أردنا أن نحدد الحياة من صواب العاطفة أو صواب العقيدة ، ولا يدين فيها بغير صواب العقول

هكذا وحسب غلب أن نفس التعبير الرمزي والعقيدة الإيمانية في مدركات الدين نحن لا نترخص مع الدين وحده بهذه الرخصة الشائعة عندنا - نحن بس الإنسان - في جميع مدركاتنا ، بل نحن سوى دين رخصة الدين ورخصة الحس ورخصة العقل في هذه اللغة الحيوية التي ينطق بها كل حي مع اختلاف الظروف والعبارات

على أننا لا نستحي يدعاً من العقل إذا ميرنا الدين برخصة لا تساويها رخصة فطراً فيما ندركه الحواس أو ندركه العقول ؛ لأن مدركات الدين تشمل أصول الوجود

وأسرار الحقيقة ، وسطلع إلى بواطن العيب كما تتطلع إلى ما وراء هذا العالم المعبود ، كلما ارتفعت بها أشواقها إلى سماء الكمال المطلق . كمال الخالق المسبح لجميع هذه المحنقات .

فإذا قبلنا من حقولنا وخواصتنا أن نقع بالعبير الرمزي والمفيدة الإيمانية في إدراك حقيقة محدودة من هذه الحقائق التي لا عداد لها ، فإنه من الشطط أن نسوم العقل إدراكا للحقيقة المطلقة يحنو من الرموز ويتخرد من عنصر الإيمان .



ولكن واقعيين مع الواقعيين في كلامنا عن مشكلة الدين ، فإننا كنا إلى الآن في هذه المناقشة عقلية ، نحتكم إلى البرهان في محاسبة الدين ومراحمة الشبهات التي تواجه المترددين والمعتلين ويواجهون بها عقائد الأديان على إجمال

وصادنا أصمما إلى حجة العقل حجة الواقع من تحارب التاريخ وتحارب الحاضر في شئون الجماعات الإنسانية وشئون كل فرد من نبي الإنسان على حدة بينه وبين جماعته أو بينه وبين نفسه ؟

إن تحارب التاريخ تقرربا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى ، ولا تسمح لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلعبه ، ويستطيع الفرد أن يستغنى عنه في علاقته بتلك الجماعة أو فيما سنه وبين سريرته لمطوية عن حوله ، ولو كانوا من أقرب الناس إليه . ويقرر لنا التاريخ أنه لم يكن قطّ لعامل من عوامل لحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عامل الدين ، وكل ما عده من العوامل المؤثرة في حركات الأمم إنما تتعاون فيه القوة بمقدار ما بينه وبين العقيدة الدينية من المشابهة في المنكر من أصالة الشعور وبواطن السريرة

هذه القوة لا تصارعها قوة المعصية ، ولا قوة الوطنية ، ولا قوة العرف ، ولا قوة الأخلاق ، ولا قوة الشرائع والموازين ، إذ كانت هذه القوة ، إنما ترتبط بالعلاقة بين المرء ووطنه ، أو العلاقة بينه وبين مجتمعه ، أو العلاقة بينه وبين نوعه على تعدد الأوطان والأقوام . أما الدين فصرحه إلى العلاقة بين المرء وبين الوجود بأسره ، وميادنه يتسع لكل ما هي الوجود من ظاهر وباطن ، ومن علانية وسر ، ومن خاص

أو مصير ، إلى غير نهاية بين آراء لا تخصى في القدم وأبد لا تخصى فيما يكثف
عنه عالم العيوب وهذا على الأقل هو ميدان العقيدة الدينية في مثلها الأعلى
وعداياتها القصوى ، وقد لم يستوعبها صحنائر المتدينين في جميع العصور

ومن أدلة الواقع على أصالة الدين - أنك تلمس هذه الأصالة عند انقابلة بين
الجماعة المتدنية والجماعة التي لا دين لها أو لا تعصم من الدين بركن ركين
وكذلك تلمس هذه الأصالة عند المقابلة بين فرد يؤمن بعقيدة من العقائد الشاملة
وفرد معطل الضمير مضطرب الشعور يحمى في الحياة بغير محور يلود به ويمير رجاء
يسمو إليه فهذا المارق بين الجماعين وبين المرددين ، كالمارق بين شجرة راسخة
في منبتها وشجرة محتثة من أصولها ، وفل أن يرى إنسان معطل الضمير عمى شيء
من القوة والعظمة إلا أمكنك أن تتحيلة أقوى من ذلك وأعظم إذا حنت العقيدة في
وحدانه محل التعطل والخبرة



وبعد ، فحين نحتم هذه الفاتحة - كما بدأناها - بالسبب إلى عرصب من هذه
المناقشة الوحيرة لشبهات المترددين والمعطين على الدين في أساسه ، فنقول في
حتامها - كما قننا في مستهدها - إنما لا نحسب أن مناقشة من المناقشات في هذا
الموضوع الحلل تحسم الخلاف وتحتسم المضاف ، ولكننا نطمع بحق في لإبانة عن
مواطن الصعف من نكث الشبهات ، ونعلم أنها أصعب من أن تقتنع أصول العقيدة
الدينية من الطبيعة الإنسانية ، وأنها تنهات ساعة كلما استحصرت الباحث في
حدده شرائط الدين المعقولة التي تلامزه حتماً في رأى المؤمن بدين من الأديان ،
وفي رأى المنكر لجميع الأديان على السواء :

فمن شرائط الدين اللازمة - أن تدبى به جماعة يمتد أحلها وراء أحوال الأفراد
وتتعافى فيها الأحيال حقبة بعد حقبة إلى أمد بعيد ، فلا يؤحد على الدين إحد
أنه يناسب هذه لأجيال حيث تأحرب كما يناسبها حيث تعدمت على من الرمك
مع تطور العلم والحضارة .

ومن شرائط الدين اللازمة - أن تدبى به الأمة في العصر الواحد على تفاوت
أسانها في المعرف والسجية والرأى والمشرب ؛ فلا يؤحد على الدين إحد أن يدخل

فيه حساب العالم وبجاهل ، وحساب الرميح والوصيغ ، وحساب الطيب والخبيث ،
وحساب الذكي المايخ والخبى الخامس .

ومن شرائط الدين اللازمة أن يريح الصمير فيما وجهه الإيمان - ولا بد أن
يجهل - من شئون العيب وأسرار الكون ؛ لأنها الشئون والأسرار التى لا يحيط بها
عقله المحدود ولا بديها له طوهر الرمان والمكان ؛ فلا يؤحد على الدين إذن أن يتولى
تقريب هذه الأسرار لأندية بأسلوب المحذر والتشبيه ، أو بأسلوب الرمر الذى تدركه
العقون الشرية على مقدار خطها من العفة والصاد إلى بواطن الأمور وحمايا
الشعور .

ومتى توفرت النفس على تسليم هذه الشرائط اللازمة لكل دين من الأديان فقد
وجب على العارفين أن يصطلعوا بالتوفيق بينها وبين مطلب الجماعة ومطالب
الرمز ومطالب السرية فى أعماقها ؛ حيث تتصل بعالم العيب وعالم الشهادة
صلاتها التى لا تنقطع لحة عين



وطاهر من سياق انكلام عن الدين فى هذه الفتحة أما نعنى به التدين على
إطلاقه ، ويريد أن يدل على أصالته فى حياة الفرد وحياة الأمة ، ومتى عرفها للتدين
أصالته هى كلتا الحياتين منذ ألوف السنين ، فليس ما يجمع أن يكون بين انديانات
التى آمن بها الشر قديماً وحديثاً ديانة أفصل من ديانة ، وعقيدة أقرب من عقيدة
إلى الكمال

ونما تفصل الديانة سواها بمقدار شعولها لمطالب الروح وارتقاء عقائدها وشعائرها فى
آفاق العقل والصمير ، وكذلك كانت الديانة الإسلامية - كما أما بها - ملة لا تفصلها
ملة فى شمول حقائقها وخصوس عباداتها وشعائرها من شوائب الملل العابرة

وذلك هو موضوع هذا الكتاب فيما يعرضه من حماق الإسلام ، وفيما يعرض
له من أباطيل المفترين عليه .

إن بعض العقائد يصيب النفس بما يشبه داء العصام ؛ لأنه يقسم الشخصية
الإنسانية على نفسها ، ويرق الصمير الحائر بين نوارع الجسد ونورع الروح ، وبين

سلطان الأرض وسلطان السماء ، وبين فرائض السعى وفرائض العبادة . وشمول العقيدة الإسلامية هو الذي يعصم صميم المسم من هذا القصاص الروحاني ، وهو الذي يعلمه أن يرفع رأسه حين تقوم دولته أمام المسيطرين عليه ، وهو الذي يحفظ كيان الأمم الإسلامية أمام الصيريات التي تلاحقت عليها من عارات الفاتحين ، أو عارات الحروب الصليبية ، أو غارات الاستعمار والتشهير .

وشمول العقيدة الإسلامية هو الذي حقق للإسلام ما لم يتحقق لعقيدة غيره من تحويل الأمم العريقة التي تدين بالكتب المنقصة إلى الإيمان به عن طواعية وختيار ، كما امت به الأمم المسيحية والمجوسية والبرهمية في مصر وسوريا وفارس والهند والصين .

ولقد عُرِىَ انتشار الإسلام في صدر الدعوة المحمدية إلى قوة السيف ، وما كان للإسلام يومئذ من سبب يصون به على أعدائه الأفياء ، بل كان المسلمون هم صحايا السيف وطريد العشم واجسوت . وإن عدد المسلمين اليوم بين أبناء الهند والصين وأندونيسية والقره الإفريقية ليلخ تسعة أعشار المسلمين في العالم أجمع ، وما روى لنا التاريخ من أخبار العروات الدنية في عاصمة هذه الأعطار ما يكفي لتحويل الآلاف لعدوته . فضلا عن مئات الملايين - من دين إلى دين -

وبقد عرى انتشار الإسلام بين السود من أساء فقارة الإفريقية إلى سماح الإسلام بتعدد الروحانيات ، وما كان تعدد الروحانيات بالأمر المسور لكن من يشتهي من أولئك السود المقبلين على الدين الإسلامي بغير مجهود ، ولكسهم يجنون اخمر ميسرة لهم حيث أرادوها وقد حرمها الإسلام أشد التحريم ، فلم يصرف عنه السود لأنه قد حال بينهم وبين شهوة الشراب التي قيل إنها كانت شائعة بينهم شيوخ الطعام والعداء

إنما شمول العقيدة الإسلامية دون غيره هو العامل القوي الذي يجمع إليه النفوس ويحفظ لها قوة الإيمان ، ويستعني عن السيف وعن المال في بث الدعوة ، كلما تفتحت أبوابها أمام المدعوين إليها بغير عائق من سلطان الحاكمين والمتسلطين



قلنا في باب العقيدة الشاملة من كتابنا عن «الإسلام في القرن العشرين»

«ويؤيد إلى الدهر أن الشمول الذي امتدت به العقيدة الإسلامية صفة حفية

عميقة لا يظهر لساظر من قريب ، ولا لإظهارها من بحث عويص في قواعد الدين وأسرار الكتاب وهراتصر المعاملات ! فليس هي مما يراه الناصر الوثني أو الناصر البدوي لأول وهلة في أن يطلع على حدثي الديانة ويعمق في الاطلاع ومن المحقق أن إدراك الشمول من الوجهة العنيفة لا يتأتى بغير الدراسة الوافية والمقارنة المتعمقة في وحوه الاتفاق ووحوه لاختلاف بين الديانات ، وبخاصة في شعائرها ومراسمها التي يتلاقى عندها المؤمنون في بيئاتهم الاجتماعية

ولكن الساطر القريب قد يدرك شمول العقيدة الإسلامية من مراقبة أحوال المسم هي معبثته وعاداته ، ويكفي أن يرى لمسلم مستقلاً بعبادته عن الهيكل والصم والأيقونة والوث ، ليعلم أنه وحدة كامنة في ديه ، ويعلم من ثم كل ما يرغمه هي ذلك الدين أيام أن كان الدين كله حكرًا للكاهن ، ووقفًا على المعبد ، وعالة على الشعائر والمرسوم مدى الحياة .

لقد ظهر الإسلام في إبان دولة الكهانة والمرسوم ، وواجه أماس من الوثنيين أو من أهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الحمود إلى حالة كحالة الوثنية في تعظيم الصور والتماثيل والتعويض على المعبد والكاهن هي كل كبيرة أو صغيرة من شعائر العبادة ، ولاح للناس في القرن السابع للميلاد حاصه أن المتدين قطعة من المعبد لا تتم على انفرادها ولا تحسب لها دية أو شعاعة بمعزل عنه فالدين كله هي المعبد عند الكاهن ، والمتدينون جميعًا قطع متفرقة لا تستقل يومًا يقوم الحياة للروحانية ، ولا ترال معيشتها الخاصة والعامة تنوب إلى المعبد ، لتترود منه شيئًا تتم به عقيدتها ، ولا تستغنى عنه مدى الحياة .

لا دين بمعزل عن المعبد والكاهن والأيقونة ، سوء في العبادة الوثنية أو هي عبادة أهل الكتاب ، إلى ما بعد القرن السابع بأجبال متطاولة

ولما ظهر المسم في تلك الآونة ظهر الشمول في عقيدته من ضرورة واحدة ، ظهر أنه وحدة كاملة في أمر ديه يصلى حيث شاء ، ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد من

الكهان ، وهو مع الله في كل مكان ، ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة ١٥] ويذهب المسلم إلى الحج ، فلا يذهب إليه ليغتم من أحد بركة أو نعمة يصورها

عليه ، ولكنه يذهب إليه كما يذهب الألو ف من ، حواءه ، ويشتركون جميعاً في شعائره على سبيل المساواة ، يعبر حاجة إلى الكهنة ، وقد يكون السدنة قدس يراهم محاورين لنكعة حذاماً لها وله ، يدونه حين يطلب منهم الدلالة ، ويتركهم إل شاء ؛ فلا سبيل لأحد منهم عليه .

فإذ توسع قبلاً في العلم شعائر الحج علم أن الحج لا يفرض عليه زيارة قبر الرسول ، وأن هذه الزيارة ليست من مناسك الدين ، وأنها تحية منه يؤديها من علمه غير ملزم ، كما يؤدى التحية لكل معين عزيز محبوب لديه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ ﴾ . [الكهف : ١١٠]

وقرأ فيه : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى : ١٨]

وقرأ فيه : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [البقرة : ٥١]

ومرأ فيه : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ [آية : ٢٥]

وقرأ فيه : ﴿ لَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُفَيْظٍ ﴾ [العاشية : ٢٢]

وقرأ فيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا : ٢٨]

وقرأ فيه آيات لا تخرج في وصف الرسالة عن معنى هذه الآيات .



مر بنا أن فساد رجال الدين كان من أسباب انصراف أتباعهم عن دينهم ودحولهم أفواجا عقيدة المسلمين .

مثل هذا لا يحصل في أمة إسلامية فسد فيها رجال دينها ؛ فما من مسلم

يذهب إلى الهيكل ليقول لكاهنه : حذ ديك إلبك قامى لا أومو به ؛ لأننى لا أوس بك ، ولا أرى فى سيرتك مصدقا لأوامرك وبواهيته

كلأ ، ما من رجل دين يسو للمسلم أنه صاحب الدين ، وأنه حين يؤمن بالله يؤمن به لأنه إله ذلك الرجل الذين توسط بينه وبين الله ، أو يعطيه من نعمه فوما لروحه

﴿... والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (١٣) **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** (١٤) **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ﴾** (١٥)

[فاطر : ١٣ - ١٥]

نعم ، كلهم فقراء إلى الله ، وكلهم لا فصل لواحد منهم على سائرهم ، لا بالتفوى ، وكلهم فى المسجد سواء ، فإن لم يحدوا المسجد فمسجدهم كل مكان فوق الأرض وتحت السماء .

إن عقيدة المسلم شىء لا يتوقف على غيره ، ولا سقى منه نقيّة وراء سره وجهه ، ومن كان إماما له هى مسجده على ترتع به الإمامة مقاماً فوق مقام النبى صاحب الرسالة النبى يبشر ويسر ، ولا يتجير ولا يسيطر ، ويبلغ قومه ما حُسن وعيهم ما حملوا ، وما على الوصول إلا البلاغ المبين .

ومن يدسلم المسلم يصحح الإسلام شأنه الذى لا يعرف لأحد حقاً فيه أعظم من حقه ، أو حصّة فيه أكبر من حصته ، أو مكاناً يأوى إليه ويكون الإسلام فى غيره .

كذلك لا يتصم المسلم فسمين بين الدنيا والآخرة ، أو بين الجسد والروح ، ولا يعانى هذا العصام الذى يشق على النفس أحماله ويحفرها فى الواقع إلى طلب العقيدة ، ولا يكون هو هى ذاته عقيدة تعتصم بها من أخيرة والأقسام

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصر : ٧٧]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣) **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي حَوْفِهِ﴾**

[الأحزاب : ٤٤٣]

فإذا كانت العقيدة التي نساعد المسافة بين الروح والجسد تعيب من العمل حين يشق علينا العمل ، فالعقيدة التي توحيد الإنسان وتجعله كلاً مستقلاً بدياه شفاء له من دث الفصام الذي لا تستريح إليه السريرة إلا حين يضطر إلى الهرب من عمل الإنسان الكامل في حياته ، وحافز له إلى الخلاص من لقهر كلما غلب على أمره ووقع في قبضة سلطان غير سلطان ربه ودينه .

ومن هنا لم يذهب الإسلام منعب التفرقة بين ما لله وما لقبصر ؛ لأن الأمر في الإسلام كله لله - ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (١) - ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ (٢) ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وإذا كانت التفرقة بين ما لله وما لقبصر تفرقة الضرورة التي لا يقبلها المتدين وهو قادر على تطويع قبصر بأمر الله ، وهذا التطويع هو السبب أوجبته العقيدة الشاملة ، وكان به الفضل في صعود الأمم الإسلامية لسطوة الاستعمار وإيمانها الراسخ بأنها دولة دائمة وحالة لا بد لها من تحويل .

وقد أثبت هذه العقيدة على الرجل أن يصيح لحاكم بحرء منه ويطيع الله بغيره ، وأنت على إدراك أن تعطى بديها في الرواح لصاحبها وتناهى عنه بروحها وسريتها ، وأنت على الإنسان جملة أن يستريح إلى «العصام الوجداني» ويحسبه حلاً لمشكلة الحكم والطاعة قابلاً للدوم .

إن هذا الشأن العظيم - شأن العقيدة الشاملة التي تجمع المسم «وحدة كاملة» لا يتجسج ويصحاً هوياً كما يتحلى من عمل الفرد في شر العقيدة الإسلامية ؛ فقد أسلم عشرات الملايين في الصحارى الإفرقية على يدى تاجر فرد ، أو صاحب طريقة منفرد في حلوته لا يعصم بسلطان هيكل ولا بمواسم كهانة ، وتصنع لها قسرة الفرد الواحد ما لم تصنعه حموع التشير ولا سطوة الفتح والعلبة ، فحملت من أسلموا في البلاد التي انتصرت فيها جيوش الدول الإسلامية هم الآن أربعمون أو خمسون مليوناً بين الهلال الخصيب وشواطئ البحرين الأبيض والأحمر ، فأما الذين أسلموا بالقوة الفردية الصلحة فهم فوق المائتين من الملايين ، أو هم كل من

أسم في الهند والصين وحرث حوة وصحارى إفريقيا وشواطئها ، إلا القليل الذى لا يريد فى بداءته على عشرات الألوف



وسبغى أن يفرق بين الاعتراف بحقوق الجسد وإنكار حقوق الروح ؛ فإن الاعتراف بحقوق للجسد لا يستلزم إنكار الروحانية ولا الخد من سماتها التى اشتهرت باسم الصوف فى اللغة العربية أو اشتهرت باسم «الخفيات والسرقات» فى اللغة العربية (Mysticism) إذ لا يوصف بالشمول دين ينكر الجسد ، كما لا يوصف بالشمول دين ينكر الروح ، وقد أشار القرآن الكريم إلى الفارق بين عالم الظاهر وعالم الباطن فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام وذكر تسبيح ابراهيمات ما كان له حياة ماطقة وما لم تكن له حياة ؛ ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (١) . وأشار إلى هذه الأشياء بصبر العفلاء ، وعلم من المسلمون أن الله أقرب إليهم من حمل الوريد ، وأنه نور السموات والأرض ، وأنه ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وحسب المرء أن نتعلم هذا من كتاب دينة ، ليسبح لبدنه من سمات التصوف كل ما يسبغ فى عقائد التوحيد ، ويعله لم يوحد فى أهل دين من الأديان طرق لتصوف تسبغ ما بدعته هذه الطرق بين مسلمين من الكثرة والنفوذ ، ولا وجه للمقابلة بين الإسلام وبين البرهمية أو بين البوذية - مثلاً - فى العقائد الصوفية ؛ فإن إنكار الجسد فى البرهمية أو البوذية يجرها من عداد العقائد الشاملة التى ينقبتها الإنسان بحمته غير مقطوع عن جسده أو عن دنيته .

وحسب المرء أن يرمى مطالبه الروحانية ولا يحالف عقائد دينة ؛ ليوصف ذلك الذين بالشمول ، ويرأ فيه الصمير من داء الفصام

كذلك يحاطب الإسلام العقل ولا يقصر خطاه على الضمير أو الوجدان ، وفى حكمه أن السطر بالعقل هو طريق الصمير إلى الحقيقة ، وأن التفكير باب من أبواب الهداية التى يتحقق بها الإيمان

(٢) الحديد ٣٥

(١) الإسراء ٤٤ .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شَتَّى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبا : ٤٦]

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة : ٢١٩]

وما كان الشمول في العقيدة ليهرب فيها مذهب أحد وأوسع من حطاب الإنسان روحاً وحسناً وعقلاً وصميماً عبر بحس ولا إقراط في ملكة من هذه الملكات

وهي مشكلة المشكالات التي تعرض للمسلمين يعمدون المسلم بين الإيمان بالقدر والإيمان بالتبعية والخرية الإنسانية ، فمن عقائد ديه : ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾^(١) ، ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يُقْصَرُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٢) ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣) ، ﴿وَيُوكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٤)

ومن عقائد ديه أيضا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[الرعد : ١١]

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود : ١١٧]

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : ٣]

وليس في الإسلام أن الخطيئة مورثة في الإنسان قبل ولادته ، ولا أنه يحتسب في التوبة عنها إلى كفارة من غيره . وقد قل : إن الإيمان بالقضاء والقدر هو علة حمود المسلمين ، وفيل عن بعض تلك ، إنه كان حافزهم في صدر الإسلام على لقاء الموت وقلة انبذالة بهراق الحياة . وحقيقة الأمر أن المسم الذي يترك العمل بحجة لا تكال على الله بحالف الله ورسوله ، لأنه مأمور بأن يعمل في آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥) بل حقيقة الأمر أن خلاصة ذلك كله موقف عليه ، وأن يحميه بخبره ولا يبره لا يقتضى بداهة أن قلله - سبحانه - مطلوب الخيرة والمخير

(١) نوح ٤ (٢) طه ١١ (٣) أن عمران ١٤٥ (٤) الباء ٨٦ (٥) التوبة ١٠٥

وأصدق ما يقال في عقيدة القضاء والقدر أنها قوة لنفوسٍ وعذرٍ لضعيفٍ ، وحافزٍ لطالب العمل ، ونعلةٌ لمن يهابه ولا يقدر عليه ، وذلك ديدنُ الإنسان في كل دعاءٍ وفي كل تعلقة ؛ كما أوضحنا في الفرق بين أبي الطيب المتسلى وأبي العلاء المعريّ وهما يقولان بقول واحد هي عت الجهد وعت الحياة :

فأبو الطيب يقول عن مراد النفوس :

ومراد النفوس أهون من أن تنفدى فيه وأن تنفاسي

ثم يتحد من ذلك ناعثاً للمجاهد والكفاح ، فيقول

غير أن المسمى يلاقى مصاب كالحات ولا يلقى الهوانا

والمعري يقول : إن التعب عت لأنه لا يؤدي بعده إلى راحة في الحياة ، ولكنه يعجب من أهل هذا لمن يشعبون ويظنون المزيد .

تعبُ كلها الحياة فما أعم — حجب إلا من راعبٍ هي ارياد

وعنى هذا المثال يقال تدره إن عقيله القضاء والقدر يعجب لمسلمين ، ويقال بآراء أخرى إنها صرنتهم وأوكلتهم إلى التواكل والخمود . وصواب القول أنهم صعموا قبل أن يفسروا القضاء والقدر ذلك التفسير ، وتلك حديعة الطبع الضعيف

وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول ، لأنها تشمل الأمم الإنسانية جميعاً ، كما تشمل النفس الإنسانية بجملة ما من عقل وروح وصميم

فليس الإسلام دين أمة واحدة ، ولا هو دين طبقة واحدة ، وليس هو للسادة المسطّين دون الضعفاء المستخرين ، ولا هو للضعفاء المستخرين دون السادة المسطّين ، ولكنه رسالة تشعل نبي الإنسان من كل جنس وملة وقبيلة

﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [صبا : ٢٨]

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٥٨]

﴿ قُولُوا مَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢]

﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٢٢]
فهذه عقيدة إنسانية شاملة لا تحصى بعممة الله أمة من الأمم لأنها من سلالة محتارة ، دون سائر السلالات لفصيلة غير فصيلة العمل والصلاح

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ٣]

وفي أحاديث السني عليه السلام أنه لا فصل لعربي على عجمي ، ولا لقرشي على حمثي إلا بالتقوى .

وليس للإسلام طبقة يؤثرها على طبقة أو مبرنة يؤثرها على مبرنة ، فالناس درجات ، يتصوبون بالعلم ، ويتفوتون بالعمل ، ويتفاوتون بالرق ، ويتفاوتون بالأحلاق

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥]

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّقِّ﴾ [الحل: ٧١]
﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]



وإذا ذكر القرآن الضعف فلا يذكره لأن الضعف بعممة أو فصيلة محتارة لذاتها ، ولكنه يذكره ليقول للضعف : يا أهل لمعرفة الله إذا جاهد وصبر وأنف أن يسحر لبه وقلبه للمستكبرين ، ولا إمامة لمن الجرمين

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لَدِينٍ سَتَكْبَرُوا لِلْوَلَا أَلَيْسَ لَكُمُ مُؤْمِنٌ ﴾ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ [سبا ٣١، ٣٢]

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (٣٣) [القصص ٦٤، ٦٥]

وما من ضعيف هو ضعيف إذا صبر على البلاء ، فرد عرف الصبر عليه فيه لأقوى من العصبية الأشداء

﴿ الْآنَ حَفِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]

بما كان الإله الذي يدين به المسلم إله ضعفاء أو إله أقوياء ، ولكنه إله من يحمل ويصبر ويستحق العون بغض فيه ، حراؤه أن يكون مع الله ، والله مع الصابرين

بهذه العقيدة الشاملة عبد المسلمون أقوياء الأرض ، ثم صمدوا لعلمة الأقوياء عليهم يوم دالت الدول وتبدلت المقادير ، ودق المسلمون نأس القوة معلومين مدافعين

وهذه العقيدة الشاملة هي التي أفردت الإسلام بحرية لم يعهد في دين آخر من الأديان الكتابية ؛ فإن تاريخ التحول إلى هذه الأديان لم يسجل لنا قط تحولاً جماعياً إليها من دين كناسي آخر محض الرضا والافتناع ؛ إذ كان المتحولون إلى المسيحية أو إلى اليهودية قبها في أول شأئها أنما وثنية على الفطرة لا تدين بكتاب ، ولم تعرف قبل ذلك عقيدة التوحيد أو لإله الخلق المحيط بكل شيء ، ولم يحدث قط في أمة من الأمم ذات الحصار العريقة أنها تركت عقيدتها لتتحول إلى دين كتابي غير الإسلام ، وإنما تفرد الإسلام بهذه المزية دون سائر العقائد الكتابية ، فتحولت إليها الشعوب فيما بين النهرين وهي أرض الهلال الخصيب وهي مصر وفارس ، وهي - فارس - أمة عريقة هي الحصار كانت قبل التحول إلى الإسلام تؤس بكتابها

القديم ، وتحول إليه أناس من أهل الأندلس وصقلية ، كما تحول إليه أناس من أهل النبوة الذين عثروا على المسيحية أكثر من مائتي سنة ، ورغبهم جميعاً فيه ذلك الشمول الذي يجمع النفس والصمير ، ويعم بسى الإنسان على تعدد الأقسام والأوصاف ، ويحقق المقصد الأكبر من العقيدة الدينية فيما امتازت به من عقائد الشرائع وعقائد الأخلاق وأداب الاجتماع

ولإبراز هذه الحرية - حرية العقيدة الإسلامية التي أعادت أصحابها على العُلب وعلى الدقاع والصمود - هو الذي سنعرض به على النظر في مصير الإسلام بعد هاتين الحالتين ، ويريد بهما حالة القوى العالـب وحالة الضعيف الذي لم يسله الضعف قوة الصمود للأقوياء ، إلى أن يحين الحين وينبذل بين حالتي العالـب والضعف حالته التي يرحوها بغده المأمول ، ولشـر كانت حالة الصمود حُسنـي الحالـتـي في موقف الضعف ، مع شمول العقيدة وبقائها صالحة لنفس الإنسانية في جملتها وللعالم الإنساني في حملته ليكون المصير في العد المأمول أكرم ما يكون مع هذه القوة وهذا الشمول .

في هذه العجالة عن شمول العقيدة الإسلامية دراسة كافية تفصيلاً في هذا الكتاب الذي نود أن نستقصى فيه كل ما يستقصى عن حقائق الدين في حيز هذه الصفحات

أما لما رينا إلى امتدّت بها عقائد الإسلام وأحكامه ونحن مفردون لها ما ينبغي من فصول الكتاب الأربعة ، وهي مدوّء بمفصل عن العقائد ، وبسبب فصل عن الحقوق ، وفصل عن المعاملات ، وفصل عن الأخلاق والآداب

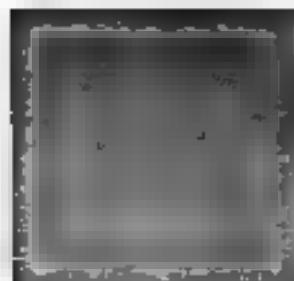
ووجهتنا التي نتجه إليها في هذه البحوث :

أولاً أن الإسلام يوحى إلى المسلم عقيدة في الذب الإلهية ، وعقيدة في الهداية النبوية ، وعقيدة في الإسناد لا تعنوه عقدة في الديانات ولا هي الحكمة النظرية أو الحكمة العملية .

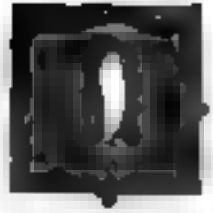
وثانياً أن أحكام الإسلام لا تعنى المسلم عن غاية تفجّحها أمامه أسواق العلم والحضارة وثالثاً . أن في الإسلام راداً للأهم الإنسانية في طريق المستقبل الطويل يوانيه بما فيه عنى لها حيث نصبت لأرواد من وطب العقائد الروحية أو تكاد وباسم الله سبحانه في وجهها ، وعنى هدى من الإيمان بالله

المفصل
الأول

الحقائق



العقيدة الإلهية



العقيدة في الإله رأس العقائد الدينيي سجدتها وتعظيمها ، من عرف عقيدته فهم في إلههم فقد عرف نصيب دينهم من رفعة العهم والوحدان ، ومن صحة المقاييس التي يقاس بها الخير والشر وتقدر بها الحسنات والسيئات ؛ فلا يهبط دين وعقيدته في الإله عالية ، ولا يعلو دين وعقيدته في الإله هادئة لبست ، بأسب صفات الموجود الأول الذي تتبعه جميع الموجودات

ولقد كان النظر في صفات الله محال التنافس بين أكثر العقول من أصحاب الفلسفة الفكرية وأصحاب الحكمة الدينية ، وقد كانت مهمة الفلاسفة أيسر من مهمة حكماء الأديان ؛ لأن الفيلسوف النظري يتنطق في تفكيره وتقديره غير مقيد بعرائض العادة وحدود المعاملات التي يتقيد بها الحكيم الديني ويتقيد بها من يأثرون به من أتباعه في الحياة العامة والمعيشة الخاصة ، فظهر بين الفلاسفة النظريين من سما بالتنزيه للإلهي منعزلاً إلى أوح لا ملحق به الخيال فضلاً عن الفكر والإحساس

وجاء الإسلام من حواف الصحراء العربية بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد ، صححت فكرة الفلسفة الطرية كما صححت فكرة العقائد الدينية فكان صحيحه لكل من هذين الفكرتين - في حاسب النقص منها - أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والديهة الصادقة أنه وحى من عند الله

يقال على الإجماع : إن صفات الإله قد ارتفعت إلى دروتها العليا من التنزيه والتجريد في مذهب «أرسطو» الفيلسوف اليوناني الكبير

والدين يرون هذا الرأي لا يسون مذهب «أفلاطون» إمام الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وشيخ الفلسفة الصوفية بين العربيين إلى العصر الأخير ، غير أنهم لاذكرونه في معرض الكلام على التنزيه في وصف الله ؛ لأن مذهبه أقرب إلى العيبوبة الصوفية منه إلى التفكير الخلي والمنطق المعقول ، وطريقته في التنزيه - أن يجمع في الرادة على كل صفة يوصف بها الله ، فلا يزال يتخطاها ، ثم يتخطاها

كلمة استصع الريدة اللغوية حتى تفتط الصلة بينها وبين جميع المدلولات المفهومة أو المطلوبة ويرجح الآكثرون أن «أفلاطون» نفسه لم يكن يتصور ما يصوره من تدث الصفات ، وإن كانت عاينه العصى أن يذهب بالتصور إلى سقطع العجز والإعياء

ومن ذلك : أنه يكر صفة الوحدانية ليقول بصفة لأحدية ، ويقول : إن الواحد غير الواحد ؛ لأن الواحد قد يدخل فى عدد الاثنين والثلاثة والعشرة ، ولا يكون الأحد إلا مفردا بغير تكرار .

ومن ذلك : أنه يكر صفة الوجود ليقول إن الله لا يوصف بأنه موجود ، تنزيها له عن الصفة التى يقدها العدم ونشترك فيها الموجودات أو الحوادث

لهذا يصربون امثل بأرسطو فى نفيه الإله ، ولا يصربون المثل بأفلاطون ؛ لأن مدعه يقطع فى صومعة من عيبوبة الدهول لا تخرج بحياة فكرية ولا بحياة عملية

ومذهب أرسطو فى الإله : أنه كائن أرلى أبدي مطلق الكمال لا أول له ولا آخر ، ولا عمل له ولا إرادة ، منذ كان العمل طلب لشيء ، ونله عى عن كل طلب ، وقد كانت الإرادة اختاراً بين أمرين ، والله قد احتتمع عده الأصلح الأفصل من كر كمال ؛ فلا حاجة به إلى الاختار بين صالح وغير صالح ، ولا بين فاصل ومفصول وليس عما ياسب الإله فى رأى أرسطو : أن يبتدئ العمل فى زمان ؛ لأنه أبدي سرمدى لا يطرأ عليه طارئ يدعو إلى العمل ، ولا يستجد عليه من جديد فى وجوده المطلق بلا أول ولا آخر ولا جديد ولا قديم وكل ما ياسب كماله فهو السعادة بنعمة بقائه التى لا بُعْية وراها ولا نعمة فوقها ولا دونها ، ولا تخرج من نطاقها عناية تعيه

فالإله الكامل المطلق الكمال لا يعيه أن يخلق العالم أو يخلق مادته الأولى وهى «الهيولى» ، ولكن هذه «الهيولى» قابلية للوجود يخرجها من القوة إلى العمل شوقها إلى الوجود الذى يعض عليها من قتل الإله ، فيدفعها هذا الشوق إلى الوجود ثم يدفعها من النقص إلى الكمال المستطاع فى حدودها ، فتتحرك ونعمل بما فيها من الشوق والقدسية ، ولا يعال عنها ؛ إنها من خلقة الله ، لا أن تكون الخلقة على هذا الاعتار .

كمال مطلق لا يعمل ولا يريد .

أو كمال مطلق يوشك أن يكون هو والعدم لطلق على حد سواء

ولذا ذكر أنه أرسطو صاحب هذا المنهج قبل كل شيء ،

ولذا ذكر أنه ذلك العقل الهائل الذي يهابه من يحس قدرته ؛ فلا يحترئ عليه
بالفد والسفيه قبل أن يفرع جهده في التماس المعرفة له من جهل عصره وقصور
الأفكار حوله لا من جهله هو أو قصور تفكيره فإنه لم يعودنا في تفكيره احتجاباً
قط لا يقصبه قصارى مداه ، ولا يتوفى مقتضياته ومواعده جهداً ما في الطاقة
الإنسانية من استيعاء .

لندكر أنه أرسطو ؛ لكي ندكر أن هذا العمل النادر لم يؤت من بعض في تصور
الصفات العنوية إلا لأنه عاش في زمان لم تتكشف فيه المعرفة من خصائص هذه
الكائنات الأرضية «السفلى» التي يحسها ويعيش بينها ، ولو أنه عرف ما هو لاصق
بها من خصائصها وأعراصها لكان له رأى في الكمال لعلوى غير ذلك الذي ارتأه
محض الظن والقياس على غير مقياس -

لقد كان يفهم من كمال الكائنات العلوية - السماوية - أنها حاللة باقية لا
تضيء ؛ لأنها من نور ، والنور بسيط لا يعرض له الفناء كما يعرض على التركيب
ولو أن أرسطو عاش حتى علم أن المادة الأرضية - السفلى - كنه من نور ، وأن
عناصر المادة كنهها تتحول إلى الذرات والكهارب ، وأن هذه الذرات والكهارب تتشقق
تتولد إلى شعاع - لما ساقه الظن والقياس إلى ذلك الخطأ في التعرقة بين لوازم البقاء
ولوازم الفناء ، أو بين خصائص البساطة وخصائص التركيب

ولعل إدراكه لذلك الخطأ في فهم لوازم البساطة والكمال ، ولوازم البقاء والفناء
كان حقيقاً أن يهديه إلى فهم حقيقته في تصور لوازم الكمال الإلهي - فلا يمتنع في
عقله أن يجتمع الكمال الواحد من صفات عظم كالصفات الحسنى التي وصف بها
الإله في الإسلام ، ومنها الرحمة والكرم والقدره والصنع والإرادة ، ولا يمتنع في
عقله أن يكون لهذه الصفات ليراعى مخصصاتها ؛ إذ لا يكون قدره يعبر مقصور
بشيء ، ولا يكون كرمه يعبر بغيره ، ولا يكون مخصصه يعبر أحد من أمورهم ، وإذا

اختار الله أمراً فهو لا يختاره لذاته - سبحانه وتعالى - بل يختاره لمخلوقاته التي تجوز عليها حالات شتى لا تجوز في حق الإله ، وإذا حقق الله شيئاً في الزمان فلا ينظر إلى الأبدية الإلهية بل ينسحب أن ينظر إلى الشيء الموجود على المخلوق في زمانه ثم لا مانع عقلاً من أن تتعلق به إرادة الله الأبدية على أن يكون حيث كان في زمن الأزمان .

نقد كان مفهوم الساطعة في الأبدية الباقية عند أرسطو عبر مفهومها الذي لمسه اليوم لما هي هذه الكائنات الأرضية السعيدة . فلا حرم يكون مفهوم الكمال المطلق عند غير مفهومه الذي جعله أرسطو أشبه شيء ، بالعدم المطلق غير عامل ولا مرید ولا عالم بسوى السعة والسعادة ، قانع بأنه معمم سعيد .



وعلى هذا سقى لنا أن نسأل : هل استطاع أرسطو بتحريره الفلسفي أن يسمو بالكمال الأعلى فوق مرتبة التي يستند إليها بلسم من عقده دسه ؟

يقول عن يقين : كلا ؛ فإن الله في الإسلام إنه صمد لا أول له ولا آخر ، وله المنى الأعلى ؛ فليس كمثله شيء ، وهو محيط بكل شيء .

ثم يبقى بعد ذلك أن نسأل : هل تعض العفيدة الدينية من الفكرة الفلسفية في منهج التنزيه ؟

واخواب : كلا ؛ بل الذي هاهنا فلسفة أصبح من الفلسفة إذا قيست بالقياس الفلسفي الصحيح ؛ لأن صفات الإله التي تعددت في عفيفة الإسلام لا تعدل أن تكون ممثلة لصفات التي لا تجوز في حق الإله ، وليس تعدد الصفات مما يقتضي تعدد الكمال ، مطلق الذي يفرد ولا يتعدد . فإن الكمال المطلق واحد والصفات كثيرة بنفسها جميعاً تلك الكمال الواحد ، وما إيمان المسلم بأن الله عليم قدير فعال لما يريد كريم رحيم ، إلا إيمان بأنه - حل وعلا - قد تنزه عن صفات الجهل والعجز والخذل والعثم ؛ فهو كامل مره عن جميع الصفات ، ومقتضى قدرته أن يعمل ويحدث ويريد لخلق ما يشاء ، ومقتضى عمله وحقيقته أن ينزه عن تلك العزلة والعفيدة التي يرونها أرسطو محضاً في التحرير والتبريد ، فهو سعيد بسعة كماله

سعيد بنعمة عطائه ، كفايته لداته العبة لا تأتى له أن يعيىص عىى خلق كفايتهم من الوجود فى الزمان ، أى من تلك الوجود المحدود الذى لا يعص من وجود الله فى الأبد بلا أول ولا آخر ولا شريك ولا مثيل .

ومن صفات الله فى الإسلام ما يعتبر ردً على فكرة الله فى الفلسفة لأرسطية ، كما يعتبر رداً على أصحاب التأويل فى الأديان الكتابية وغير الكتابية

فالله عند أرسطو يعقل ذاته ولا يعقل ما دونه ، ويتبره عن لإرادة ، لأن الإرادة طلب عى رأيه والله كمال لا يطلب شيئاً غير ذاته ، ويحص عن عدم الكلبيات واخرثيات ، لأنه يحجبها من علم العقول البشرية ، ولا يعنى بالخلق رحمة ولا مسوة ، لأن الخلق أحرى أن يعصب للكمال بالسعى إليه ، ولكن الله فى الإسلام عالم العيب والشهادة

[صيا ٣] ﴿ لَا يَغْرِبُ عَنْهُ ثِقَالُ ذُرَّةٍ ﴾

[يس ٧٩] ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[المؤمنون : ١٧] ﴿ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

[الأعراف : ٨٩] ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

[الأعراف ٥٤] ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

[فاطر ٢٨] ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

﴿ وَفَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةً عَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَتُعْزِزُهُمْ قُلُوبُهُمْ بِمَا قَالُوا أَلَيْسَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤]

وفى هذه الآية رد على يهود العرب بحاسة خاصة تتعلق بالركاة والصدقات - كما جاء فى أقوال بعض المفسرين - ولكنها برد عىى كل من يعون إرادة الله على وجه من الوجوه ، ولا بعد أن يكون فى يهود الجزيرة من يشير إلى رواية من رويت انفسفة الأرسطية لتلك المقال

وقد أئرد القرآن الكريم إلى الخلاف بين الأديان المتعددة ، فجاء فيه من سورة الحج :

﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج ١٧]
وأشار إلى الدهريين ، صجده في سورة الأنعام .

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِدَلِيلٍ
مَنْ عِلْمٌ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجنانية ٢٤]

فكانت فكرة الله في لإسلام هي الفكرة المتممة لأفكار كثيرة موزعة في هذه
العقائد الدينية ، وفي المذهب الفلسفية التي تدور عليها ؛ ولهذا بلغت المنى لأعلى
في صفات الذات الإلهية ، وتضمنت تصحيحاً لمضامين وتصحيحاً للعقول في
مفهوم ما يسعى لكمال الله ، بمقتضى الإيمان ومقتضى النظر والقياس

ومن ثم كان فكر الإنسان من وسائل الوصول إلى معرفة الله في الإسلام ، وإن
كانت الهداية كلها من الله .

ومحصل ما يقال عن عقيدة الذات الإلهية التي جاء بها الإسلام أن الذات
الإلهية عايه ما يتصوره العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات ، وقد جاء
الإسلام بالعقول المفضل في مسألة البقاء والعناء ، فالعقل لا يتصور للوجود الدائم
والوجود العائى صورة أقرب إلى الفهم من صورتيهما في العقيدة الإسلامية ، لأن
العقل لا يتصور وجودين سرمديين ، كلاهما غير مخلوق ، أحدهما مجرد والآخر
مادة ، وهذا وذلك ليس لهما انداء وليس لهما انتهاء

وبكده تصور وجوداً أبدى يخلق وجوداً زمانياً ، أو يتصور وجوداً يدوم ووجوداً
سدى ويسهى هو الرمان

وقديماً قال أهل الطوب وأصاب فيما قال « إن الرمان محاكاة للأبد لأنه
مخلوق ، والأبد غير مخلوق »

بقاء المخلوقات بقاء في الزمن ، وبقاء الخالق بقاء أبدى سرمدى لا يحده المضى
والمستقبل ؛ لأنها كلها من حدود الحركة والانتقال في تصور أبناء الفناء ،
ولا تجوز في حق الخالق السرمدى حركة ولا انتقال

ولله هو: ﴿الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾

[الفرقان : ٥٨]

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

[المختصون ٨]

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾... (١)

[القصص ١٨]

وأيا كان يرتقى الذي ارتفع إليه تنزله الفكرة الإلهية في مذهب أرسطو كما شرحناه بعض الشرح، أو مذهب أفلطون كما أرمأنا إليه بعض الإيحاء عهد السيرة الفلسفي ومة مُتَمَنَّة عن البيئة التي عاش فيها الفيلسوفان، ويكاد هذا التنزيه الفلسفي أن يكون حياً حياً بالتمسك إلى العقائد الإلهية التي كانت حاضرة بين الكهان والمتعبد من أبناء اليونان

فلا شك أن صورة «ريوس» رب الأرباب عندهم كانت أقرب إلى صورة الشيطان
منها إلى صورة الأرباب المنزهين ، ولولم يمنع وصف التزيه عندهم بصيغاً ملحوظاً
من الكمال

كان «زيوس» حقوداً لدوداً مشعولاً شهوت الطعام والعزم ، لا يبالى من شئون الأرباب والمخوقات إلا ما يعينه على حفظ سلطانه والتمادى فى طغيانه ، وكان يغضب على «أسقولاب» إله الطب ، لأنه يدوى امرضى فيحرمه حبايه الصربية على أرواح الموتى الذين يسبقون من طهر لأرض إلى باطن الهاوية ، وكان يعصب على «برومثيوس» إله المعرفة والصناعة ، لأنه يعلم للإنسان أن يستخدم النار فى الصناعات وأن يتخذ من المعرفة قوة تضارع قوة الأرباب ، وقد حكم عليه بالعقاب الدائم فلم يفتح بومه ولا يرقصائه عن حظيرة الآلهة ، بل تقص فى احسار ألوان العذاب له فميدته إلى جبل سحيق ، وأرسل عليه جوارح الطير تهش كسده طوال النهار حتى إذا حن الليل عادت سليمة فى بده تعود الجوارح إلى بهشها بعد مطيع الشمس ولا يزال هكذا دواليك فى العذاب الدائم مردود الشعاعة مرفوض الدعاء وما رواه الشاعر الفيلسوف «هريود» عن عنة عصب الإله على «برومثيوس» . أنه قسم له نصيبه من الطعام فى وليمة لأرباب فأكثر فيه من العظم ، وأقل فيه من اللحوم والشحوم ، فاعتقد «زيوس» أنه يتعامل عليه معرفته

(۱) میرنگویں ذالہ و الموملے

وعطسه . لأنه اشتهر بين الآلهة بعروقه وافرقة وعطسه بامده لم يشتهر بها الإله الكبير ولا بعنه عا ونحو بروي أحبار الإله الكبير صفونه عن «هريود» أن هذا الشاعر العبدسوف قد احتشد قصارى احتشاده فى تربيته «زيوس» وتصويره للناس فى صورة من القداسة والعظمة تناسب صورة الإله المعبود بعد ارتقاء العبادة شيئاً ما فى ديانته اليونان الأقدمين

وعما روه الرواة المحلفون عن «زيوس» أنه كان يحادع زوجته «هيرة» ، ويرسل إله العمام بندرة الشمس فى مطلعها ، حذراً من هبوب زوجته العيرى عليه مع مطلع النهار ومخاضاته بين عشيقاته على عرش «الأوليمب» . وحدث مره أبهى وحادثه وهو يقبل ساقية «حاييميد» راعى الضأن الحميل الذى لحه يوماً فى الحلاء فاحتشمه وصعد به إلى السماء . . فلم يتنص «زيوس» من تهمة الشغف بساقيه ، ومضى يسرع مسكه لزوجته عما جهلته من لذة الجمع بين رحيق الكأس ورحيق الشعاه



ومثل الأمم القديمة كمثل اليونان فى بعد الصرق بين صورة الإله فى حكمه العلامسة وبين صورته فى شعائر الكهان والمتعدين .

والهند القديمة كانت تطوى هياكلها ومعابدها على صوائف من لأرباب . منها ما يلحق بأحيوان وعناصر الطبيعة ، ومنها ما ينحى بالأوثان والأنصاب ، وكثير منها يتطلب سدنته أن يتقربوا بالعباء المقدس وسعدت السماء

وقد نهت هذه الأرباب المتعددة إلى الثلاث الأبدى الذى اشتعل على ثلاث من الصور الإلهية هى الإله «براهما» فى صورة الخالق ، والإله «فيشر» فى صورة الحافظ والإله «سيما» فى صورة الهادم . فجعلوا الهدم والفساد من عمل الإله الأعلى الذى يتولاه حين يتشكل لعباده فى تلك الصورة .

ورادو على ذلك أنهم جعلوا لكل إله قريباً بسموه «الشاكتنى» أو الزوجة أو الناحية ، يسبون إليها من الشرور ما ينزهون عنه قريبها أو صاحبها

فهذه الأرباب صور لا تتباعد انصافه بينها وبين صور الشياطين والعفاريت والأرواح الخبيثة المعهودة فى أقدم الديانات

فيإذا ارتفعنا في معارج التنزيه والتخريد بلعن منها دروتها العليا في صورتين مختلفتين : أحدهما صورة «الكارما» karma ، والصورة الأخرى «البرقا» NIRVAN ، وكلتاهما تحسب من قبيل المعنى الذهنية ، وقيل أن توصف بوصف الذات الإلهية

فالكارما هي القدر العال على جميع الوجودات ومنها الآلهة وأهللك السماء ، وهذا القدر هو هي الواقع حالة من حالات العمة يكرر أن نعر عنها بأنها هي «ما يسعى» ، أو هي الوضع الحاصل على النحو لأمثل . فليس القدر المسمى بالكارما عندهم ذاتاً إلهية معروفة الصفات ، ولكنه مرادف لكلمة «الانتفاء» أو كلمة «الواجب» كما وجب في الحوادث والوجودات .

والبرقا حالة عامة كحالة الكارما ، إلا أنها إلى العدم أقرب منها إلى الوجود ، لأنها حالة لنى تنتهى إليها جميع الأرواح حين يفرغ من عباء الوجود وتتجرد من شوائع الأحساد وشوائع الأرواح على السواء ، وتتساوى أرواح الآلهة وأرواح البشر في حالة البرقا هذه كلما سعدت بعبه الخلود غير محسوس ولا مشهود



ولسنا نريد في هذه الصفحات القليلة أن نتبع انصور الإلهية والربوبية كافة بين أمم الحضارات الأولى ، وإنما نجتريئ منها بالمصادح الدالة عليها فيما ارتقت إليه من التنزيه وفما هضت إليه من التحسيم أو التشبيه أو التشويه ؛ وهذا يغنيا عن الاسترسال في شرح عادات الأقدسين أن نصيف إلى ما تقدم مثلاً آخر يعم أمثلة اليونان وانهمد ، وذلك هو مثل الديانة المصرية القديمة من أبعاد عهود الفراعنة إلى عهد الديانات الكسنة ، وهي - أى الديانة المصرية القديمة - أرفع الديانات فيما تعلم ترفيهاً إلى دروة الموحيد والتنزيه ، وإن كانت في عبادتها الشائعة تهبط أحياناً إلى مهبط الديانات العبرية من عباد الطواغم والأنصاب ، وعبادة الأرواح الخبيثة والشياطين .

سعدت ديانة مصر العديده دروبها العليا من الموحيد والتنزيه في ديانته «آتون» التى شررها الفرعون المسبوق إليه «أخمتون»

ويؤخذ من صلوات «أخمتون» ملحوظة من أنبساط . أنه كان يصلى إلى خلق واحد يتكاد يعبرف في صفاته من الآلهة الخالى الذى يصلى به العارفون من أنبغ

الديانات الكسائية ، لولا شائبة من العبادة الوثنية عثقت به من عبادة الشمس ، فكانت هذه الشمس الديوية رمزاً له ومرادفاً لاسمه فى معظم الصلوات



هذه الشواهد من التاريخ القديم شواهد تمثل لا شواهد حصر وتفصيل ، وهى معنية فى الدلالة على المدى الذى وصل إليه تنزير الفكرة الإلهية فى أم التاريخ القديم جميعها ؛ لأنها تدل على ما وصلت إليه الفكرة الإلهية امره فى أرفع الحصارات الأولى وهى الحصارة المصرية ، والحصارة الهندية ، والحصارة اليونانية

وجملة الملاحظات على تنزير الفكرة الإلهية عند الأقدمين أنه كان تنزيراً خاصاً مقصوراً على الفئة القليلة من المفكرين والمطلعين على صفوة لأسرار الدينية .

ثم يلاحظ عليه بعد ذلك أنه تنزير لم يسلم فى كل أونة من ضعف يعيبه عقلاً ويجعله غير صالح للأخذ به فى ديانات الجماعة على الخصوص .

ففى الديانة المصرية لم يسلم فكرة التوحيد من شائبة الوثنية ، وبم نزل عبادة الشمس ظاهرة الأثر فى عبادة «أتون» .

وديانة الهند لم تعلم الناس لإيمان «بذات إلهية» معروفة الصفات ، وليس فى معبوداتها أشرف من انكارها والبرقاد ، وهما بالمعنى الذهبية أشبه مهما بالكائنات الحية ، وإحداهما - وهى البرقاد - إلى الصاء أقرب منها إلى البقاء

والتنزير الفلسفى الذى ارتقت إليه حكمة اليونان فى مذهب أرسطو يكاد يحقق الكمال المطلق بالعدم المطلق ، ويحصر لنا صوره للإله لا تصلح للإيمان بها ولا للاقتناع بها على هدى من الفهم الصحيح .

وكن أوثق لا يبلغ بالتنزير الإلهى مبلغه الذى جاءت به الديانة الإسلامية صالحاً للإيمان به فى العقيدة الدينية ، وصالحاً للأخذ به فى مذاهب التفكير

والديانة الإسلامية - كما هو معلوم - ثلاثة أديانات مشهورة باسم الديانات الكتابية ، مكانها فى علم المقارنات بين الأديان مرتبط بمكان الديانتين لأخرين وهما للموسوية والمسيحية ، وتجرى المقارنة بين الإسلام وبينهما فعلاً فى كتابات العربى ، فلا يتوغل أكثرهم من حساب الإسلام سحرة مشوهة أو معروفة من المسححة أو الموسوية !

والمسألة - بعد - مسألة بصوص محفوظة وشعائر ملحوظة ، لا تحصل جدل
الضويل في ميزان النقد والمعرفة ، وإن احتملته في مجال الدعوة والخصومة العصبية ،
ولا حاجة في المقارنة بين هذه الديانات إلى أكثر من ذكر العقيدة الإلهية في كل
منها ؛ للعلم الصحيح بمكانها من السريه في حكم الدين وحكم المعرفة النظرية

إن المراجع التي تلقينا منها عمائد العبريين - كما ندين بها أساع الديانة الموسوية
إلى يومنا هذا - مبسوطه بين أيدي جميع القادرين على مطالعتها في لغاتها
الأصيلة أو لغاتها المترجمة ، وأشهرها التوراة والتلمود

فصورة الإله في هذه المراجع من أوائلها إلى أواخرها هي صورة «يهو» إله شعب
إسرائيل ، وهي صورة بعيدة عن الواحد فيه ، يشترك معها آلهة كثيرون تعبدونها الأمم
التي حاورت العبريين في أوطان بشائهم وأوطان هجرتهم ، ولكن «يهو» يغار منها
ولا يريد من شعب إسرائيل أن يلتفت إليها ؛ لأنه يريد أن يستأثر بشعب إسرائيل
لهبته بين سائر الشعوب ، وأن يستأثر شعب إسرائيل به لأفهم بين سائر
الآلهة ، وكان إذا غضب منهم لانتعائهم إلى غيره قال لهم - كما جاء في سفر
أشعيا الثاني - «من يشعوسي وسووسي وخنلوسي لنتشابه؟» . وكان النبي أرميا
يقول لهم بلسان الرب إلههم : «إن أبناءكم قد تركوني وعبسوا وراء آلهة أخرى
وعبدوها وسجدوا لها ، وإني تركو ، وشريعتي لم يحفظوا » ، ثم يقول الرب :
« وأعطيهم قسًا ليعرفوا أنني أنا الرب ، فيكونون لي شعبًا ، وأن أكون لهم إلهًا »

فلم يكن العبريون يسكرون وجود ، لآلهة الكثيرين غير إلههم الذي يعبدونه تارة ،
ويتركونه تارة أخرى ، ولكنهم كانوا يحسبون الكهنة صربًا من حياة الرعية لميكها
واعرفهم بالطاعة لغيره من الملوك القاطنين بالملك هي أرض غير أرضه وبين رعيه
غير رعيته ، وإن تركوا «يهو» حينئذ من الرمن ثم أثروا الرجعة إلى عبادته فبما
يرجعون إليه ؛ لاعتقدهم بالتجربة المرعومة أنه أقدر على النكابة بهم ، وأن الآنية
الأخرى عجزت عن حمايتهم من سطوته وانتقامه

وقد وصفوه في كتبهم المقدسة فقالوا عنه مرة إنه يحب ريح الشواء . وقالوا عنه
مرة أخرى إنه يتمشى في ظلال الحديقة لسرد يهوئها . وقالوا عنه - عبر هذا
وذاك : إنه يصارع عباده وبصارعونه ، وبه يخاف من مركبات الخيل كما يخافها

حدوده ، وعُتِرُوا رَدْحًا من الدهر وهم يسوؤون بينه وبين عذاريل شيطان البرية فيتقربون إليه بدبيحة ، ويتقربون إلى الشيطان بدبيحة مثلها

ومن تسع سعوت «يهو» من أوائل أيام العبريين في أوطان شأنتهم وأوطان هجرتهم ، إلى أواخرها قبل عصر ميلاد المسيح لم يتبين من تلك السعوت أنهم وسعوا أفق العادة لهذا الإله ، ولا أنهم وسعوا مجال الخطوة عنده ، بل إنه يتبين من سعوته السابقة وفلاحفة أنهم كانوا بصيغور أفق عبادته ، ويخصرون صحن الخطوة عنده حيلًا بعد حيل . فكان شعبه مختار في مبدأ الأمر عامًا شاملاً شاملاً لقوم إبراهيم ، ثم أصبح بعد بضعة قرون محصورًا مقصورًا على قوم يعقوب بن إسحق ثم أصبح بعد ذلك محصورًا مقصورًا على قوم موسى ثم على أبناء داود وعلى من يدينون لعمرته بالولاء . ومن دريته كان يسعى أن يظهر المسيح مخلص لهم في آخر الزمان .



وجحد العبريون على عقيدتهم لإلهية . قطل «يهوا» إلهًا عبريًا يستأثر به أبناء يعقوب بن إسحق ، ولا يرحو الخلاص بمعونة منه إلا الذين يدينون بالولاء لعرش داود وذريته من بعده . فهم يتعير هذا الأعمقاد بين العبريين قبل عصر الميلاد المسيح ، ولم تأب التعبير فيه من قبل أبناء إسرائيل المخاضين على عقيدتهم الأولى ؛ بل أثنى هذا التعبير من قبل المصلحين المجددين في الدين اليهودي ، وقام به من بينهم رسول مخلص عليه في شرعتهم عنهم بالهروك من رمرتهم ، وهو عيسى ابن مريم ، رضوان الله عليه

واستأد عيسى ابن مريم دعوته الأولى محتضًا بها بنى إسرائيل دون سواهم من العلين ، وذكرت لنا لأناجيل تفصيل الحوار الذي دار بين السيد المسيح وبين المرأة الكنعانية التي توسلت إليه أن يخرج الشيطان من ابنتها ، فروى إنجيل مرقس في الأصحاح السابع :

«إن امرأة كانت لها ابنة مملوءة روح نجس . فأتت وحررت عنه قدميه ، وكانت امرأة أجنبية . أي من أبناء الأمم عبر لإسرائيلية . وهي حسنها فيبقية سورية ، فسأله أن يخرج الشيطان من ابنتها ، فقال يسوع لها : دعى السبع أولاً شبعون ؛ لأنه ليس

حسباً أن يؤخذ حبر البني ويطرح للكلاب فأحاست وقالت نعم ، يا سيد ،
والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل فتات البني فقال لها لأجل هذه الكنسة
اذهبي قد خرج الشيطان من انثث . . . » .

إن السيد المسيح «خرج من هناك و نصرف إلى نواحي صور وصيدا ، وإذا امرأة
كنعانية حارحة من تلك النخوم صرحت إليه قائلة : ارحمني ، يا سيد ، ابن داود ،
ابني محتونة جداً فتم يحسها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وضو إليه قائلين اصرفها ؛
لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى حراف بيت إسرائيل الصلاة .
فأتت ومسجدت له قائلة يا سيد ، أعنني فأجاب وقال : ليس حسباً أن يؤخذ حبر
البني ويطرح للكلاب فقالت نعم ، يا سيد ، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات
التي يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم
إيمانك ، ليكن لك كما تريد . فشفيت ابتثها من تلك الساعة » .

ونحن نعلم من هذه القصة ومن حملة أحبار التلاميذ في لاذ حيل أن السيد
المسيح قد تدبر على احتصاص بني إسرائيل بدعوته ، ولم يتحول عنهم إلى غيرهم ، لا
بعد إصرارهم على رفضه ولحاحهم في إنكار رسالته ، فوجد بعد اليأس منهم أنه في
حل من صرف الدعوة عنهم إلى الأمم لقيمة بينهم ، وضرب مثل تلك صاحب الدار
الذي أقام ولبمه العرس في داره ، وأرسل الدعوة إلى ذويه وحضرته ، فتعلوا بالمعاديير
والشواغل ولم يستجيبوا لدعوته ، فأطلق عماله إلى أعطاف الطريق يدعون من
يصدهم من الغراء وعابري السبيل ، على غير معرفة بهم ولا صلة بينه وبينهم ، حتى
امتلات بهم الدار ، ولم يبق على الموائد مكان من احتصمهم بالدعوة ، فأعرضوا عنها

وبلاحظ في قصة المرأة الكنعانية أنها كانت تدعو المسيح بالسيد ابن داود ، وأن
عقيدة العبريين لم تول تعلق أسألهم بالخلاص على يد رسول من ذرية داود ومن
سلالة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .

ومضى عصر المسيح ، وجاء بعده عصر بولس الرسول ، وعقيدة الخلاص الموقوف
على سلالة إبراهيم الخليل باقية مسلمة بين العبريين الخاضعين على تقاليدهم وبين
المسيحيين المتحررين من تلك العقائد ، وإن أصيب إليها تفسير جديد لهذه الحياة ،
وهو أنها سوة روحية لا تتوهف على سوة جسم ، ولا تفرق بينها بين من يحسون سوة

إبراهيم الخليل من العبريين أو من الأميين الذين يسميهم العبريون «اباخوييم» ،
أي : الأقوام العبرياء .

فالعقيدة الإلهية - كما دأب بها العبريون ، وحننوا عليها إلى عصر ميلاد - إنما
هي عقيدة شعب مختار بين الشعوب في إله مختار بين الآلهة ، وليس في هذه
العقيدة إيمان بالتوحيد ، ولا هي مما يتسع لديانة إنسانية أو مما يصح أن يحسبه
الباحث المنصف مقدمة للإيمان بالإله الذي يدعو إليه الإسلام

ثم تطورت هذه العقيدة الإلهية بعد ظهور المسيحية ، فاستقلت من الإيمان بالإله
لأساء إبراهيم في الجسد إلى الإله لأساء إبراهيم في الروح ، وبقي عصر السيد
المسيح وعصر بولس الرسول ، وانصلت المسيحية بالأمم الأجنبية وفي مقدمتها
الامة انصرية - فشاعت فيها على إثر ذلك عقيدة إلهية جديدة في مذهب العبريين ،
وهي عقيدة الثالوث المجمع من الأب والابن والروح القدس ، وفحواها أن المسيح
المخلص هو ابن الله ، وأن الله أرسه فداء لأساء آدم وحواء ، وكفارة عن الخطيئة التي
وفعا فيها عندما أكلوا من شجرة المعرفة في الجنة بعد أن بهاهما عن الاقتراب منها

وظهر الإسلام وفحوى العقيدة الإلهية كما تطورت بها الديانة المسيحية : أن الله
الإله واحد من أقسم ثلاثة هي الأب والابن والروح القدس ، وأن المسيح هو الابن
من هذه الأقسام ، وهو ذو طبيعة إلهية واحدة في مذهب فريق من المسيحيين ، وذو
طبعتين - إلهية ، وإنسانية - في مذهب فريق آخر

ومن البديهي أن الباحث الذي يريد تطبيق علم المقارنة بين الأديان على المسيحية
والإسلام مطالب بالرجوع إلى حالة الديانة المسيحية حيث ظهرت دعوة الإسلام في
الجزيرة العربية ، فلا يجوز لأحد من هؤلاء الباحثين أن يرغم أن الإسلام نسخة معروفة من
المسيحية ولا إذا اعتقد أن في الإسلام قد أخذ من المسيحية كما عرفها في شبه الجزيرة
وفيما اتصل به من البعثات الأخرى حول جزيرة العرب - ومهم يكن من تطور العقائد
المسيحية في سائر البعثات ومختلف العصور ، فالعقيدة المسيحية التي يجوز لصاحب
المقارنة بين الأديان أن يجعلها قدوة للإسلام إنما هي عقيدة المسيحيين في الجزيرة العربية
وما حولها ، وقد وصف « جورج سبيل » مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية حالة المسيحيين
في الحجاز وفي سائر أنحاء الجزيرة منها فقال ما نقله من مقدمة ترجمته بقرآن :

فيه من المحقق أن ما أُلِمَ بالكيسة الشرقية من الاصطهاد واحتلال الأحوال في صدر المائة الثالثة للميلاد قد اضطّر كثيرين من مصرها أن يلجأوا إلى بلاد العرب ؛ طناً بحرية ، وكان معظمهم بعاقبة ، فهذا كان معظم نصارى العرب من هذه العرقة . وأهم المسائل التي تنصرت ، حميرٌ وغسانٌ وربيعةٌ ونعْبٌ ويهرٌ وتثُوحٌ وبعضُ طيئٍ وقصاعةٌ وأهل بحران وخيرة . ولما كانت المصرية بهذه المائة من الاسداد في بلاد العرب رُم عن تلك - ولا بد - أنه كان للنصارى أسبغة في مواضع حمة ؛ لتضم بهم سياسة الكنائس وقد تقدم ذكر أسقف حمير وقال بعضهم كانت عِمران مقام أسقف ، وكان للبعاقبة أسقفان يدعى أحدهما أسقف العرب بإطلاق اللفظ ، وكان مقامه ساكوله ، وهي الكوفة عند بن العبرى أو بلدة أخرى بالقرب من بغداد عند أسى القدماء ، وثالثهما يدعى أسقف العرب السعديين ومقامه بالحيرة أما الساطرة فلم يكن لهم على هذين الكرسيين سوى أسقف واحد تحت رئاسة بطريكتهم»

والى أن يقول :

لأن الكيسة الشرقية فيها أصبحت بعد انفصاض المجمع السفاري مرتبة مناقشات لا يكاد تنفصى ، واسفص حله بمحاكاة لأريوسيين والساطرة واليعقوبية وغيرهم من أهل البدع ، على أن الذى ثبت بعد البحث أن كلاً منهم مدعى الساطرة واليعقوبية كانت بأن تدعى احتلاقاً فى التعبير عن المعتقد أولى من أن تدعى احتلاقاً فى المعتقد نفسه ، وأن تدعى حجة يتعب بها كل من المايطرين على لآخر أولى من أن تدعى سناً موحداً للانشام مجامع عديدة يتردد إليها جماعة الفسائسة والامسقة ، وينماحكون لعل كل واحد منهم كدته ، ويحين القضايا إلى هواه ثم إن تاهدى الكلمة منهم وأصحاب لنكاته فى قصر الملك كان كل واحد منهم يحتص نفراً من قواد الخيش أو من أصحاب الخطب يكون لهم عليهم الولاء ويتقوى بهم ، ويلتص صارت المناصب تمال بالرشا والنصفة تباع وتشرى جهراً أما الكيسة العربية فقد كان فيها من تهالك دماسوس وأرسكينوس فى لمشاحنة على منصة الأسقية - أى أسقية روما - ما أفضى إلى احتدام نار الفتنة وسمك الدماء بين حريتهم ، وكان أكثر ما تنشأ المناقشات من الفاصره أنفسهم ، ولا سيما القيصر مسططوبوس ؛ فيه إدلم أن يميز بين

صحيح الدين المسيحي وحرافات العجائز ربك الدين بكثير من المسائل الخلافية هذا ما كان عليه حالة النصرانية في بلاد العرب ، أما في بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا فلم تكن حيرة من ذلك فكان في نصارى العرب قوم يعتقدون أن النقص موت مع الجسد وتنتشر معه في اليوم الآخر ، وقيل إن أوريجانوس هو الذي دس فيهم هذا المذهب ، وكم وكم من بدعة انتشرت في جزيرة العرب حتى لا يقرب نشأت فيها! فمن ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم ويعبدونها كأنها هي الله ، ويقربون لها أقراصا مصغرة من الرقائق يقال لها - كليرمس - وبها سمي أصحاب هذه البدع كليريين . . . وفصلاً عن ذلك فقد اجتمع - أيضاً - في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء لحأوا إليها ؛ هرباً من اضطهاد القياصرة . . . ١

كانت عقائد الفرق المسيحية في جزيرة العرب ، وفي العالم المسمى حول جزيرة العرب على هذا النحو الذي وصفه رجل متعصب على الإسلام ، لا يهتم بحياته ، ولا يُعَلِّسُ به أن يتحائف على المسيحية وهو قادر على مداراتها ومن الواضح البين أن عقائد الفرق المسيحية على ذلك النحو لم تكن بما يغري بالإعجاب أو بما يدعو إلى الاقتداء . ومن الواضح البين أن موقف الإسلام كان موقف الصحيح المسمم ولم يكن موقف الباقل المستعير بغير فهم ولا تروية .

فقد جاء الإسلام بالدعوة إلى إله منزّه عن لوثة الشرك ، مرء عن جهالة انعصمية وسلالة السب ، منزّه عن التسميه الذي تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية

فقاله الذي يؤمن به المسلمون إله واحد لم يكن له شركاء ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

وما هو برز قبيلة ولا سلالة يؤثرها على سواه بغير مآثرة ، ولكنه هو ﴿وَبُالْعَالَمِينَ﴾ (١) ، خلق الناس جميعاً ليسعارفوا ويتفاضلوا بالتنوي ؛ فلا فضل بينهم لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالنقود

(١) النكوير : ٢٩

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾
[الحجرات: ١٣]

وهو واحد أحد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ولم يكن له كفواً أحدٌ (٤)
[الإخلاص: ١، ٢]

لا يأخذ إنساناً بدن إنسان ، ولا يحاسب أمة خفقت بحريّة أمة سبقت ، ولا يدين العالم كله بغير نكير .

﴿وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾
[فاطر: ١٨]

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[البقرة: ١٣٤]

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾
[الإسراء: ١٥]



وديه ديس الرحمة والعدل ، تصتح كل سورة من كتابه * بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾
[فصلت: ١٦]

و ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾
[الحديد: ٣]

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
[الأعراف: ٨٢]

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾
[يس: ٧٩]

وللبحث في مقاربات الأدباء أن يقول ما يشاء عن هذا الإله الواحد ، لأحد ، رب العالمين ، ورب المشرعين والمفكرين ، إلا أن يقول إنه نسخة مستعدة من عقائد عرب الجاهلية ، أو عقائد المرق الكشائية التي خالطت عقائد الجاهليين على النحو الذي

وصفه حورج سبيل في مقدمته لترجمة القرآن الكريم ؛ فإن العقيدة الإلهية التي تستمد من تراث الجاهليين لن تكون بها صتعة أغلب من صتعة العصبية ، ولا معجزة أظهر من معاجر الأحساب ، ولن تحدر من لوثة اشرك ، ولا من عقابيل العبادات التي امتلأت بالحوائث وحلت فيها الرقى والتعاويد محل الشعثر والصلوات .

ومعجزة المعجرات أن الإسلام لم يكن كذلك ، بل كان نقبص دلت في صراحة حاسمة جازمة لا تأدل بالهوانة ولا بالمساومة ؛ فما من حلة كانت أبغض إليه من حلة العصبية الجاهلية والمفاخرة جاهلية والتناجر بجاهلى على فوارق الأساب والأجواب

فمن صميم بلاد العصبية حرج الدين الدي بكر العصبية ، ومن خوف بلاد القبائل والعشائر حرج الدين الدي بدعو إلى إله واحد رب العالمين ورب المشرق والمغرب ، ورب الأمم الإلأبيه جميعاً ، بعب فارق بينهم مير فرق الصلاح والإيمان

على أن الباحثين الدين بصصعون منحت العلم من علماء انفارة بين الأديان في العرب يعلقون دعوتهم على الإسلام سماعة فيما يظهر من مقرر نهم أو من مكرراتهم التفيدية التي لا يدومها أنهم كنمو عقولهم - حداً وحقاً - أن نهم إلمامة واحدة بهذا الدين في جملة أو تعصين .

ففى كتاب من أحدث الكسب عن أديان سى الإنسان ألعه أسناد للمسعة فى جامعة كبيرة ، يقول المؤلف المتخصص لهذه الدراسات بعد الإشارة إلى السيف والعنف والاقتسار من النصرنة والصائبية والمجوسية .

«إن محمداً أسبغ على الله - ربه - ثوباً من خلق العربى والشخصية العربية» (١)

ويقول المؤلف :

إن «الحقيقة» التي قررناها تتحدى للباحث كلما تقدم فى دراسة هذا الدين العربى وهذه الشخصية الإلهية العربية» .

بهذا المبت التقبلى بنعت المؤلف إله الإسلام بعد أن تقدم فى دراسته على حد قوله : فماد كان عساه فائلاً لو أنه لم يسمع باسم الإسلام ، لا على لإساعة من بعد؟

(1) (Man & Religions) by Professor "John B. Noss Franklin and Marahan College

لعله لم يكن بحاجة إلى التقدم وراء السمعة في سورة الفاتحة ؛ ليعلم أن المسلم يدين برب العالمين وأنه يصف ربه بالرحمة مرتين عند الانشء بكل سورة من سور كتابه ؛ ولعله كان يحسب المقارنة جداً وحقاً ، لو أنه قنع بهذه الصفة من صفات إله الإسلام وقدرت بسماها وبين الصفات التي يختارها غير المسلمين ؛ فلا يدكرون الله مُفْتَتِحَ دَعْوَتِهِم بِعَبرِ صِفَةِ الْقُوَّةِ وَالْخُرُوتِ Almighty ؟!

فأله رب العالمين ، ملك يوم الدين ، ثم يكن سحرة محرفة من صيرة الله في عبده من العقائد الكتابية ، من كان هو الأصل الذي يشوب إليه من يحرف عن العقيدة في الإله كأكمل ما كانت عليه ، وكأكمل ما ينبغي أن يكون

ومن ثم كانت هذه العقيدة الإلهية في الإسلام مصححة متممة لكل عقيدة سبقتها في مذاهب الديانات أو مذاهب الفلسفة ومباحث الربوبية .

فهي عقيدة كاملة صححت وتمت عقيدة الهدى في الكارم والعرفاء ؛ لأنها عقيدة في خواء أو فناء مسبب الدات لا تحارب بينه وبين أساء الحياة

وهي عقيدة كاملة صححت وتمت عقيدة المعجم الأول بين فلاسفة العرب الأقدمين ؛ لأنه كان على خطأ في فهم التجريد والتنزيه ، ساقه هذا الخطأ إلى القول بكما مطلق كالعدم المطلق في التجرد من العمل ، والتجرد من الإرادة ، والتجرد من الروح .

ودين يصبح العقائد الإلهية ، ويممها فيما سبقه من ديانات الأمم وحضاراتها ومذاهب فلاسفتها . تراه من أين أتى ، ومن أي رسول كان مبعثه ومأذنه ؟!

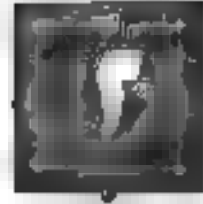
من صحراء العرب

ومن الرسول الأسمى بين الرسل السبعين بالكتب والعبادات

إن لم يكن هذا وحياً من الله فكيف يكون الوحي من الله ؟!

ليكن كيف كان في أحلام المؤسسين بالوحي الإلهي حيث كان ، هم يهتدي رجل «أسمى» في أكاف الصحراء إلى إيمان أكمل من كل إيمان تقدم إلا أن يكون ذلك وحياً من الله ، وإسه لحجر عسى المصائر والعمول أن تنكر الوحي على هذه المعصرة العليا ؛ لأنه لا يصنق عليها في صورة من صور الخنس أو الخيال

النسوة



نمت في الإسلام فكرة النسوة كما نمت فيها الفكرة الإلهية ، فبرئت هذه الرسالة السماوية من شوائب العليقة التي لصقت بها هي عقائد الأقدمين من أتباع الديانات الوثنية والديانات الكتابية ، وحلصت من بقايا السحر والكهانة كما خلصت من شعوبة الإيهام الخيالي ونسوان الحول الذي كانوا يسمونه قديماً بالحول المقدس ، لاعتمادهم أن المصدين به يحفظون قديانهم بوحى الأرواح العنوية التي تستولى عليهم ، ومع سوء الإسلام هذه الأوفى حين حصت من دعوى الخوارق والمعينات ، وهي آية النبوة الكبرى هي عرف الأقدمين

ولم تكن براعة النسوة من هذه الشوائب عرضاً مسروقاً في أطواء العقيدة بعير قصد ولا بينة ، بل كان وصف النسوة على هذه الصفة المطهرة فريضة مكتوبة على المسلم يعلمها منصوص كتابه ، ويؤمن بها بحانه برسالة الله

فما النسوة بقول ساحر ولا يفتح الساحرون - وما إلى بكاهن ولا محزون ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾ (١) كذلك سلكه في قلوب الصّحريين ﴿لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾ (٢) ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل بخر قوم مسحورون﴾ (٣) [الحجر ١١-١٥]

فليست الخوارق بما يعنى السبى هي دعوة المكابر المصون . إنه ليرغمها إذن صرياً من السحر أو السكر ، ولو فتح له لأبيد نائماً من السماء!

ولقد جاء الخوارق طائفة نبي الإسلام فصدقها الناس وأبى لهم أن يصدقوها أو يعهموها على غير حقيقتها ، ولو أنه سكنت عنها حسبوها له معجزة من المعجزات لم يتحقق مثلها من قبل لأحد من المرسلين

مات به إبراهيم ، وانكسعت الشمس ساعة دفنه ، وتصايح المسلمون حول

القبر إنها لآية من آيات الله أن تكسف الشمس فوت ابن محمد ، عليه السلام وكسوف الشمس يومئذ خير من أخبار الغيث الثوب ، أيده حساب الفلكيين في العهد الأخير ، فهو كان صلوات الله عليه رسولا من الرسل الذين يتصيدون الخوارق أو ينكرونها لأنهم لا يستطيعون أن يدعوها لما كلفته هذه الخرافة إلا أن يسكت عنها فلا يدعيها ولا ينكرها ، ولكنه لم يسر في ساعة حره أمانة الهدية للمؤمنين بدينه ، وبأدركهم لساعتها مدكر لهم بآيات الله * فإن الشمس والقمر آيتان له لا تخفان لموت أحد ولا لحياته . . .

وما بحسب أن النبوة تعظم بكرامة قط أكرم لها من التوكيد بعد التوكيد في القرآن الكريم يتمحيص هذه الرسالة السماوية لهدايه الصمائر والعقول ، غير مشروطة بما غير في لأوهام من قيام النبوة كلها على دعوى الخوارق والإساءة بالمعيبات .

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِلَيَّ مِنْ الْجُنَّاتِ ﴾ [يونس: ٢٠]

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا مَنَعَتْهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَى السُّوءُ إِلَّا أَنَا إِلَّا بَدِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ بِكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَيْتُ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]

﴿ وَعَدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٦]

بهذه العكرة الرشيدة عن النبوة يفرق الإسلام بين طريقين شاسعتين في تاريخ الأدب طريق موعلة في القدم تنحدر إلى مهد النبوة الوثنية حيث تشكك العبادة بالحر والكهانة ، ثم تقدم في خطوات وثيدة بتقوى فيها الخس بالبقعة ، وبحفاظ فيها الخرافة بالإلهام الصادق والموعظة الحسنة

وطريق تليها مرعلة في السنفل ، يفتتحها صاحب النبوة الأخيرة ، فيعلن أنه يمد البحر والكهانة ، ويرى قدسية الجوارح أو حواء القدسية ، ويروِّض بصرة

الإنسان على قبول الهدية وإن لم نروضها له روعة الخوارق ودهشة العيب المخفون ،
لأنه يروض البصيرة الإنسانية على أن تنظر وتبصر ، ولا يسوى الأعمى والبصير
ومن تأمل هذا الفارق بين الطريقتين الشاسعتين في ماريح الأدب لا حرم يطيب
التأمل ، فلا يرى عجباً أن تكون هذه السوء حاتم السبوات ، إذ كان الإصلاح بعد
موسطاً بدعوات يستطيعها من لا يدعى حارقة تفوق طاقة الإنسان ، ولا يهول العفون
بالكشف عن غيب من العيوب لا يذريه الإنسان .



وأبعد شيء عن البحث الأمين أن تعتمد المقارنة بين هذه السوء الإسلامية ونبوءات
أخرى تقدمتها فبرغم الدحث أنها سحرة محرفة منها أو مقلدة عنها ، فإن الفارق بين
سوء تقوم حجتها الكسرى على هداية العقل والضمير ونبوءات تقوم حجتها الكسرى
على الغرائب والأعاجيب . لهُو من الموارد البينة التي لا يمتري فيها باحثان مصعبان ،
ودع عث الفارق بين سوء تدعو إلى رب العالمين وسوء تدعو إلى رب سلاله أو رب
قبيلة . وربما عسرى الخطأ مقبلاً من مقاييس الحث فتساوت لديه الردة والنقص
وبعدل أمامه الراجح والمرحوح . فأتى أن يرحح النقص على الريادة فذلك هو الخطأ
الذي لا ينتجم إلا من ربح في الصبح أو عماد يتعمى عمداً عن الشمس في رابعة النهار
والواقع أن السوء الإسلامية جاءت مصححة منممة لكل ما تقدمها من فكرة
عن السوء كما كانت عمدة الإسلام ، الإلهية مصححة منممة لكل ما تقدمها من
عقائد يسي الإنسان في الإله .

ومن عجب الاستقصاء أن القرآن الكريم قد أحصى السبوات العارة بأنواعها
فلم يدع منها نوعاً واحداً يعرفه اليوم أصبح المقارنة بين الأدب ، ومن تدك
الأنواع سوء السحر ونبوءة الرؤيا ولأحلام وسوء الكهانة ونبوءة الخدب أو الحنون
المقدس وسوء السحيم وطوالع الأفلاك ، وكلها بما يدعيه المنسبتون ويدعون معه العلم
بالعيب والقدرة على تسخير بواقي الطبيعة ولكنها على اتفاقها في هذه الدعوة
تختلف مصادرهما ونظرة الناس إليها أياً اختلف

سوء السحر يحب عليها أنها موكبة بالأرواح الخبيثة تسحرها بلاصلاح على

المجبوب أو السيطرة على الأحداث والأشياء ، وببوء الكهنة يعلب عنها أنها مركبة بالآرياب لاتصيح الكاهن ولكنها تلبى دعواته وصلواته وتصح لها معالق ثجهوب في يقضته أو مسامه وبرشده بالعلامات و لأحلام ولا تلبى سائر الدعوت والصلوات ولكنهما - سوء البحر وببوء الكهنة - تحالفاً سوء اخذب والخبول المقدس ، لأن الساحر والكاهن يدريان بما يظبان ويريدان فصلاً ما يظبانه بالعرائم والصلوات ، وبكى المصاب بالخب أو اخبول المقدس معلوب على أمره يتطلق لسانه بالعبارات السهمة وهو لا يعنيه ولعله لا يعيها ، ويكثر من الأثم التي تشع فيها سوء اخذب أن يكون مع المخدوب مفسر يدعى العلم بغرى كلامه وخب رموزه وإشاراته ، وقد كتبوا في اليونان يسمون المجبوب «مانى» Mani ويسمون المفسر «بروفيت» Prophet أى المتكلم بالنبية عن غيره ، ومن هذه الكلبة نقل الأوروبيون كلمة النبوة بجميع معانيها ، وفما يتمنى الكهنة والمخدوبون إلا أن يكون الكاهن صوبيا للتفسير والتعبير عن مقاصد مخدوب ومصامير رموزه وإشارته ويحدث في كثير الأحيان أن يحتنفا ويتسارعا لأتهما محتفان بوطيقتهما الاجتماعية مختلفان بطبيعة الشاة والسنة فالمجبوب ثائر لا يتقيد بالرسم والأوصاع المصطلح عليها ، وانكاهر محافظ يلقى علمه الموروث في كسر الأحيان من آياته وأجده ، وتتوقف الكهانة على البيئة التي نشأ فيها الهياكل والصوامع المقصودة هي الأرحاء القريبه والبعيدة ، ولايتوقف الخذب على هذه البيئة لأنه قد يعترى صاحبه في البرية كما يعترى في الحاصر المقصود من أطراف البلاد

والمقارنة بين النبوة الإسلامية وبين السوءات التي شاعت في دريح العبريين تعيناً عن تعميم المقارنة هي عمة الديانات التي سبقت ظهور الإسلام ، لأن العبريين قد آمنوا بهذه السوء جميعاً وببهم فظهرت الديانة الموسوية التي كانت أولى الديانات الكتابية ومراجع المقارنة هي مسائل النبوة وشعائر العقيدة التي تدور عليها المقارنة بين عبادات أهل الكتاب .

وقد عرفت قبائل العبريين ببوءات السحر والكهنة والتنجيم كما عرفها الشعوب البدائية وابتكرت منها ما ابتكرت على سة الشعوب كافة ، وانتمست منها ما اقتربت بعد اتصالها بحضاراتها في المقام من أهل البادية أو أهل الحاضرة ولكنها على خلاف الشائع بين المقلدين من الكتب العبريين قد تعلمت النبوة لإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب ولم تكن لهذه الكلمة عند العبريين لفظة تؤيدها

قبل وفودها على أرض كنعان ومحاورتهم للعرب انصميم في أرض مدس . فكانوا يسمون النبي بالرثي أو الساظر أو رجل الله ولم يطلقوا عليه اسم النبي إلا بعد معرفتهم بأربعة من أسياء العرب المذكورين في السورة ، وهم ملكي صادق وأيوب وبلعام وشعيب الذي يسمونه «يشرون» معتم موسى الكليم ، ويرجح بعضهم أنه لخصر عليه السلام لدمشابهة بين لفظ يشرون وخترون وخصر في محارج الحروف ، ولما ورد من أخبار الكليم مع لخصر عليهما السلام في تفسير القرآن الكريم

ومن علماء الأديان العربيين الذين ذهبوا إلى اقتباس العبريين كلمة السورة من العرب الأستاذ هولشر Holscher والأستاذ شميدت Schmidt اللذان يرجحان أن الكلمة دخلت في اللغة العربية بعد وفرة النجوم على فلسطين إلا أن الأمر عني عن لحظ فيه بالعلوم مع المستشرقين ؛ من يفقه منهم اللغة العبرية ومن لا يفقه منها غير الأشباح وأحاديث ، فإن وفرة الكلمات التي لا تلتبس بمعنى السورة في اللغة العربية كالعرفاء ، والكهانة والعباقرة ، والرحر ، والرؤية ، بعضها عن اتخاذ كلمة واحدة لبرائى وللشيء ، وتبرج النبوة العربية التي وردت في السورة سابق لأحداث العبريين كلمة النبي مدلا من كلمة الرائي والساظر ، وتلمذة موسى نبي «مدين» مذكورة في السورة قبل مآثر النبوة الإسرائيلية ، وموسى الكليم ولا ريب رائد النبوة الكبرى بين نبي إسرائيل



والمصنع على الكتب المأثورة بين نبي إسرائيل ينس منها أنهم آمنوا بهذه النبوة جميعا ، وأنهم بعد ارتفائهم إلى الإيمان بالنبوة الإلهية ما زالوا يخططون بين مطالب السحر والتنجيم ومطالب الهداية ويجعلون الاضلاع على المعينات امتحانا لصديق النسي في دعواه تصديق وألزم من كل امتحان ، ولم يرتفع بأكبر أسياهم ووسلهم عن مطلب الاتجار بالكشف عن المعيب والاشتغال في التبحر

ففي أحبار صموئيل أنهم كذبوا يقصدونه ببدلهم عنى مكان لماشية الصائفة ويقصدونه أحمره على ردها «أحد ملك واحد من العلماء وهم ذهب فتش عن لأتن . فصل شمول للفلام . فماذا مقدم لرجل ؟ لأن الخير قد بعد من أوعيت وليس من هدية يقدمها لرجل الله ماذا سعت ؟ فعاد العلام يقوب عود يوجد بيندي ربح شاقل فضة » .

ويؤخذ من السيوف التي سبوا إلى السبي يعقوب جد من إسرائيل أنهم كانوا يعملون عليه في صناعة التحجيم فإن السيوف منقوشة بأسماء أبناء يعقوب تشير إلى أبراج السماء وما يصب إليها من طواع ، ومن أمشيه عن شمعون ولاوى أيهما ، «أحوا سيوفهما آلات ظلم في محلسهما لا تدخل نفسي لأيهما في عصيها قتلا إسائنا وفي رضائهما عرقبا ثورا . . .» .

وهذه إشارة إلى برج التوءمين وهو برج إله الحرب «زحل» عند البابليين ، وبصورون أحد التوءمين وفي يده حنجر وبصورون أخاه وفي يده محل . . ونشير عربة النور إلى برج الثور الذي يعقبه التوءمان

ومن الأمثلة في هذه السيوف المنسوبة إلى يعقوب مثل يهودا . . «جرو أسد جثا وريص كأسد ولبوة لا يروك قصيب من يهودا ومنشزع من بين رجله حتى يأني شيلون وله يكون خصوع شعوب»

وهذه إشارة إلى برج الأسد ، وهو عند البابليين برج من يمين أسد أحدهما برج يشير إلى علامة الملك الذي تعضض له الملوك^(١)

وتجرب السيوفات عن سائر الأسماء - اثني عشر اسما - كل سم منها يوافق برجاً من أبراج السماء على مثال ما قلناه .

وقد كثر عدد الأسماء في قبائل بني إسرائيل كثره بينهم منها أنهم كانوا في أرميتهم المتعاقبة يشبهون في العصور الحديث أصحاب الأدكار ودراويش الطرق الصوفية ؛ لأنهم حاوروا اثنتي في بعض العهود واضطجعوا من الرياضة في جماعاتهم ما يضطعه هؤلاء الدراويش من التوصل إلى حالة الجذب تارة تعذيب الحسد ، وتارة بالاستماع إلى آلات الطرب

جاء في كتاب صموئيل الأول :

أن شاول أرسل لأخذ داود رسلاً «مرأوا جماعة النساء بتشاور وشاول وافق بينهم رئيساً عليهم ، فهبط روح الله على رسل شاول فتساوروا هم أيضاً وأرسل غيرهم فتساور هؤلاء . فخلع هو أيضاً ثيابه وتبأ هو أيضاً أمام صموئيل وبتزع عارياً حلك الهركله وكل الليل» .

(١) The Oracles of Jacob by Eric Burrows.

وجاء في كتب صموئيل كذلك

« أنت تصادف زمرة من الأنبياء برلين من الأكمة وأمامهم رباب ودف وبان
وعود وهم يتبأون ، فيحل عليهم روح الرب فتسأ معهم وتحول إلى رجل آخر
وكانت السورة صاعدة وراثية يتلقاها الأساء من الأباء كما جاء في سفر الملوك
الثاني «إذ قال بنو الأنبياء لا يسع هوذا الموضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك
قد ضايق علينا فلنذهب إلى الأردن»

وكانت لهم خدمة تلحق بالخييش في بعض المواقع كما جاء في سفر الأيام
الأولى حيث قيل إن داود ورؤساء الخييش «أفرزو لخدمة بني أساف وغيرهم من
المتبعين بالعباد والرباب والصنوج» .



وهؤلاء المنان من المحسوبين على النبوة يشوا بين فئات إسرائيل وقر هدا لا بعصر
القوم على تكاليفها لرهقة لا لخدمة يتطرونها من زمرة المتبعين الذين يشبههم
صدعهم ، وليست هذه المنفعة إلا الاعتماد حيا بعد حين على بعض المتبعين في
الكشف عن الحبيب والإسار بالكوارث المتوقعة ، وأهم ما كان يهمهم من هذه الكوارث
أن يحذرو عصب «يهود» لأنهم حاربوا أنه أقدم على القعة من سائر الأديان

وحدث ما لا بد أن يحدث في هذه الحالة من الإسفاف بالكشف الروحي تسجيرا له
في المطالب اليومية على حسب الحاجة إليه في حبه . فبدلا من أن يكون الكشف
الروحي لغة من لحاب الصفاء ترتفع فيها حجب الهوى والصلالة عن الصيرة فسرك ما
لا تدركه في عامة أوقاتها - أصبح هذا الكشف صاعدا سلازمة لكن من يدعى النبوة
بحق أو بعير حق ، ووجب على السبي في عرفهم أن يكون مسعدا بكراماته ومعجزاته
كما أرادها أو أريدت منه . وروى القوم من أساء هذا الاستعداد ما يشبه الاستعداد
للمساواة بين فرق الرياضة من الطرفين المتعادلين ، وقد ثبت لهم على أساء يهر على
أنبياء العمل على أثر مبارزة من هذه المباريات بهم في النبؤ والإندى بالأحذر

جاء في كتاب الملوك الأول :

أن «إيرامل» امرأة أحاب ملك إسرائيل قتلت مئات من أنبياء «يهو» فلم ينج
منهم غير حصين حساهم أحد النور ، «مخلصين للمدين ثم ظهر لنبى «إسبى» مسجدا
للملك فأتا كما جاء في الإصحاح الثامن عشر من الكتاب المذكور

« ولما رأى احاب يئسيا قال له احاب أنت هو مكدر إسرائيل؟ فقال لهم أكثر إسرائيل من أنت وبيت أبليك تترككم وصايا الرب وبسيرك وراء السعيرم فالآن أرسل واجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأسياء البعل أربع مائة والخمسين وأسياء السواري أربع مائة الذين يأكلون على مائدة يرايل . فأرسل احاب إلى جميع بني إسرائيل وجميع الأسياء إلى جبل الكرمل فتقدم إليليا إلى جميع الشعب وفن حتى تعرجون بين المرفقتين ، إن كان الرب هو الله فأتبعوه ، وإن كان البعل فأتبعوه . فم يحميه الشعب بكلمة . ثم قال إليلب للشعب ، أنا بقيت نبيا للرب وحدي وأنبياء البعل أربعمائه وخمسون رجلا ، فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثور واحد ويقطعوه ويضعوه على الخطب ، ولكن لا يصعدون ناراً وأن أقرب الثور الآخر وأجعه على الخطب ، ولكن لا أصع ناراً . ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب ، وإله الذي يحيي يسار فهو الله فأحاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن فقال إليلب لأنبياء البعل اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقرروا أولا لأنكم أنتم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ، ولكن لا تصعدوا ناراً . فأحدوا الثور الذي أعطى لهم وقربوه وادعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائين . يا بعل أحبنا فلم يكن صوت ولا مجيب وكانوا يرفعون حول المذبح الذي عمل وعبد الطهر سحر بهم إليلب وقال ادعوا بصوت عال لأنه إله لعل مستغرق أو في حلوة أو في سهر أو لعله نائم فبنته فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرمح حتى سال منهم الدم وبدا حاء الظهر ونسأوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا شئ ، قال إليلب إلى جميع الشعب : تقدموا إلي فتقدم جميع الشعب إليه فمرم مذبح الرب المتهدم ثم أحد إليلب اثنين عشر حجرا ، وعدد أسياح بني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه ، قائلا : إسرائيل يكون اسمك ، وبني الحجارة مذبحا باسم الرب ، وعمل مائة حول المذبح تسع كبليين من البذر ثم رتب خطب وقطع الثور ووضعها على الخطب وقال املثوا أربع حرات ماء وحسوا على المحرقة وعلى الخطب ثم قال ثنوا . فثنوا ، وهال لثقاوا فشقوا . فحرق الماء حول المذبح واملأب الضاة أيضا ماء وكان عند إصعاد التقدمة أن إليلب النبي تقدم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل لعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل وأنت أنا عندك وبأمرتك قد فعلت كل هذه لأمر أسحسى يا رب أسحسى ليعلّم هذا

الشعب أنت أنت الرب الإله وأنت أنت حوب قلوبهم رجوعاً فسقطت نار الرب
وكلت المحرقة واخطب و الخحارة والتراب وخست المياه التي هي القفاة فما رأى
جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله الرب هو الله . فقال
لهم إيليا أمسكو أنبياء السبل ولا يصعب منهم رجل . فأمسكهم فمزن بهم يدي إلى
نهر قيسون ودحهم هناك وقال إيليا لأحاب اصعد واشرب لأنه حسن دوى مطر .
فصعد أحاب ليأكل ويشرب . وأما إيليا فصعد إلى رأس الكرمل وحر إلى الأرض
وحمل وجهه بين ركبتيه وقال لعلامه : «صعد تطلع نحو البحر فصعد وتطلع وفار .
ليس شئ » فقال ارجع سبع مرات وهي المرة السابعة قال هو د عينة صغيرة قد
كف إنسان صاعد من البحر فقال اصعد قل لأحاب اشدد وانزل ثلاً بمنحك
المطر وكان من هه إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم
فركب أحاب ومضى إلى يزرعيين وكانت يد الرب على إيليا فشدد حقويه وركض
أمام أحاب حتى تجيء إلى يزرعيل »



وقد صبحت القوم هذه الفكرة عن النبوة الحاصرة عند الطلب منذ أوائل
عهودهم إلى أواخر عهدهم بالأنبياء قبل ظهور السيد المسيح فلم تكن النبوة عند
القوم في هذه العهود كافة إلا صاعقة مرادفة لصناعة التنجيم أو لصناعة القراءة
المسدرة بالكواكب المتوقعة فهي إما استطلاع للحاي أو صيحة فرج من بقمة «يهوا»
الذي تعودوا أن يعاقبهم بالمصائب أخيه كما انحرفوا عن سنته ، وأشركوا بعادته
رب آخر من أرباب الشعوب التي بنار عيوبها وتنازعهم على المزعى وانقام

وما يكون يقوم أن يفهموا من النبوة معنى غير معناه هذا ؛ لأنهم قد نعموا من
أخبارهم وكتبه أسفارهم أن أنبياءهم قد حنوا في محن العرافين العائمين والسحرة
والرقاة الذين يبقون أقوال الآلهة في عبر بني إسرائيل فهو لاء جميعاً لا
يصدقون ؛ لأنهم يفلون المعرفة من أرباب غير «يهوا» رب إسرائيل ، وأما شعب
إسرائيل فقد عيل لهم : « فيقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من حونك
مثلي له تسمعون حب كل ما طلب من الرب إلهك في حروب يوم الاجتماع
فائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ! ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً ثلاً

أصوت . قال لى الرب قد أحصو فيما تكلمو . أفهم لهم سبب من وسط إحتوتهم
 سنلك . وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان
 الذى لا يسمع نكلامى الذى يتكلم به يسمى أيا أطلبه . وأما النبى الذى يطعنى
 فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم الهة أخرى
 فمبوء ذلك السى . وإن قلت هى قلبك كيف تعرف الكلام الذى يتكلم به الرب
 بما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصرف فهو الكلام الذى لم يتكلم به
 الرب بل تصعيا تكلم به السى . فلا تحف به . ١٨ سفر الشمة :



وهكذا وقر فى أحلام الشعب من أخباره وعلمائه إلى عامة جهلائه أن الكشف
 عن الغيب مرادف لمعنى السوء ، وأن وقوع الحار هو امتحان الصديق الوحيد الذى
 يتمتع به الأنبياء الصادقون فيما يحدثون به عن الإله ، وأن الفرق بين أنبيائه وبين
 السحرة والعرافين والرفاه فى الأمم لأخرى إنما هو فرق بين أناس يحسون الكشف
 عن الغيب ، وأناس يحفظون فى هذه الصلعة ، لأنهم يفتنون أساءهم عن الله
 كاذبة لا تسحق العبادة .

وبه لمن المصنف عليه بين أتناع الديانات الكناينة أن موسى إسرائيل لم يعرفو السوء
 على مثل أمم . وكمل من سوء موسى الكلام . ومع هذا كان أرفع ما تصوروه من معنى
 وحى أنه إليه عليه السلام أنه كان يخاطبه فما إلى هم وعيانا يعبر حجاب . وفى
 ذلك يقول كاتب الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج إن الله أنزل فى عمود
 سحب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم فحرق كلاًهما فقال : اسمعا
 كلامى . إن كان منكم للرب فبالرؤيا استمع له وفى الحلم أكلمه . وأما عبدى موسى
 فليس هكذا بل هو أسمى فى كل شيء . فما إلى هم وعيانا أنكلم معه لا بالأعارة

وكان اعتقادهم أن موسى عليه السلام سمع كلام الرب فما إلى هم وعيانا يعبر
 حجاب فى كل قضية من قضايا الشعب يعرضونها عليه ، حتى علمه بى مدبر أن
 بكل القصص إلى أناس من دوى ثقته وخاصة قومهم ملقنهم أحكام الشريعة ويوليهم
 أمر القضايا مكتتب بما يعرض عليهم من كسار القصايا . وفى ذلك يقول كاتب
 الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج

الوقت حدث في العبد أن موسى حذر ليهضي بسبع فوق الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء ، فم رأى حذر موسى كل ما هو صانع للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانع بشعب ؟ ما ثالث حالنا وحديثك وجميع الشعب واقف عندك من الصباح إلى المساء ؟ فقال موسى لحميه يا الشعب يأنى إلى ليسأل الله ؟ إذا كان لهم دعوى يأتون إلى فأفصى بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشراعه فحق حذر موسى له ليس جيداً هذا الأمر الذي أنت صانع ، أنت تكل أنت وهذا الشعب الذي معك حميفاً ؛ لأن الأمر أعظم منك لا تستطيع أن تصعه وحديثك ، الآن اسمع بصوتي فأصحتك ، ليكن الله معك ، كن أنت لشعب أمام الله وقدم أنت الدعوى إلى الله وعلمهم الفرائض والشرايع وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه ، وأنت تنظر من جميع الشعب قوى قدرة حائقين الله أمام بعض الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء حماسين ورؤساء عشرات ، فيقصون للشعب كل حين ويكون أن كل الدعوى الكبيرة يحيثون بها إليك وكل الدعوى الصغيرة يقصون هم فيها وحقق عن نفسك فهم يحملون معك .



وبعد نحو مئة فرب من السوة الموسوية انتهى عهد الأسياء في بني إسرائيل ، ولم يتغير معنى السوة عندهم في هذه الفترة الطويلة ، بل انحدر إلى ما دون ذلك بكثير ؛ لأن موسى الكليم كان يحاطب الشعب لتبقي الشريعة ، ويسقل إلى الشعب تحذير الله بخصوص الفطنة ، وأما الأسياء بعده فقد تكاثروا بثلثات ليحاطبوا العيب فيما دون ذلك من أخبايا اليومية ، أو ليتحدثوا العلامات والأعوار نديراً للشعب بالحوادث الحسية التي نصيبه من جراء اخروج عنى شريعة موسى

ريتمحص تاريخ السوة بين بني إسرائيل إحد في كمات معلودات إيهام قد استعاروا فكرة السوة من حيراهم العرب الذين طهر فيهم منك صادق على عهد إبراهيم الخليل ، وظهر فيهم بعد ذلك أيوب ولعام وشعب ، ففهموا من السوة معنى غير معنى الرؤية والعرافة والسحر والسحيم ، وأنهم ما زالوا ينعنون من حيراهم إلى أن أتى موسى الكليم الذي سلمه على حميه بين مدين قبل جهرة بدعونه ، وبعد أن حهر بهد الدعوة في مصر وخرج بقومه منها إلى أرض كنعان ولكنهم أخذوه وسموه فقصوا عنها ولم يبدوها ، وما كان لهم من حيلة في

ريبتها ؛ لأنها - كما فهموها - غير قابلة لزيادة والارتقاء ، ولا ماض من تدهورها مع الزمن ، وهي موقوفة على قوم دون سواهم لا يساركون الأقوام في هديته واحده ولا هي جامعة بسابيه يرفع بمقاييس الأخلاق والعصائل مع ارتفاع بني الإنسان . كانت قبائل إسرائيل محصورة في نفسها ، وكانت عبادتها محصورة في حدودها ، وكانت قبلتها القصوى من العبادة أن تسلم في عزلتها مع إلهها الذي حكته واحتكرها . فلم تطلب من النبوة إلا ما تلتزمه من السلامة في تلك العرة صاعدة موقوفة على استصلاح العيب لتحديدها من الضربات التي توجهها ولا تحشدها من إنه غير إلهها .

وبعد ستة قرون من أحر رسالة في بني إسرائيل يستمع العالم إلى صوت من حاسب الحرية العربية ندع إلى رب العالمين رب العرسي والأعجمي ، ورب الانض والاسود ، ورب كل عشيرة وكل قبيلة ، لا يستأثر بقوم ولا يؤثر قوم على قوم ، إلا من عمل صالحا وانتهى حدود الله

صوت بني ينادي كل من معث إليه أنه لا يعلم العيب ، ولا يملك حرائن الأرض ، ولا يدفع السوء عن نفسه فصلا عن قومه ، ولا يعزم أن الخوارق والمعجزات سمع أحدا لا يستمع بعقله ولا يتفكر فيما يسمع من نبي أو رسول !

صوت بني يقول بناس إنه إنسان كسائر الناس ، وهو يشير يهدي إلى الحق والرشد ، نذير يحذر عن الماطن والصلال .

أي مشابهة بين الصوتين ؟

بل أي اختلاف قط سهما يجاور هذا الاختلاف ؟

يرثي لمن يقول إن الصوتين سواء فأما من يقول إن البدء باسم رب العالمين نسخة محرفة من البدء رب القبيلة بين شركائه من أرباب لقبائل فإنما هو خطأ حقيق أن يسمى عبرا في الحسن ، لأنه أظهر للحسن من أن يحتاج إلى إسماله بحيث أو تعمق في تفكير

ونحنم الكلام على السوة كما نحنم الكلام على العقيدة الإلهية سائتين كيف تسمى لسمي الإسلام أن يفرد بهذه الدعوة وحيدا في دريح الأديان ؟

الإرادة الإلهية هي الجواب الذي لا معدى عنه لمن يسأل ذلك السؤال .

وسر أس بالإله فلا معدى له عن إرادة الله في تفسير هذه الظاهرة التي لا تظهر لها في أديان الكتابيين وغير الكتابيين نعم لا معدى له عن إرادة الله ولو وصف الرسول بما شاء من نفاذ الصيرة وسمو الصمير .

الإنسان



الإنسان حيوان ناطق

الإنسان حيوان مدعى بالطبع

الإنسان حيوان راق .

الإنسان روح عوى سقط إلى الأرض من السماء



هذه التعريفات أشهر ما اشتهر من التعريفات المحيطة بمعنى الإنسان

أولها - محيط به من جانب مراه العقلية .

وثانيها - محيط به من جانب علاقته الاجتماعية .

وثالثها - ينظر إلى تربية الإنسان بين أنواع لأحياء على حسب مذهب النطور

ورابعها - ينظر إلى تعريف الإنسان بهذه الصفة إلى قصة الخطيئة التي وقع فيها

آدم حين أكل من شجرة المعرفة بعناية الشيطان .

وكل هذه التعريفات تحيط بمعنى الإنسان من بعض نواحيه ، وأحرها لا يحيط بمعناه

إلا عند من يؤمن بقصة الخطيئة ويؤمن معها بميرات الخطيئة في سى آدم وحواء

وأم تعريف الإنسان كما وصف به في القرآن الكريم وأحاديث النبي عليه السلام

فقد اجتمع جملة واحدة في تعريفين حامين

الإنسان مخلوق مكلف .

والإنسان مخلوق على صورة الخالق .

فالإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ، ولا يعرف السقوط من طبيعة إلى ما دونهما ،

فلا نحاسب أحد بدينه أبه ولا نورثه ، ولا نزرع ورثه أخرى ، وليس كما يدعى به المسم أن

يرتد النوع الإنساني ما دون طبيعته ، ولكنه كما يؤمن به أن ارتفع الإنسان وهبوطه

موضان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتسعة فهو بأمانة التكليف قابل بلصعود إلى
فمه الخليفة وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين ، وهذه هي الأمانة
التي رفعتة مقام فوق مقام الملائكة ، وهبطت به مقاما إلى رمره الشياطين

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ [الأحراب : ٧٧]

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ١٤]



وبهذه الأمانة ارتفع الإنسان مكانا عليا فوق مكان الملائكة ؛ لأنه قادر على الخير
والشر ، فله فضل على من يصنع الخير لأنه لا يقدر على غيره ولا يعرف سواء .

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١]



وبهذه الأمانة هبط الإنسان غرورا وسرعا إلى عداد الشياطين

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَحُرُوفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١٢٠]

﴿ إِنَّ الْمُذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الإسراء : ٧٧]



وما من عيص من نقائص النفس إلا يعزو لإسناد من بل هذه لأمانة أمانة التكليف

﴿ نَيْتُوسُ كُفُورًا ﴾ [هود : ٩٠]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ١٢٤]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مَنُوعًا (٣) ﴾ [اعارج : ١٩ - ٢١]

﴿وَكَاذِبًا كَثِيرًا أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) وَأَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ [العلق: ٧، ٦]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ [العاديات: ٦ - ٨]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]

﴿وَكَاذِبًا كَثِيرًا كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]

﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَفْسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (٧٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٧٤﴾ [الحجم: ٧٣ - ٧٤]

فهذا الإنسان يتردى من أحسر تكوير إلى أسفل سافلين ، ولا يزال في الخلل
إنسانا مكلفا قابلا للهوى من نفسه بعد العثرة ، قبلًا بلنوبة بعد الخطيئة ، محاسبا
بما جنت يده غير محاسب بما جناه سواء .

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٣١) وَأَن سَعَىٰ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٣٢﴾ [النجم: ٣١ ، ٣٢]

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ عَقَبُهُ﴾ [الإسراء: ١٣]

﴿وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٣﴾ [التين: ١ - ٣]

هو مخلوق مكلف

ثبت حماع ما يوصف به لإنسان تميّزاً من العجماوات ، وتميّزاً من لأرواح العلوية على السوء .

ولهذا كان في أحسن تقويم ،

ولهذا يترد إلى أسهل ساهدين .

وقوام التقويم الحسن لإيمان وعمل الصالحات ، وسبيل الارتداد إلى أسهل سافلين مصاوعة الهوى والعرور والسرف وطعنين القوة والعسى ومنع الخير والهلع من البلاء والعجبة مع الضعف والإغراء .

وقصة آدم مثل لما يعرض للإنسان من الخطيئة والمحاة

خطيئته لا تدبته أبداً ولا تدين أبناءه أبداً ، ونجاته رهينة بتوبته وما يتمتع به من عدم ربه

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ جَاءَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾ [طه . ١١ . ١٢]

﴿ خَلَقْنَا آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ لَتَوَّابٌ الرَّحِيمُ (٢٧) ﴾ [البقرة ٢٧]

ومن تمام خواص الإنسانية في عقيدة المسلم أن قابلية التكليف في الإنسان منصفة لقابلية العدم ويسرة الانتفاع بقوى الجماد والحيوان في مصالحه وشتون معاشه

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (١) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٢) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٣) ﴾

[العلق ٣٠ - ٣١]

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْثُوبِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣) قَالُوا مَبْحَاسَتٌ لَا عَلَمَ لَهَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ (٤) ﴾ [البقرة : ٣٢ ، ٣٣]

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْأَحْمَرِ وَرَقَّاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَلَفَّضْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقْنَا تَفْصِيلاً (٥) ﴾ [الإسراء : ٦٠]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحج : ٦٥]

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان ٢٠]

هذا العلم الذي أسعده به الإنسان هو مناصر التكليف وهو أمام الانتعة التي نهض بها هذا المخلوق المفصل على كثير من مخلوقات ، لأمير على نفسه وعليه يد وهد له الله من هجرة ومن هجرة

إذا قام الكفار على الخصيئة الموروثة في المسححة ، فالأمانة في الإسلام هي التي يقوم عليها الخلاص ويرجع إليها التكليف وتكتب عليها تبعه في حياته غير مسئول عما سبب من قبله . نعمة يحملها ي كال له من قدرة عليها وعلى سائر مخلوقات الله التي في ولايته

ولابد أن نعرض لما مسألة الفدر مع مسألة التكليف ومسألة العدر - كما لا يحتمل - هي معصية العضلات في جميع الأديان ومذاهب الحكمة والعلم لا بها هي مسألة الحرية الإنسانية والإرادة اختارة ، وهي في الحق مسألة الإيمان الكبرى في علاقه الأبدية بالكون ، فلا نهيه لها إلى آخر الرمد ، وم بواحيها عقيدة عابرة أو حاصرة بأفضل مما وجهه به الإسلام

وبطرة موجه فيما انتهت إليه العقائد ومذاهب في الأم العبرة والحاصرة تمهد لوسيلة المقارنة بين مسألة العدر في تلك المذاهب ومذاهب جميعا وبين هذه المسألة في الديانة الإسلامية كما بصها آيات القرآن الكريم

كان اليهود الأقدمون يجعلون بقدر الحكم الذي لا حكم غيره في جميع الموحودات ومنها الآلهة والناس والأحياء والنبات والجماد ، ولا فكاك من قصة «الكارم» في أدورها التي تتعاقب بين الموحود والماء إلى غير انتهاء ، ولا اختيار للإنسان في الحالة التي يولد عليها ، لأنها مقدورة عنه من قبل ميلاده مد أزل الأزل ، ولا تعديل لها إلى أبد الأبد حتى ينقضي من دولاب الخلق ، واحتجاب الولادة والعباد معالم الماء أو عالم «الرفاق» المصنق من قيود «الوعي» والتعور بالشقاوة أو السعيم .

وحل الجوس مشككة العدر بعقدتهم في الشوية وانقسام الموحود بين إله النور وإله الظلام : فكل ما علب عليه إله النور فهو خير ، وكل ما علب عليه إله الظلام فهو شر ، ولا عاصم لإله النور نفسه من علة الشر عليه في نك الحرب السجال التي لا تنتهي إلا بنهاية للكون كله تتحيط فيها الضون

ومن اليونان بعنقه القدر على العباد والمعبودين ، وروايتهم عن صرباته عتده
للناس هارثا بهم متحديا لهم يطاردهم ويتجنى عليهم ويربهم عجزهم عن القرار من
نقمته أو نعمة رسوله «نميس» Nemesis ربة النار التي يأخذ الجار بسب الجار
وتلاحق البعيد بحريته القريب .

ومن انصريون الأقسامون بالقدر وما خفية لإسائية ، فأقاموا في العالم الآخر
محكمة سماوية يقف الميت من يديها ويحاسب على أعماله وتحسب له أو عليه
صلوات الكهنة والشفعاء .

ومن البابليون بالصوالح التي تلامر لإسناد بحكم مولده تحت نجم من النجوم هي
عنهم من نجوم السعد أو نجوم الحوس . وجعلوا الأيام نجوم تدور معها ولا تخرج
هذه الأيام من طائعها ، وجعلوا بالمفصول نجوم تتداولها ولا تغير في مجاريها إلا بما
يكون من وساطة المحميين وصحبايا أصحاب الفرائض

والديانة الإسرائيلية تؤمن - على ما هو معلوم - باختيار لإله لشعب يؤثره على
سائر الشعوب ودربة يؤثره على سائر الدري ، وأدس يؤثرهم على سائر الناس قبل
خروجهم من بطون الأمهات . مورك يعقرب وحق السخط لإلهي يعبو وهما في
الطن جيبان توءمان ، وأصابت البركة والسخط بسهما إلى أعقاب الأعقاب
«ومن أحشائث يقترق شعبان : شعب يعوي على شعب وكبير يستعبده
صغير .» ولم يسع القدر عند سي إسرائيل أن يكون نظاما كويا يحري عليه
قضاء له مجرى المواميس والشرائع الأخلاقية ، بل كان «يهو» يحري فيه على
حكم تم يدم عليه ويسله نارة بعد نارة على حسب حالة التي بطراً يعير
حسان . قال النبي أرميا يتحدث باسم يهو : «قم ، نرب إلى بيت الفخاري وهناك
اسمع كلامي . فنزلت إلى بيت الفخاري إذا هو يصنع عملا على الدولاب ففسد
الوعاء الذي كان يصنعه من الطين سد الفخري فعاد وعمله وعاء آخر كما حس
في عيسى الفخاري أن يصنعه فعاد إلى كلام الرب قائلا : أما أستطيع أن أصنع
لكم كهذا بيدى يا بيت إسرائيل ؟ يقول الرب : هوذا كالطين بين الفخار أنتم كهذا
بيدي يا بيت إسرائيل . ونارة تكلم على أمه وعلى مملكة بالقبع والهدم وإهلاك
فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأدم على الشر الذي قصدت أن

أصع به ، وتارة أتكنم على أمة وعلى محكمة بالباء والعرس فتعمل الشر هي عيسى
فلا تسمع لصوتي فأسم عيسى ، الخير الذى قلت إيسى أحسن إليها به »

وقد ذكر في سفر الخروج أن يهوذا وصف نفسه فقال

«أنا الرب إلهك إله عيور أفتقد دبوب الآباء هي الآباء هي الخيل الثالث والرابع
من سمعى وأصعب إحسانا إلى ألف من محبى وحفظى وصاياى»



ثم جاءت المسيحية بعد الإسرائيية فربطت بين خطيئة آدم وقصص الموت عليه
وعلى أسائه ، ومن لم يربط بين الخطيئة وقصص الموت من المتأخرين جعل الهلاك
الروحي قصص محتوما بديلا من موت الجسد . وأقدم ما جاء من أقوال الرسل
المسيحيين عن قصص الموت هي الإنسان كلام بولس الرسول من رسالته إلى أهل
روما : فيه هي هذه الرسالة يقرر أن الأكل من الشجرة هو أصل الشر في العالم
الإنسانى ، وكفارته الموت الذى نصب الجسد ولا تكون كرامة الروح إلا بمضاء السيد
المسيح ، وقد عاد بولس إلى مثل الصغار والخرف فقال : «لماذا يقول ؟ أعمل عبد الله
طوبا ؟ حاشا لله لأنه يقول لموسى ارحم من أرحم وأراف من أراف عيسى
لأمر لم يشاء أو لم يسمى . بل الله الذى يرحم . ومن أنت أيها الإنسان حتى
تحرر الله ؟ أعمل الحية نقول لحملها لماذا صعبتى هكذا ؟ أليس لمحراف سلطان
عسى الطين أن يصنع من كتلة واحدة إماء للكرامة وأحر للهوان ؟ فمادا إن كان الله -
وهو يريد أن يظهر غصصه ويبين قوته - احتمل بأداة كثيرة آنية عصب مهياة للهلاك ،
ولكى يس غنى مجده عمل آنية رحمة قد سبق فاعده للمجد .»



وتساعد آراء العلم الطبيعى والفلسفة النظرية هي هذه المسألة كما تباعدت عقائد
الأديان وأقوال المتديسين فيها ، ورسة آراء العلماء الطبيعيين إلى أوائل القرن العشرين
أن قوانين المادة تحكم كل شئ في عالم الجسد فهي ضرورات حتمية لا موضع ليهي
للحرية الإنسانية إلا أن تجرى في محرى تلك القوانين ، ثم حدث في القرن العشرين
بطريات تشكك في هذه الحتمية المفيدة بالنوميس والقوانين يقول بها كبار العلماء

من طبقة نيلز بوهر الدنماركى صاحب جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٢٢ وهيربيرج
الأسبى صاحب جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٣٢ . والأول يقرر أن الكهارد لا تسبع
فى انتقالها قدونا مطرداً تجرى عليه فى الدرة وهى عنصر لمادة ، والثانى يقرر أن
الحرية العنصر لا نأتى فى تكرارها بتيحة واحدة وأن التجارب جميعاً يزيد
اللاحتمية ولا تؤيد الحتمية الى اصطلاح عليها جمهوره العلماء الطبيعيين إلى أوائل
القرن العشرين ، ويرد على هيربيرج علماء آخرون مفوضون : إن التجارب تحصل ؛
لأن آلات الصيطة العلمى لا تحيط بجميع العوامل التى تتكرر فى كل تجربة ، ولنا
إذا تحقنا من وحدة العوامل فى كل تجربة متكررة فالنتيجة لا شك واحدة

ولا نحصى مذاهب الملائمة ونهريعاتهم على هذه المذهب فى مسألة القدر
والحرية والحرية والاحتمية واللاحتمية ، إلا أننا نوصى منها ربة جامعة لمذهب
الواقعيين ومذهب الروحيين أو المتألمين ؛ فربة مذهب الواقعيين أن الإنسان بفعل
ما يريد ولكنه لا يريد ما يريد ، وهم يعنون بذلك أن لإرادة تحتار ، ولكن هذه
الإرادة نفسها مقيدة بتكوين الإنسان الذى تشترك فيه الورثة وبية الجسم
وصرورات البيئة ، فلا يخلق الإنسان إرادته ، بل تولد فيه هذه الإرادة وتنشأ معه
بغير اختياره ، يفعل كما يريد ولكنه لا يريد ما يريد

وربما مذهب الروحيين أو المتألمين أن الإنسان حسد وروح ؛ فحسده حاصع
لأحكام ادة كسائر الأحساد ، وروحه طليق محتار بصصع لجسده فى أمور وبصصع
هو حسده فى أمور ، وهو المستول إذ انقاد لدواعى جسده ولم يجهد للالتصاع بحريته
فى مقاومة تلك الدواعى وموارستها بما يصلحها عند فسادها ويقومها عند عوجهاها



وجميع هذه المذاهب لا تحل مشكلة القدر على الوجه الحاسم الذى تنفق عليه
العقوب وترناح إليه الصمائر ، وليس فيها - بمصيلاًها - عقيدة تفصل عقيدة المسلم
أو تقترب من حل مسألة القدر لم تقترب منه تلك العقيدة

وقبل أن نحصل أقوال الشفقات فى تفسير آيات القرآن الكريم بعود إلى مشكلة الشر
الذى فسا فى فاتحة هذا الكتاب إليها مشكلة شعورية وليست مسألة عقلية فى
جوهرها ، ومشكلة القدر هى مشكلة الشر بعينها معادة فى عبارات أخرى ، إذ هى

مشككه لمحسبته على الشر الذي يفعله الإنسان ويريد أن يعلم مبلغ نصيبه من
التيعة في احتمال جزائه .

وليس في الأمر مشكلة عقلية ؛ لأن العقل لا يستطيع - مع الإيمان بوجود الله -
أن يسكر قدرته وحكمته وعدله في إحراء حكمته وقدرته

والعقل كذلك لا يستطيع أن يعتقد أن الإنسان المكلف والحجر الجامد سوء في
لاختيار ، ولا يستطيع أن يسكر التفاوت بين الناس في الحرية أو التفاوت بين أعمال
الفرد الواحد في الاختيار على حسب الرغبة والمعرفة

وإنما تبرز المشكلة عندما تلمس الإنسان في شعوره ويحتاج إلى التوفيق بين قدرة
الله وعدله فيما يقصده من ألم الخزي وعذاب الندم والتكيب

ولا شك عندنا في حقيقة واحدة نعتقد أنها تلم شعث الخلاف كثير بعد طول
التأمل فيها . .

تلك الحقيقة أن العدل الإلهي لا تحيط به البطرة الواحدة إلى حالة واحدة ، ولا
مصاص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قس استيعاب وحوه العدل في
تصريف الإرادة الإلهية .

إن البقعة السوداء في الصورة الخفيفة وصمة تبيح إدراك حجم الصورة ونظراً إلى تلك
البقعة عمول عسي ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون في الصورة كلها لو لم تكن البقعة
التي لا عسي عنها أو التي تصيف إلى جمال الصورة ولا يتحقق بها جمال غيرها

وبحي في حياتنا لقربة قد سكي حدث يصيبنا ثم نعود قفصحك أو نعسط بما
كسبناه منه بعد فواته .

فالطريق إلى الكون في ألف سنة يكشف لـ من دلائل التوفيق بين القدرة الإلهية
والعدل الإلهي ما لا تكشفه البطرة إليه في سنة واحدة ، وسبع القرون عن البطرة
للحدث الواحد في الساحة الواحدة من حياة فرد بعينه من أفراد الأمم الإنسانية

وعلى هذا النحو نقول إننا نفترب من التوفيق بين القدرة الإلهية والعدل الإلهي
ولا نقول أننا نحيط بدلائل هذا التوفيق جميعها ، فإن الإحاطة بدلائل الحكمة
الإلهية أمر غير معقول في حكم العقل نفسه ؛ إذ كان العقل المحدود لا يحيط
بالقدرة التي ليست لها حدود

وعلى هذا السحر تنوّر دأبَاب القرآن الكريم عن قدرة الله وعن حرية الإنسان وعن
عبد الله في حرّ، قدره ومحاسبة المخلوق على حربه

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عْلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان : ٢٠]

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة : ١٣]

﴿دَلَّكَ بِأَنْ لَمْ يَكُ مُعْتَبَرًا نِعْمَةً أَنْعَمْنَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[الأنفال : ٤٣]

﴿كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسْبٌ رَهِيٌّ﴾ [الطور : ٢١]

﴿وَمَا بِكَ بظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦]

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر : ٣]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ١٨]

ولعل الصعوبة الكبرى إما تساور العصف من فهم قوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا

كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (١) . فلم لا يشاء أن تؤنّى كل نفس هداها على السواء ؟

وتدليل الصعوبة في الحواب منه : فإن الهداية إذا ركبت في طبائع الناس كما
تركب حصائص الأجسام على السواء بين كل جسم وجسم فتلك هي الهداية
الآلية التي لا اختلاف بها بين مدارك الأرواح ولو ارم الأجسام المادية . ومن اختار
ذلك فإمّا يختار لسوء لإنسان مرة دون مرارته التي كرمته وفضلته على سائر
المخلوقات .

فالعادل فيما اختاره الله للإنسان أعم وأكرم مما يختاره الإنسان لنفسه إذ هو أثر
الهداية التي تسوى بينه وبين الحماد .



(١) سورة السجدة آية ١٣

وأيد كان القرار الذي يسكن إليه المسلم بعد تلاوة هذه الآيات فمن الصدق لصميره أنه لابد أن يكون في ذلك القرار عمل للعصيدة الإيمانية ، وعمل العصيدة الإيمانية هو أن يعالج شعور الفلق بشعور الطمأنينة والثقة ، وحاصله إذا أيقن العقل أن قدرة الله لن تكون إلا على هذه الصفة ، وأن حرية الإنسان لن تكون إلا على هذا الوجه ، وأن حرية على هذا الوجه لا تقهر إمكان العدل الإلهي متى التمسنا دلائل هذا العدل في أدب الكون كله ولم نقصرها على حادث في حياة مخلوق بتعبير شعوره بالآله وعواطفها من حين إلى حين



وكثيراً ما عثرنا في رحلات العربيين إلى الشرق الإسلامي كلمات حقولة عن التركية والعربية مثل كلمة ' «قصة» وكلمة «مكتوب» وكلمة «مقدرة» يرددونها بالانطباع محرفة عن السنة العامة في البلاد التي يرحلون إليها ، ويصهرون منها أن المسلم جبري مستغرق في جبرية يستسلم للحوادث ولا يرى أن المحاولة تجديه شيء في إصلاح شأنه أو تغيير قسمته وبما لا مرأ فيه أن هذه الجبرية مسموعة على أفواه الجهلاء شائعة بينهم في عصور الجور والاضمحلال ، ولكنها إذا بسيت إلى الدين لم تكن مستنها إليه سدد من الكتاب الكريم ، ولا من الحديث الشريف ، فإن جبرية المسلم العارف لكتاب الله وسنة نبيه لن تكون كجبرية أحد من الذين أموا قديماً بالكارما الهدية أو بالطوائع الباطنية أو بالقدر العاشم في الأساطير اليونانية ، ولا يستطيع المسلم العارف لكتبه وسنة نبيه أن يدين بجبرية كجبرية المؤمنين باضطهاد الله لسلافة من السلاطات وحروب سائر السلاطات من حضيرة وحمته وعمته ، ولا يستطيع أن يدين بجبرية كجبرية المؤمنين بورثة الخطيئة وقول الكفار عنها بعمل غير عمله ، وإنما جبرية المسلم على حسب علمه بدينه جبرية ينتهي إليها كل من آمن بقدرة الله وعمله ، وأمن بأن الهداية من طريق التكليف أصبح وأدبى إلى العدل الإلهي من هد به إليه تترك في طائعات الناس جميعاً كما تركه حصائص أئمة في طائعات الأجسام



وبعد فحين نكتب هذا الفصل عن الإنسان في العصر الذي نريد فيه تعريف

محيط الإنسان على التعريفات المحيطة التي شهت من قبل وأحملها في أول هذا الفصل لصيف إليها التعريف المحيط بحقيقة الإنسان في عمدة الإسلام

هذا التعريف الجديد الذي زيد في العصر الأخير هو تعريف العلماء النشويين القائلين مذهب التطور أو مذهب الشؤ والارتقاء ، ومعطهم يعرفون الإنسان بأنه حيوان راق . فيصعون هذا التعريف معادلاً لقول القائلين أن الإنسان روح مكوس أو ملك ساقط من السماء .

ما قول المسلم في هذا المذهب الجديد ؟ أتراه يصدق ؟ أتراه يكذب ؟ وهل في خصوص ديه ما يفسر هذا المذهب تفسير موافقه والقبول ؟ وهل في خصوص ديه ما يفسره تفسير يوجب عليه رفضه والإعراض عنه ؟

نحن لا نحب أن نقحم الكتاب في تفسير المذاهب العلمية والنظريات الطبيعية كلما ظهر منها مذهب قبل لمناقشة والتعديل ، أو أظهرت منها نظرية يقول بها أساس ويرفضها آخرون ، ومهما يكن من ثبوت النظريات المسبوبة إلى العلم فهو ثبوت إلى حين لا يلبث أن يتطرق إليه الشك ويتحيفه التعديدين والصحيح ، وقريباً رأيت من فصلائنا من يفسر السماوات السبع بالسيارات السبع في اصطوة الشمسية ، ثم تبين أن السيارات أكثر من عشر ، وأن الصغار منها تعد بالآلاف ولا يحصرها الإحصاء ، فليس من الصور إذن أن نعجم أصون العقيدة في تفسير أقوال وآراء ينسب من الأصول في عمومها ، ولا يصح أن نوقف عليها ، الأصول ، وحسب الدين من سلامة المعتقد ومواقفه للعقل أنه لا يحول بين صاحبه وبين البحث في العلم وقبول الرأي الذي تأتي به فتوح الكشف والاستبطاء ، وعلى هذه السنة يرجع المسم إلى آيات كتابه وأحاديث بيده فلا يرى فيها مانعاً يمنع أن يدرس التطور ويسرسل في مباحنه العلمية إلى حيث يلهمه الفكر وتنفوذ التجربة

﴿ ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَبِيرُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿

[السجدة : ٦ - ٩]

﴿ وَتَعَدُّ حَقِيقَتَا الْإِنْسَانِ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [المؤمنون ٢٠]

وإذ اعتقد المسلم أن خلق الإنسان الأول مبدوء من الأرض وأنه مخلوق من سلالة أرضية فلا عليه بعد ذلك أن يسفر مذهب التطور عن نتيجته المقررة كيف كانت على الوجه القاطع استغرق عليه ، مما يكون في هذه النتيجة نقص بعقيدة المسلم من أصل الإنسان ، إنه جسد من الأرض وروح من عند الله ، وليس في وسع العالم الشرطي أن يدحض هذه العقيدة برأى قاطع حق منها بالتصديق والإيمان .



يقول بينثي في إحدى كلماته التي لا تدرى أهي حد أم مراح إن الإنسان قفطرة بين القرد والسويمان .

وكاد يرح من يقول هذه الكلمة وإن لم يقصد إلى المراح ، فإن القفطرة أسمى مصراها أن يقلل الإنسان من قرد إلى سويمان لا توحد ولا يمكن أن توحد فتنت قفطرة لا يسيب الفرد ولا يسيبها السويمان ولاسي نفسها يديها ولا تسيبها الطبيعة التي قد تحطو من خالق إلى الهاوية ، وقد تحطو من الهاوية بمنه وبسرة إلى غير وجهة

إنما الأحصى أن يقال إن الإنسان قفطرة من الأرض إلى السماء يسيبها الله .

قفطرة قرارها أسفل مسافين ودروتها أعلى حليين

معراج من المراتب يعجول إلى أفق لأرواح والعقول

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَا لَكَ بِهِ ﴾ [الأنشقاق ٦٠]

وإنه لملاقيه لأنه مخلوق على صورته كما جاء في الحديث النبوي الشريف

مخلوق على صورة الخالق .

يرتفع من السراب إلى السعداء أوحى فوق أوحى في طريق عسر طويل هو طريق

النهوض بأمانة التكليف

وما من مسم يدبى بصورة حسدية للإله الواحد الأحد الذى ليس كمثله شئ ، وله المثل الأعلى .

صورته هى حد المسم كوجهه ويده المذكورين فى القرآن الكريم صورة تناسب كماله ، ووجهه ويد تناسبان ذلك الكمال .

والإنسان مخلوق على صورة الخالق لأن صورته حل وعلا هى صورة كاملة من الصفات الحسنى فى مثله الأعلى

رحمة وكرم وعلم وعمل ومشقة ومجد وعظمة وفتح وإسع ورشاء

وكل صفة من هذه الصفات مطلوبة من الإنسان على غاية ما يستطيع

لا يرتقى ذلك المرتقى الذى لا يدرك بالأبصار ولا بالعقول ، ولكنه يرتقى قادراً على الارتقاء من التراب إلى السماء .

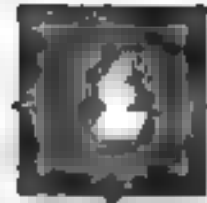
مخلوق على صورة الخالق .

محبوب تهبط به أمانه التكليف إلى أسهل ماضى وترتفع به إلى أعلى عيسى

ذلك هو لإنسان فى عقيدة الإله الواحد الأحد الذى لا أول له ولا آخر

ذلك هو لإنسان فى عقيدة المسيح الصادق الأمين يسى يدعو إلى رب العالمين

الشیطان



فى الكلمة التمهيدية انتى قدمى بها نكاسا عن «إيليس» قلنا إن معرفة الإنسان لشیطان كانت فتحة حیر . لأنه لم يعرف الشیطان إلا بعد أن عرف الخیر والشر ، وعرف الفرق بین الشر والخیر ، فعرف أن الشر لا یحور وكان كل ما يعرفه منه أنه لا یسر ولا یوافق مآربه وشهواته ، وعرف أن محاولة المآرب والشهوات لا تكون شرًا على الدوام بل هى حیر فى كثير من الأحيان ، ومن ثم عرف كيف یکبح مآربه وشهواته وهوراضٍ مطمئن ؛ لأنه یعلم أنه عامل لخبیر مستقیم على بهج الصلاح .

وقارب فى فصول الکتب بین أسلوب الدین فى تعلیم الأخلاق وأسلوب النطق والتعلیم الذى سعى به لأسلوب الأكادیمى ، أو أسلوب المطالعة والدراسة ، وأن بین الأسلوبین فى أعماق النفس وفى میادین العمل لثوب حد یعید ؛ لأن حدود الخیر والشر فى أحدهما حیوية عترح بالشعور والوجدان وتسمو إلى تقدیس الخیرات أو تحذر إلى العیور من نجاسة الشرور ، وما الأسلوب الآخر . أسلوب التفتیق والمطالعة إلا أن أسلوب أوراق وأوراق تقسم عیه معانی الخیر والشر فى الصمیم والفکر كأنها أقسام فى صفحات أو تصیفات فى الودع والمخروبات .

وحسبما کتاب إیلین نكده عن معییس الحقائق التى تعددت وتبوعت فلا تقس کنها بمعیاس الحساب أو معیاس العمل أو معیاس التجربة لحسوسه ، وبحاصه ما كان منها متصلا بالصمیم والوجدان .

ولا نخال أن السریرة الإسائیة تكشف عن أعماقها معن من العیوم كهذ العلم - علم المقارنة بین الأدیان - وعدم الدراسات النفسیة وهو فى حضواته لأولى أو عسی أبواب التائع التى لا تتفتح إلا بین التردد والانتظار

نكر الفائدة المیکرة التى خلصت للعقل الإنسانى من بواکیر البعث فى العلمین أن معیایس الحقائق تحتف وتعدد ، وأن الحقائق كلها لا تقس بأرقام احساب وأنایب عامل ونجرب العلمیین ومناطیر الفکیکین

فهاها حشد من العفائد والأحبة تمتنن به سيرة النوع الإنسانى فى نحو مائة
قرن يدركها التاريخ

ما هى فى أرقام الحساب أو أناسب لمعامل أو تخارب الطبيعة أو مناظير الملكيين
«سهل على أدعياء العلم أن يعرفوها بكلمتين حديث حرافة»

وحديث الخرافة يحجب أن يعنى فتعالوا معه ويجهد لأدعياء العلم جميعاً أن
يسأوا بالنوع الإنسانى فى تعلم الخير والشر والقداسة واللعة على برنامج غير هذا
البرنامج وتربية غير هذه التربية وليتسلم أدعياء العلم هذا النوع الإنسانى قبل مائة
قرن وليأحدوا فى تعديمه الأنددية من هذه الدروس ،

وليفرض أولاً فرضاً مستحيلاً أنهم سيكونون قبل مائة قرن على معرفة بما
يسمونه اليوم حرافة وما يسمونه تحقيقاً وما يسمونه دراسة منطقية أو علمية»

وبعداً النوع الإنسانى فى هذه الممارسة بفلسفات الأخلاق على سداها
ومروصها واحتمالاتها وردودها ومناقضاتها ،

وليحفظ فلسفات الأكاديمية كنها ويتحرج عليها

ولقد حفظها ونقد حرج منها بما شاء له أدعياء العلم من آراء

ولعد وصلنا بعد الرحلة الطويلة إلى القرن العشرين مماذا نقول ؟

نعول إن هذا فى الحق هو حديث الحرافة الذى لا يعدو الألفاظ والعادوس وأسماء
المدارس والمريدين .

لكن النوع الإنسانى ترك هذه الأكاديمية قبل مائة قرن وأمعن فى طريقه الذى هداه
إليه القدر وأعدته له المعطرة ، وبتيجة هذا الطريق أنه أعطى الحياة الماضية لكل خلق
من أخلاق الخير والشر والقداسة واللعة ، وأن علم العلماء اليوم لا يستطيع أن يقيم
من الفوارق الحية المموسسة بين خلق وخلق فرقاً واحداً كالقاروق الذى نفهمه ونحسه
ونحيه حين نتكلم على الخلائق الإلهية والخلائق الملكية أو الخلائق الشيطانية أو عما
يجعلها من الخلائق السماوية أو الخلائق الأرضية أو الخلائق الجهمية

إن العلماء الذين يستعملون تعبيراتهم المجازية من هذه الفوارق لا يعنون ذلك لحما

بالأنظار أو تطرق بالتمثيل والنشيه ، ولكهم يستعيرون ذلك التعبير لأنه أوسى وأوضح وأقوى من كل تعبير يستعيرونه من المدرسة النفعية أو المدرسة السلوكية أو المدرسة الانفعالية ومدارس روح الجماعة أو تصامم الهنات والبيثات وما إليها من ألفاظ غاصلة ومعان حائلة وأسماء لم تخلق من مسمياتها شيئا وهيئات أد تخلقه ولو تسمت بها مئات القرون وعاية ما تلعه أنها تأتي إلى محصول القرون بعد ررعه وثقائه واستوائه وحصده ، فكنت العباوين على علاته وببدره ولا تأمن بعد ذلك أن تصل بين تلك العباوين التي كتبتها بيديها

فهذه الحقائق للوجد بيه والفهم الروحية لا تقاس بمقياس لأرقام وأديب المعامل ، ومن أراد أن يقببها بهذا المقياس فهو الذي سيخطئ لا محالة ، كما يخطئ كل واضع لأمر من الأمور في غير موضعه ، وكل من يقيس شيئا وهو يحسن كيف يقاس . .



إن الإيمان شوق عميق من أشواق النفس الإنسانية يساق إليه الإنسان بباعث من فطرته .

أما الشيء الذي يحتاج إلى أناة العكرة ورحابة الصدر وقبض كل حقيقة يياسها من مقاييسه وحصائنها فذلك هو السداد إلى أسرار الإيمان .

وكل العقائد الإيمانية سواء في حاجة إلى أناة الفكر ورحابة الصدر وحسن القياس لسفاد إلى أسرارها ، ولكن العميدة في عمل الشيطان أحوج هذه العقائد جميعا إلى التسييم سعة الحقائق وتعدد المقاييس التي تكشف عن بواطنها وتسد إلى كنه غلولاتها .

ومن حضرت في دهنه سعة الحقائق وجد بين يديه صعوبة لا صعوبة مشها في رفض فكر الشيطان كما يرفضها أدعياء العلم الذين لو حروا على سننهم في إثبات الأشياء لرفضوا وجود المادة الملموسة عجزا منهم عن إدراك أصولها ، وما أصولها إلا العناصر التي تشق شعاعا متحركا هي أثرا لا وزن له ولا حجم ولا حركة ولا لون ولا طعم ولا تعرف له صفة واحدة من صفات الأجسام بله الأرواح

وما نعلم من شيء كهذه العقائد هي بواعث الخير والشر قد تروى فيه يد العناية الإلهية أحدها يبين هذا الإنسان الضعيف - بن هذه الحيوان الجهول - تقوده من عمالة إجهالة إلى هداية التمييز بين الفصيلة والرذيلة وبين الحلال والحرام وبين المبرور والمخطئ .

ومن ثم نرى أن مراحل الانتقال في تصور روح الشر - أو تصور الشيطان - قد تكون من أوضح المعالم لتابعة الصمير الإنساني في ارتقائه وتغييره ، وإنه من السهل أن تعرف الإنسان بمقدار ما يشعر به نحو الشر من المفور أو الخوف ، وليست بهذه السهولة معرفة الإنسان بمقدار ما يتمثله من مثل العليا للخير والفصيلة ؛ لأن المثل العليا بطبيعتها نبتعد عن الوقوع وتترجح بالأمال والعروض ، ويشبه هذا في علم احسن أن قياس الانحطاط بالنسبة إلى تخصيص سهل محدود المسافات ولكن قياس الصعود والارتفاع بالنسبة إلى الأذى العيب أصعب من ذلك بكثير .

ونحن - بالمقارنة بين هذه المراحل في تصور فكره الشيطان وسلطان الشر على النفس الشريرة - نستطيع أن نرى مرحلة العقيدة الإسلامية من هذه المراحل وأن نعرف منها مدى قوة الصمير الإنساني في مواجهة الشر كما طرأ على العقائد لأول مرة في تاريخ الأديان .

بدأ الإنسان خطواته المتعسرة في طريق الخير والشر حيواناً ضعيفاً يفهم الضرر ولا يفهم الشر ولا يسربه ، وإذا فهم الضرر فإما هو الضرر في جسده أو فيم يظنه اجسد من مطالب الطعام والشراب ولأمن والراحة ، وكانت لأرواح كلها صدارة تلاحقه بالأذى والإساءة ما لم يتوسل إلى مرصاتها بوسائل الشفاعة والمصراعة أو بوسائل الصحاب والقربين .

ثم انقسمت الأرواح عدله إلى صدارة وعبر ضادرة ، وما لم يكن صاراً منها فليس امتناعه عن الضرر لأنه يحب ، خير أو يكره الشر ، بل هو يمتنع عن الإصرار به لأنه روح من أرواح أسلافه ودوى قرابته يصادقه كما يصدق لأب ذريته والقريب دوى قريانه .

ثم طالب مرحله في هذه الطريق حتى سح له نصيب من التمييز بين الضرر الذي يحور والضرر الذي لا يحور ، وقد سح له هذا النصيب من عادة الارتباط

بالعهود وابوثيق بسه وبين أرميه وبسه وبين عشرته وحلفائه ، هما كان محالفاً
للعهود وبوثيق فهو صرر صعر لا يحور ، وما كان ضرراً لا يحور فهو لون من ألوان
الشر الذي كان مجهولاً قبل الارتباط بعهود الصلاة والعبادة أو عهود المحالفة
والولاء .

وربما عبر الإنسان في هذه المرحلة عشرين الفروع حتى وصل إلى عهد
الحصارات العلب ووصل من ثم إلى الديارات التي تلائم عقله وصميره في كل
حصارة منها

هناك عرف الشر والخير وعرف التمييز بين ما يحور وما لا يحور ، وهناك ظهرت
بين أمه المتقدمة قوى الشر الكونية التي تتصرف في الوجود كله ونقصى فيه قضاء
يتمد أثره وراء عمر لإنسان الواحد ورأى أعمال الأحيال والأقوام
وأرفع ما ارتفع إليه لإنسان في هذه المرحلة عقيدة الهدى فعقيدة التنوية فعقيدة
مصر الفرعونية .

فكانت عقيدة الهدى أن المادة كلها شر أصيل فيها فلا خلاص منه إلا بالخلاص
من الجسد ، وكان الشر عندهم مرادفاً للهدم والفساد ، يتولاه الإله الواحد في صورة
من صوره الثلاث - صورة الخالق وصورة الحافظ وصورة الهدم الذي يهدم بيديه ما
بناه وما حفظه في صورتيه الأخيرين .

وكانت عقيدة التنوية من محوس فدرس أن الشر من عند إله الظلام وأن الخير من
عند إله النور ، وأن العلبة أخيراً لإله النور بعد صراع طويل .

وكانت عقيدة مصر الفرعونية أن الإله «سيت» شرير مع أعدائه ومحالفيه ، وربما كان
من الخير لأتباعه ومؤيديه ، ولم يكن خلاص الروح عندهم مفصلاً عن تحلل الجسد ،
ولا العالم الآخر عندهم مخدوقاً على مثال أروع من مثال الحياة في وادي النيل

وعمل علماء المقارنة بين الأديان إلى تفضيل العقيدة الهدية على العقيدة بين
الفارسية والمصرية ، ولكنه تفصيل لا يقوم على أساس صحيح ؛ لأن إلغاء الخير في
عالم أمادة سحافيره لا يفتح فيه مجالاً للخير ولا يجعل الخلاص منه إلا كالتخلص
من مكان موبوء ، حدوده كحدود الأبعاد والمسافات ، وليس في هذه العقيدة الهدية

ما يجعل للهدم لارمة غير لارمة الخلق والحفظ ، فكلها من لورم عمل لإله بعير
تفرقة بين هذه الأطوار تأتي من الإله أو تأتي من العباد

وربما كانت عقيدة مصر الفرعونية أقرب هذه العقائد الثلاث إلى تنزيه الصعير
الإنساني من لوثات الوثنية ؛ لأنها جعلت للشر برعة مفردة بين نظم الأكوان ، كأنما
هي بزعة التمرد هي عالم يقوم على الشريعة والنظم



ثم تميزت من بين عقائد المصائل البدائية و حضارات العليا عقائد الديانات
الكتبية التي يدرس بها اليوم أكثر من نصف الأمم الإنسانية ، ويتغلغل أثرها في الأمم
الأخرى شتًا وثيًا وبولم تتحول عن عقائدها لأولى

تميزت بين ديانات الأولين الديانة العبرية والديانة المسيحية والديانة الإسلامية ،
وكانت الديانة العبرية جسر بين عدوين إحداهما عدوة الوثنية والأخرى عدوة
التوحيد والتنزيه

ولهذا لم تتميز قوة الخير وقوة الشر بفصل حاسم في الديانة العبرية ، فكان الشر
أحيانًا من عمل الشيطان وأحيانًا من عمل أخيه ، وكان الشر بهذه المثابة تارة صرًا
لايحور ، وتارة أخرى صرًا ماديًا يأتي من حيوان كربه إلى الناس لما يفسده من سدوم
وتمتة ، ولم يكن الشيطان مفصلا من زمرة الملائكة بل كذ من زمرة الحاشية
الإلهية التي تفقت معلوم الوشاية والدمية

وقد كانوا يسبون العمل الواحد مرة إلى المعبود إيهوا ومره إلى الشيطان فحاء
في كتاب صموئيل الثاني أن الرب غضب على إسرائيل فأهزج عليهم الملك داود
وأمره بإحصائهم وإحصاء يهودا معهم ، وحاء في كتاب الأيام أن الشيطان هو الذي
وسوس لداود بإجراء هذا الإحصاء ولم يرد اسم الشيطان قبل ذلك في كتب التوراة
مقرونًا بأداة التعريف التي تدل على الأعلام كأنه كان واحدا من أرواح كثيرة تعمل
هذه الأعمال التي انحصرت بعد ذلك في روح واحد يسمى الشيطان ، ويستعين
بمن على شاكلته من الأرواح .



ثم نتغلب فكرة الشيطان مرحلة واسعة بعد ظهور المسيحية هتم لاصصال
 بن لصفات لإلهية والصفات الشيطانية ، وأصبح للإله عمل وللشيطان
 عمل ، ولكنه عمل حسيب يوشك على أن يصارع عمل «أهرمان» إله الطلام ،
 لأنه سمى في الأناجيل باسم رئيس هذا العالم واسم إله هذا الدهر ، وكنت
 له محكمة الدنيا وله منكوث السماوات ، ومنقل مشطر كبير من قصة الخليفة
 في السماء والأرض ، فلولاها لما وقعت الخطئة ولا سقط الجنس البشرى ولا
 وحيث الكفارة بالعداء .

ونتغلب فكرة الشيطان بعد مراحلها بعد ظهور الإسلام ، فهو قوة الشر لا مرة ،
 ولكنها قوة لا سلطان لها على ضمير الإنسان ما لم يسهنم لها بهواء أو تصعب مه
 عن مقاومة الإغراء .

﴿ إِنَّ عَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر ٤٢]

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [نساء ٧٦]

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي
 وَلْتُلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [إبراهيم ٢٢]

فمن أطاع الشيطان فقد أطاع نفسه فطعمها ولم يضمها الشيطان .

﴿ فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفَ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الأعراف ٢٣]

وما يكون لشيطان أن يطلع على الغيب أو يمد إلى أسرار العالم المجهول

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبا ١١]

وما يكون للشيطان أن يضمر أحداً بمحره :

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذُنُ اللَّهُ ﴾ [البقرة ١٠٢]

وما كان لهم من سحر إلا أن تفضل الأبصار والبصائر كأعم ضلال لمسحور صرب
من ضلال المخمور .

﴿ إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ [الحجر ١٥]

﴿ يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمَا تُسْعَى ﴾ [طه ٦٦]

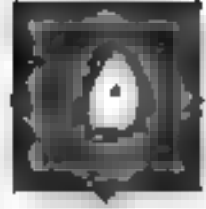
فما كان سحر الشيطان إلا صرباً من الخيال أو الخصال ، وما كان له بموة من قوى
السحر أو قوى العدم أن يهرم ضمير الإنسان ، وكل هذه القوة الخفية يجمع
خصائصها التي تراكم حولها هي العقائد العائرة منتهية إلى وجود كأه العدم أو
كأه الوهم الذي يملث الضمير الإنساني أن يسجاهه وتخصى على صوائه غير منقب
إليه لو شاء ، وإنه ليشاء فلا يكون له عليه من سلطان شيئه الشيطان ، إذ لا مشيئة
له في أمر يوسوس به إلا أن يشاءه الإنسان .



هذه العقيدة الوجدانية الفكرية أقام لإسلام عرش الضمير ، وثل عرش
الشيطان

ومن حق البحث الأمين على الباحث المصنف أن يصيغها إلى عقائد الإسلام
هي الله وفي السبي وفي الإنسان ، فإذا عرف الإصاف فما هو بقادر على أن يرغم أن
الإسلام ديانة محرفة من ديانة محرفة من ديانة سقت ، وإذا عرف الصواب فما هو
بقادر على أن يحدد مرتقه في أطوار الإيمان وبه عاية ما رتبع إليه ضمير المؤمن هي
ديانات الأقدمين والمحدثين .

العبادات



يعرف الدين بعبادته بين أئمة كثيرين لا يعرفونه بعقائده ، وربما استنبوا على العقائد بالعبادات ؛ لأن العبادة فرع من العقيدة يشاهد عباداً في حيز المفيد أو التصديق ولكنها - على هذا - من قروع العقائد التي يدل فيها الخلاف وتصيق حولها موضع اعدل في الخصومات المذهبية ؛ إذ كان العطف على العبادة أنها شعائر توقيفية تؤخذ بأوصافها وأشكالها ، ولا يتحد الاعتراض إلى وضع من أوضاعها إلا أمكر أن ينجه إلى الوضع الآخر لو استدل منها ما يقترحه المقترح ، حرى عليه العمل وقمت عليه ألفريضة من نشأتها

لماذا يكون الصوم شهراً ولا يكون ثلاثة أسابيع أو خمسة ؟

لماذا تكون حصصة الزكاة حراماً من عشرة أجزاء ولا تكون حراماً من سبعة أو من خمسة عشر ؟

لماذا ركع (سجد) ولا فصل في الصلاة أو قياماً وركوعاً بغير سجود ؟

من اعترض بأمثال هذه الاعتراضات فيس ما منعه أن يعود إلى الاعتراض لو فرض الصيام ثلاثة أسابيع ، أو فرضت الركعة فوق مقدارها أو دون هذا المقدار ، أو فرضت الصلاة على وضع غير وضعها الذي اتفق عليه أتباع الدين .

وليس معنى ذلك أن هذه الأوصاف لا تعرف لها أسباب بدعوا إليها وتفسر لنا اتباعها دون غيرها ، ولكنها في نهاية الأمر أوصاف اتوقيفية لا موحى من العقل للتحكم فيها بالافتراح والتعديل ؛ لأن المقترح العدل لا يستند إلى حجة أقوى من الحجة التي يرفضها ويميل إلى سواها

ويسرى هذا على كل تنظم في أمور الدنيا ولا يسرى على أمور الدين وحده ؛ فلماذا يكون عدد الكتبية في جيش هذه الأمة ٥٠ - مثلاً - ويكون هي جيش أمة غيرها ٤٠ أو مائة ؟ ولماذا يجعل اللون الأخضر رمزاً لهذا المعنى في ألوان العلم القومي عند قوم من الأتوم ، وهو محمول لغير هذا المعنى عند أقوم آخرين ؟

لا مناص من النهاية من أسباب توقعية يكون التسميم بها أقرب إلى العفن من
لمجادلة فيها ، لهذا يقل الخلاف بين أصحاب الأديان في شعائر العبادة حيث يكثر
في كل كبيرة وصغيرة من شئون العقائد الفكرية أو عقائد الضمير

إلا أن هذا كله لا يقصى علينا بقول كل عبادة على كل وضع يحصر على البال ولا
يمعت أن تفاصيل بين العبادات فنرى منها عبادة أفضل من عبادة وفريضة أرى بالأتع
من فريضة ، لا شك أن العبادة التي تؤدي غرضها أفضل من العبادة التي لا تؤدي
هذا الغرض ولا تؤدي غرضاً من الأغراض ، ولا شك في وجود المربا التي تنهت بها
العبادات وإن لم تكن هذه المربا داخلة في الغرض المقصود بشعائر العبادات

والغرض من عبادات الأديان يعطى على أغراض متنوعة يصيق بها الحصر
لأنها تقابل أغراض الدين جميعاً بأغراض الدين ، ولكنها قد تجمعها جهد المستطاع
في نسبة المندرج على الدوام إلى حقيقتين لا يساهم الإنسان في حياته الخاصة أو
العامة إلا بهبطه السنين إلى ترك البهيمية واستغرق في هموم مبتلة لا فرق
بينهم وبين هموم الحيوان الأعجم ، إن صح التعبير عن شواغل الحيوان الأعجم
بكلمة الهموم

إحدى الحقيقتين التي يراد من العبادة المثلى أن تنه إليها ضمير الإنسان على
الدوام هي وجوده الروحي الذي ينسفي أن يشغله على الدوام بمطالب غير مطالبه
الجسدية وغير شهواته الحيوانية

والحقيقة الأخرى التي يراد من العبادة المثلى أن تنه إليها ضميره هي الوجود
الخالد الباقي إلى حاسب وجوده الرائل المحدود في حياته الفردية ، ولا مناص من
تذكير الفرد لهذا الوجود الخالد الباقي إذ أراد منه أن يحيا حياة بآثارها إلى ما وراء
معيشته اليومية ووراء معيشة قومه بن معيشة أبنائه بوعه ، وعشاً يترقى الإنسان من
مرتبة البهيمية إلى مرتبة تعوها إن جاز أن يعيش أمامه يوماً بعد يوم وهو لا يذكر
أه مطالب بواجب أكبر من واجب الساعة أو واجب العمر كله ، فإن الترقى في كل
صورة من صورته يعرض إلى عابة واحدة هي خلاص الإنسان من رتبة الانحصار
في مطالب اليوم والساعة أو مطالب العمر المحدود بحياته الفردية .



عبادة المسلم في جميع فرائضها تتكفل له بالنسيئة الدائم إلى هاتين الحقيقتين

إنه في صلاته يستقبل النهار ويتوسطه مرتين ثم يختمه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدي الله كأنه يستهديه في عمله ويؤدي إليه الحساب عن هذا العمل من ساعة البقطة إلى الساعة التي يستسلم فيها لفرقاد أو يطوى فيها تحت جحجج السلام .

وإن المسلم في صيامه ليذكر حق الروح من شرايه وطعامه ، ويذكر أنه ذو إرادة تأخذ بيديها رمام حسدها ولا تترك لهذا الجسد أن يأخذ برمامها ويصرف بها على هواه ، وأصبح ما يكون الصيام الذي يبه الصمير إلى هذه الخفيفة أن يعذر المرء على ترك الشراب والطعام فمرة من الرمس ، ولا يكون فصاره منها أن يستبدل شرباً بشراب وطعاماً بطعام .

أم الزكاة في فرائض الإسلام فهي المذكور له بحصة الجماعة من ماله الذي يكسبه بكده وكدحه ، وهي المذكور له بأن يعمل بعبره ولا يعمل لنفسه وكفى ، وهي الامتحان له فيما تهوى الأنفس من المال واستاع ، حيث كان الصيام امتحاناً له فيما تهوى الأنفس من الشراب والطعام .

وبذا كان الإسلام ديناً يدعو الناس كافة إلى عبادة رب العالمين فالحج هو العريضة التي تتمثل فيها هذه الأخوة الإنسانية على نباعد الديار واختلاف الشعوب والأجناس ، وهي في اصطلاح العرف الشائع بين الناس بمثابة صفة الرحم وتبادل الزيارة بين أبناء الأسرة الواحدة يجمعها المسمى في المكان الذي صدرت منه الدعوة إليها ، وهو أجدر مكان في بقاع الأرض أن يسم فيه هذا اللقاء

ولا حاجة إلى بيان حكمية الركن الأول من أركان الإسلام وهو ركن الشهادتين ' شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله

فهاتان الشهادتان هما الركن الذي تقوم عليه أركان العبادات الإسلامية ، وبعبيره لا يكون المسلم مسلماً بمعاقبته وعباداته .

والشهادتان أسهل العبادات لمعظمهما لأنه لا يعمدو أن يكون نطقاً بكلمات

معدودات . ولكيهما بمصاهم أصعب الأركان في الأديان لأنها انتقل من دين إلى دين بل مرحلة واسعة بين تاريخ وتاريخ .



وعلى هذه الزبيرة وما شابهها في المرائض الإسلامية يناقح للمسلم أن يوفق من عباداته التوقيعية وبين أدائها للعرض من العبادة ، وهو تذكره بوجوده الروحي وتذكره بوجود أسمي من وجوده وأبقى ، وإذا كان تحقيق العرض من العبادة هو مبران التفاضل بين الشعائر التوقيعية وحسب لإسلام من مربة في شعائره أن يوفق بين أوصاعها وأعراصها هذه التوفيق ، لو لم يكن به مربة أخرى

على أن عبادات لإسلام قد امتزجت بين عبادات لأديان مجرية لا يصير لها هي أرفعها وأرقها بالنظر إلى حقيقتها أو بالنظر إلى حماهير المتدينين بها ، وبتلك مربيته البية التي يرعى بها استقلال الفرد هي مسائل الصمير خير رعاية تتحقق لها في نظام حياة

والعبادات الإسلامية بأجمعها تكليف بصمير الإنسان وحده ، لا يتوقف على توسيط هيكل أو تقريب كهنة

يصلى حيث أدركه موعد لصلاة « وأينما كنتم فثم وجه الله » .

وبصوم ويقطر في داره أو في موطن عمله ، ويحج فيذهب إلى بيت لا سلطان فيه لأصحاب سداة ولا حق عنده لأحد في قرانه غير حق المساكين والمعوزين .

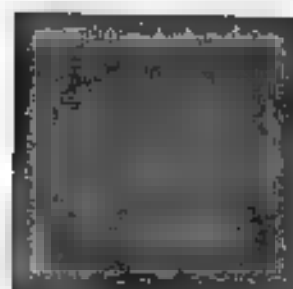
ويذهب إلى صلاة الجماعة فلا تنقيد صلاته الجماعة بمواسم كهنة أو أدوات محراب ، ويؤم في هذه الصلاة الجماعة من هو أهل للإمامة بين الخاصيرين باختيارهم لساعتهم إن لم يكن معروف عنهم قبل ذلك .

إله الدين الذي تتعلم منه أن الإنسان مخلوق مكلف

لا جرم تقوم عاداته على رعاية حق الصمير المستول واستقلاله بمشيشه أكرم رعاية ومرة أخرى يعود في حرم هذا الفصل عن العقائد فسأل أهنا هو الدين الذي يسبيح من يدري ما يقول أن يرغم أنه نسخة محرفة من دين قديم ؟

الفصل
الثاني

المعاملات



من العلماء المشتغلين بالمقارنة بين الأديان من نسم لعقائد الدين سموها ونزاهتها . ولكنه مع هذا يعيب الدين نفسه بشرائعه وأحكام معاملاته ؛ إما لأنه يرى أن الأديان يسغى أن تكون مقصورة على العقائد والوصايا ولا تتعرض للتشريع وأحكام المعاملة التي تصطم بالحوادث المعتمية وتحرق مع تقلبات لأحوال في البيئات المختلفة ، الأرمية لتعاقبة على من شئى ، ولا تحصع لبص الواحد في جميع أطوارها وملاساتها .

هذا ، أو لأنه يعيب المعاملات بذاتها ويرى فيها نقصا يتجافى بها عن مبادئ العدل وأصول الآداب المرعية بين أم الحضارة .

وقد تعمدنا - من أجل هذا - أن نتبع الكلام على العقائد الإسلامية بالكلام على المعاملات الإسلامية ، ونحويك في الكلام على هذه المعاملات أن نقصرها على أبواب المعاملة التي وردت فيها أشد الشبهات على الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر ، من حساب عمماء المقارنة بين الأديان أو من جانب المشررين العاملين على تحويل المسلمين في بلادهم عن عقائدهم وأحكام دينهم ، وقدم بالقول - على التحصيل - تلك المعاملات التي قيل إنها علة تأخر المسلمين وعجزهم عن الأخذ بأسباب الحضارة ومحاربة الأمم في ميادين الأعمال الاقتصادية والشرع العملية ونعنى بها معاملات الشركات وانصاف ومعاملات اجراء والعقاب في القوانين ؛ فلس من عرضنا في هذا الكتاب أن بسط القول في المعاملات بمجدها المعروف بين الفقهاء من معاملات البيوع أو معاملات الأحوال الشخصية وما إليها من أبواب الأحكام التي لا ترد الشبهة عليها من خصوم الإسلام ومن يفترقون لأباطل عليه ، وربما تناولنا بعض هذه الأبواب في موضعه من الكلام على الحقوق الاجتماعية ، ولكننا لا نحسبها من مواطن الشبهة التي يقال من أجلها أنها قد حالت بين المسلمين فعلا وبين النهوض بأعمال الأعمال الاقتصادية وأعمال الشريعة في العصر الحديث

والذى نراه من مراجعة النقد الدينى أن المنكرين لتعريض الأديان لشئون المعاملات محظونون لا يحشمون عقولهم مؤونة الرجوع إلى شأة الشرائع الدينية فى أوقاتها ومساسمتها ، وإلا لعرفوا أن هذه الشرائع لارمة للمعاملين بها لروم العقائد والوصايا الأخلاقية ، وأن العقائد تصطدم بالواقع كما تصطدم به أحكام الشرائع ، فلا معنى لاحتصاص أحكام الشرائع وحدها بالنقد إذا كانت العقائد معها عرصة للامتحان مع تقنيات لأحوال وتحدد الطوارئ والضرورات

والواحب فى رأينا أن يكون النقد كنه موجهاً إلى المعاملات لداتها إذا كان فيها ما يجهى مبادئ العدل وأصول الأخلاق ويحول دون مجازاة الأحدين بها ليس التصور والتقدم وضرورات الحياة العلمية حيلاً بعد حيل

ولو أن المهاد الدينيين كفوا أنفسهم أن يتتبعوا أسباب التشريع فى الأديان الكتابية الكبرى لعلموا أنها قامت بقيام تلك الأديان فى ظروف تحتم النظر فى التسريع كما تحتم النظر فى الاعتقاد ، ولعلموا أن أديان الحضارات الأولى التى استعنت عن وضع بصوص القوانين لم تكن تستعنى عنها لولا أنها شأت فى دور عريقة الحكومات والأحكام ، ومن أعرق تلك الحضارات الأولى حضارة مصر وحضارة بابل وحضارة الهند وحضارة الصين ، فهذه جميعها قد ظهرت فيها الكهنة مجاورة للدولة صاحبة العواصم والأحكام ، ولم تحبص العقائد فيها مع ذلك من الامتراح بالقوى من فى مصادرها وأمانيدها يوم كان كل أمر مقدس وحب للطاعة مستعداً من الأوامر الإلهية ، ولكن رسالة الدين ها لم تكن معولة عن رسالة الدولة فى عقائدها ولا فى شرائعها ، فلما قامت رسالة الأنبياء من دعة الأديان الكتابية قامت بعمل عن الدولة من قامت نائرة على الدول من حولها فوجب لها مع العقائد تشريع يتناول أحوال المعنى وأحكام المعاملات

ويصدق هذا القول على لأديان الكتابية الثلاثة بخير استثناء للمسيحية التى يحظر ببعضهم أنها تعمدت أن تقصر الدين على العقائد والوصايا دون القوانين والمعاملات فالواقع أن السيد المسيح قد جاء مؤبداً لشرائع العهد القديم ولم يحج مبطلاً لها أو معطلاً لأحكامها جاء متممًا لساموس وبم يحج هادماً لساموس ، وكان العالم من حوله مكتظاً بالشرائع الدينية الديونية ليهيكل شرائعه من أراد أن يسعها ويعمل

بها فذلك إليه ، وللندوة شرائعها من أراد أن يتبعها ويعمل بها فذلك إليه ، ومن هنا استطاع المسيح أن يقول للذين نعلموا أن يحرقوه في مسألة الصرث « أعطوا ما لقصر لقصر وما لله لله » . فلم يجد من لورم رسالته أن شور على شرائع النبوة ولا على شرائع الدين وما جاءه المكابرون من اليهود بالمرأة الرانية ليأمر برحمها ويصطدم من ثم بسلطان الهيكل رد عليهم كيدهم بإحراجهم كما أحرحوه ، فقال لهم « من لم يحصى منكم فليرسها أولاً بحجر » فلم يقل أن حكم الرحم باطل ، ولم بأسر به فيقسم بالحجة عليه لأصحاب السلطان في هكل العبادة والشرعية ، وكانت ثورته في نبأها ثوره على الرباء في دعوى الأماء على الشريعة الدينية ، ولم تكن ثورة على الأحكام والنصوص كما وردت في كتب العهد القديم .



أسا الديانة الكتابية الأولى فمهما يكن الرأي في نصوص شرائعها اليوم فقد كان التشريع فيها يوم الدعوة إليها لازماً كدروم الدعوة إلى العقيدة أو الوصايا الأخلاقية . كان موسى عليه السلام يقود شعباً يعبر دولة إلى أرض يقيمون فيها حكماً عبر الحكم الذي حصعوا له في موطنهم الذي تركوه من أرض الدولة المصرية ، فلم تكن رسالته رسالة عقيدة وحسب ، ولم يكن قيام العقيدة ميسوراً بغير قيام القانون .

وكل مقد يوجه إلى أحكام لمعاملات يمكن أن يوجه مثله إلى العقائد والوصايا ؛ لأن التحجر وسوء الفهم غير مقصورين على الأعمال والتطبيقات ، أو سبيلهما إلى العقائد النظرية أبسر من سبيلهما إلى الوقائع العملية ؛ إذ كانت الوقائع العملية ما يضطر المخطئ إلى الشعور بخطئه ، وليس في العقائد النظرية ما يضطر المعتقد إلى الشعور بخطأ من أول وهدة ، إلا إذا تعبير شعوره وتعير وجدانه فارتفع بنفسه وبأحوال معيشتة من الخطأ إلى الصواب .

ولم شاء أن يشير إلى المعاملات في كتب السرائع السماوية كما يشاء ، ولكنه حمد عن حادة الإنصاف إذا اختص لشرعية الإسلامية منقده كأنها الشريعة الكتابية الوحيدة التي تعرضت للمعاملات . فإن الشريعة المنسوبة إلى موسى عليه السلام قد تناولت من أمور المعيشة ما هو اليوم من شئون الأطلاق ، وتناولت من تشريع البحر والعقاب أحكام لا يقرها اليوم أحد من المؤمنين بها ، وإن كان من المؤمنين بإحياء الشريعة من الله إلى كلهم الله

ومن الشئون التي كان يتولاها الكاهن بمحضر أعراض العلل والأدواء وعزل المصابين بها وإعلان محاسنهم على الملأ لاعتقادهم أن المرض الخبيث المعدي نجاسة صافية لبهارة الذبينة أو صربة من الصربات الإلهية ، ويشرح كتاب اللاويين في الإصحاح الثالث عشر منه مثلاً من ذلك فيقول في بيان الدعامة الواحدة للمصابين بالمرض .

«إذ كان إنسان قد ذهب شعر رأسه فهو أقرع . إنه ظاهر وإن ذهب شعر رأسه من جهة وجهه فهو أصلع . إنه ظاهر لكن إذا كان في القرعة أو الصلعة ضربة يصيبها صلبة إلى الحمرة فهو برص مفرح في قرعته أو في صلحته كمنظر البرص في حيد الجسد فهو إنسان أبرص ، إنه نجس ، فيحكم الكاهن بحاسته أن صرته في رأسه . والأبرص الذي فيه الصلبة يكون ثوبه مشقوقه ورأسه يكون مشقوقاً وبعض شاربيه ويمادى نجس نجس كل الأيام التي يكون الصلبة فيها يكون نجساً . إنه نجس يكون وحده خارج الخيمة . . . »

وكان الكاهن يتولى من شئون الطعام والشراب ما هو ألصق بالمعيشة اليومية من شئون الطب ومعامة المصابين بالعلل والسقام ، فالكاهن هو الذي يركب الطعام المساج ويسولي على نصيب المحدث عنه ، وإليه المرجع في التمييز بين الأطعمه المظهرة والأطعمة النجسة من لحوم الحيوان

وتناولت الشريعة معاملات بجراء والعقاب هي الجزاء التي تقع من الناس وفي الإصابات التي تقع من الحيوان ويحزى بها الحيوان كما يحزى بها صاحبه في بعض الأحيان ، ومن أمثلة ذلك عقاب الثور الذي يسطع إنساناً كما جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج .

«لأنه إذا سطع ثور رجلاً فمات يرحم الثور ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئ ولكن إذا كان ثوراً بطاحاً وقد أشهد على صاحبه ولم يصبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرحم وصاحبه أيضاً يقبل »

وتقرر الشريعة كيف تكسب على الأنواع وكيف تكون الألواح التي تكتب عليها كما جاء في سفر الخروج ، بل تقرر ملابس الهيكل وأنواع الألبسة التي يحاط منها ثياب الكهنة والخدم بأمر من الله لموسى تكرر ذكره في الكتب الخمسة المسبوبة إليه

هذه الأوامر المفصلة في معاملات المعيشة ومعاملات اجراء والعقاب مستعربة على السواء في رأى الماطرين إليها من وجهة نظر غير وجهة المتدبيين لمنشئين بها إلى اليوم . ولكنما - بعد الإنعام بها - يعود فمكرر أنها لا تسرع العول بمصر الدين على العقائد والوصايا دون الشرائع والمعاملات ، فإن خطأ يعترى العقيدة كما يعترى الشريعة ، ومرجع الأمر إذن إلى الصلاح والفساد لا إلى العسل أو الاعتقاد ، وما كانت عقائد بني إسرائيل نأثت على الرمن من معاملاتهم وشرائعهم التي تدور بها بعد عصر موسى الكليم ، ولعل حاحسهم إلى معاملات تشبه تلك المعاملات في الحملة كانت أشد من حاحسهم إلى عقائدهم كما تدولوها بعد عهودهم المنهجورة .

وكن ما نحور لنا أن نستخلصه من درامه الشريعة المسبوبة إلى موسى أن سى إسرائيل لم تكن لهم رسالة عدلية إنسانية ، وأنهم قد وافقتهم عقائدهم ومعاملاتهم في عربتهم بين أساء خصارات الأولى ، فبما سميت رسالهم ، محدوده بما يوافقهم تفرقوا بين الأمم من غير دولة ولا سادة على أحد ، فلم يقم لهم سلطان سوى فرض عقائدهم ومعاملاتهم على الأمم ولا على أنفسهم ، وانقص دورهم التاريخى فى أمر العقائد وأمر المعاملات .

وتدلىث تمنع المصراع إلى هذا التاريخ المشحون مدالاته ومعاريه . نظرة المؤمن بحكمة العيب العحية فى تسيير مقادير الشعوب ، ونظرة المؤمن بعبرة التاريخ دون سواء وعلى هذه السنة من المساواة بين حق الدين فى بشر العقائد وحقه فى فرض الشرائع والمعاملات ينظر إلى معاملات الدين الإسلامى كما تنظر إلى عقائده فلا يرى فيها ما يعوقه عن أداء رسالته العالمية الإنسانية التى توافرت له بدعوه إلى إله واحد هو رب العالمين أجمعين وحائق لأهم بلا تمييز يميها فى الخطوة عبده غير مرة التقوى والصلاح رب المشرفين والمعرين يصبى به المرء حيث شاء ، وأبما تكونوا فثم وجه الله .

فما مع الإسلام فقط معاملة بين الناس تصعبهم وتحلو من الضرر بهم والعن على فريق منهم ، وأساس المحرم كنه فى الإسلام أن يكون فى العمل المحرم ضرر ، أو حفاف ، أو حطة فى العسل وإخلق ، ما فرض الإسلام من حرء فقط إلا وهو

«حدود» شروطها وهيودها ، صالحه على موجب تدك الشروط والقيود للزمان الذي شرعت فيه ، ولكل زمان يأتي من بعده ؛ لأنها لا تحمد ولا تتحمر ولا تتحرى شيئاً غير مصلحة الفرد والجماعة ، وكفى باسم «الحدود» نسبها إلى حقائق الحراء والعقاب في الإسلام ؛ فإنها «حدود» نية وصحة تعوم حيث قامت أركانها ومقاصدها وتحقق حكمتها وموجباتها ، وإلا فهي حدود لا بقربها حاكم ولا محكوم إلا حاقت به لعنة الله

والشبهة المتوافرة في العصر الحاضر إنما ترد على المعاملات الإسلامية من قبل النافذين والمبشرين ؛ لأنها تفس ضرورات المعيشة المحددة في كل يوم ، وترصد للمسلم في طريقه حيث صار وأيما اضطرت به ضرور الرق والكسب ومرافق العمل والتدبير ، ويتحرى الناهد الموطن احساس من نفس المسلم حين يلقى في روعه أن شيئاً في دينه يعن يديه عن العمل في عصر المصارف والشركات ، وأن شيئاً في دينه يتفهم به إلى الوراء ولا يصلح لتطبيق في عصر النظم الحكومية التي تحرى القضاء والجزاء على أصواب العلم والتهديب

وليس في المصارف والشركات شيء نافع برىء من الضرر وانعبر يحرمه الإسلام .
وليس في أصول العلم والتهديب شيء يناقض حدود الجزاء في شريعة الإسلام
تندحص شبهة المعاملات الاقتصادية في مسألة واحدة هي مسألة الربا الذي يقول الناقدون أنه قوام المصارف والشركات .



وتتلخص شبهة القضاء والجزاء في حدود السرقة والربا والخمر والمقاربة بين عقوباتها في الإسلام وعقوباتها في الشرائع الموصوعة التي تسمى بالشرائع العصرية ولا يسي القارئ لمسلم - قبل أن يصنع نفسه موضع انهم المطلب بالدفاع عن دينه - أن النافذين والمبشرين يعالطونه ويعالطون أنفسهم حين يحتصون الإسلام بالهد في مسألة الربا - على التحصيل - فإن الربا محرم أشد التحريم في اليهودية والمسيحية من شريع العهد القديم إلى شرائع الكنيسة في العرون الوسطى إلى شرائع البوثرين وأتباعهم بعد عصر الإصلاح ، وقد كان تحريم الربا في اليهودية

والمسيحية عدم محملاً بغير بيان للمفارقة بين معاملات اخية من صفقات
اليوم والمبادلات ، وأما في الإسلام فما من تحريم قط ورد فيه إلا وهو مشتموع بحدود
تقيم العاقل بينه وبين الكسب والخلال .

حرم الربا تحريماً بنياً في الكتب المنسوبة إلى موسى عليه السلام فحده في
الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج
«إن أقرضت قصة الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمراس».

وبعد ذلك

«إن أقرضت ثوباً صاحبك فإلى غروب الشمس ترده إليه لأنه وحده عطاؤه هو
ثوب جلده في مادايام».

وحده في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية

«لا تقرض أخاك ريباً ريباً قصة أو ريباً طعاماً أو ريباً شئاً مما يجب يقرض به» .

وسرى هذا التحريم إلى عهد النسي حرفياً والنسي نحميا فكان النسي نحميا في
الإصحاح الخامس من كتابه

«أني بكث العظماء والولاة وقت لهم انكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه» .

والمقصود بإشارة نحميا أن الربا المحرم إلى هو الربا الذي يأخذه الإسرائيلي من
أخيه لأن الربا المأخوذ من أبناء الأمم الأخرى مباح كيف كان ، والإصحاح الثالث
والعشرون من سفر التثنية المنسوب إلى موسى عليه السلام صريح في إبادة أحد
الربا عن الأجنبي حيث يقول محطاً شعب إسرائيل :

«لأجنبي تقرض من ريباً ولكن لأخيك لا تقرض من ريباً يكره لك الرب إلهك في كل ما

تصنع إليه يدك» .

فليس هذا تحريماً إنسانياً مسعفاً من شعور بالرحمة والعدل في المعاملة ، ولكنه
تحريم عصية يبيح من الفسوة على أبناء الأمم الإنسانية كافة ما يحرمه في معاملة
الإسرائيلي لأخيه .

وقد سرى تحريم الربا في شعب إسرائيل دون غيره إلى ما بعد قيام المسيحية

وعلايتها الدعوة إلى جميع الأمم لأنهم أبناء إبراهيم بالروح . فحرمت الربا في
عبر شعب إسرائيل ولم يعبد تحريمه عموم من المؤمنين دون حريين

ثم سرى تحريم الربا من أوائل عهد المسيحية إلى تمام حركة الإصلاح وشفاق
الكنائس عن كيسة روما الدوية ؛ فانفقت الكنائس جميعاً على تحريم الربا واشتد
«لوثره» في هذا التحريم حتى وضع رسالة عن التجارة والربا حرم فيها كثيراً من البيوع
الربوية كالبيع المعروف في العقه الإسلامي باسم بيع «السحش» أو المعروف باسم
بيع السلم ، والسحش هو التواطؤ على رفع السعر لإكراه الأحرين على قبول الشراء
زيادة على سعر السوق . والسلم هو بيع الآجل بالعاجل زيادة في سعر المبيع

قال لوتر في شرح أنواع الربا التي تروح باسم التجارة ما مدحبه فيما يلي

«إن هناك أماساً لا سالى ضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة في مقابل أثمان
عالية تريد على أثمانها حتى تناع بها نقداً ، بل هناك أماس لا يحود أن يبيعوا شيئاً
بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعهم جميعاً على النسيئة» . . . ثم قال .

«إن هذا التصرف مخالف لأوامر الله مخالفته للعفس والصواب ، ومثله في
مخالفة الأوامر الإلهية والأوامر العقلية أن يرفع الساع السعر بعلمه بقلة البضاعة
المعرضة أو لاحتكاره العليل لموجود من هذه البضاعة ، ومثل ذلك وذاك أن يعمد
الساخر إلى شراء البضاعة كلها ليحتكر بيعها ويشحكم في رفع أسعارها»

وبادر لوتر على إثر ذلك إلى دفع الاعتراض الذي قد يعترض به من يحتج
بتصرف يوسف عليه السلام من أعوم المجاعة فقال «إياه يد شاء أحد أن يحتج
سلوك يوسف كما ورد في سفر التكوين حين جمع كل الحبوب التي كانت في
البلاد ثم اشتري بها في وقت المجاعة ملك مصر كل ما فيها من أموال وماشية وأرض
بما يسدو حقاً كأنه احتكار . فالجواب على ذلك أن صفقة يوسف هذه لم تكن
احتكاراً بل مبايعة شريفة كما حرت عادة البلاد ، فإنه لم يبع أحداً أن يشتري
خلال سنوات الرخاء وإنما كان عمله من وحي الحكمة التي يمرت له أن يجمع
حبوب بملك في سنوات الرخاء بينما كان الأحرار يحربون منها القليل أو الكثير

قال لوتر . به من المصروفات التي تدخ في باب المزاينة ولا تدخ في باب

المجازه أن يعهد أحدهم إلى لاحتكار من طريق العالة ، فيبيع ما عنده بالسعر
الرحيص بيكره غيره على البيع بهذا السعر فيحصل بهم الخراب

وقال : إنه من قبيل العث والاحتيال أن يبيع أحد ما ليس في يده لأنه يعلم
موضع شرائه فيستطيع أن يعرض على مالكه ثمنًا دون الثمن الذي يفرضه على
طالب الشراء

وعد لوثر من المروج المحرم أن يتأمر التجار الكثر في أوقات الحروب على إشاعة
الأكاذيب لدفع الناس إلى بيع ما عندهم واحتكاره بين أيديهم ، ثم تقدير أثمانه
على هواهم ، وقال : إن بعض الممالك الأوروبية - كالمملكة الإنجليزية - تعقد في
عاصمتها محلات يراقب الأسواق ويدير الوسائل لاحتكار السلع المربوطة فيها
لاحتكارها ومقاسمة الدولة في أرباحها

وقال إنه من الخيل المعهودة بترويح الربا باسم التجارة أن تبيع السلعة إلى أحد
ويعلم البائع أن شاربها لابد أن يبيعها في هذا الأجل بأقل من ثمنها لسدد ما عليه
من الدين ويشتريها بالتقسيط الذي يضطره إليه .

قال : وهناك تصرف آخر مألوف بين الشركات وهو أن يودع أحد مبلغًا عدد
تاجر ألف قطعة من الذهب أو الفضة على أن يؤدي له التاجر مائة أو مائتين كل
سنة سواء ربح أو خسر . ويسوغ هذه الصفقة بأنها تصرف ينفع التاجر لأنه يعتبر
هذا القرض نطل معطلاً بغير عمل ، ويضع صاحب المال لأنه يغير هذا القرض
يبقى ماله معطلاً بغير فائدة

وما أحرجه لوثر من أبواب التجارة المشروعة وأحقه بالربا المحرم أن يحزن البائع
علاله في الأماكن الرطبة ليزيد في ربحها ، وأن يروق السلعة ليعري الشاري بدل
الثمن الذي يرجى على ثمنها ، وأن يتحد من وسائل الاحتكار أو الإغراء ما يمكنه
من جمع الثروة الصحيحة ؛ لأنه - ي لوثر - يقرر في رسالته أن التجارة المغلقة سم تكن
فقط وسيلة لجمع الثروات الصحاح ، وأنه إذا وجدت ثروة صحيحة فلا بد هائلها من
وسيلة غير مشروعة .

ولعل لوثر قد دبع في تحريم انبيوع الربا وإحاقها بالربا المنسوخ أو المنعوى ما لم

يبلغه أحد قبله ولا بعده من رؤساء ندس المسيحي في العصور المتأخرة ، وبما لا ريب فيه أن الحالة النفسية التي تساور انصالح الاحتماعى أو الرعط الدينى باعث قوى على التشدد فى حظر المحرمات وذرائعها واتقاء الشبه التى توقع الأبرياء فى حائلها ، وهذه الحالة النفسية قد كانت على أشدها فى القارة الأوروبية بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر فى إبان الدعوة إلى حركته لإصلاح ، فقد كان لوثر يرحو أن يعمل ليلوك والأمراء ورؤساء الدين على كف أذى المرائى والمعالين بالسبع والشراء ، فحسب أملة فيهم أجمعين ، وثبت له من معرفته بهم ومن إشاعات الناس عنهم أنهم يشجعون الربا والمنعالة بالأرباح لماسمة أربابها وشرار القروض والإتاوات منهم وتسحيرهم فى سحرية بعضهم بحسب البصائع واحتكار لأسواق وقد ذهبت هذه الحالة النفسية إلى ضرور من التحريم لو أحدث بها أوروبا الاستعمارية بعده لما قامت لها قائمة ولا جمعت ثرونها الصحاح التى قال بحق إنها لا تجمع من تجارة بريئة ولا من ربح حلال .

وبحسب عما يشير إلى حالة النفسية التى دفعت لوثر إلى التشدد فى حظر المحرمات وذرائعها لكنى لم بالحالة النفسية التى تلقى بها المسلمون رحف المصارف والشركات الأوروبية على بلادهم وسيطرتها على حكوماتهم وشعوبهم ، مما بيع من ضرر المرائى بالشعوب الأوروبية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر أن بعضهم كرامه أوطانهم وأن يدل رؤوسهم ونفوسهم كما فعلت المصارف والشركات الأجنبية بالشعوب الإسلامية مد أعارت عليها مؤيده بحيوش الدول من ورائها هذه المصارف والشركات هى التى مهدت للاحتيارب الأجنبي سببها وهى التى نصت شباك الديون لتسريخ العزو والاحتلال باسم محافطه على الحقوق وصمان سدادها ، وهى التى تدرع بها السامة لخنو النهصاب الوطنيه فى إبانها وانتقالها بالقيود والأعباء التى تعجزها عن محاراة العرب فى صناعته وتجارته وبكسب للاستعمار أن ينشيب أطقاره أبداً فى أبلستها

فإذا حق للمصنح الكبير «لوثر» أن يتشاءم من المصارف والشركات وأن يحسب ثرواتها الصحاح فى عدد السرفات المنعوبة وهى لا تحسب على استقلال الأمم ولا تدلها لبراعين عنها ، فحقى بالمسلمين - ولا ريب - أن يتساءلوا من نيك المصارف

والشركات مرات وأن يستريبوا بها ولا يروا فيها لأرل وهه ما يعربهم بالشسه بها والتسابق بينهم على مهاجها ، فهي بلاء تعودو منه وأحقو، من فذوته ، ولهم العذر كل العذر إذا أعرفوا في الخوف منها حتى أوحسوا حيلة من حيرها الذي لم يعرفوه ، لأنهم عرفوا شرها ولم يسلّموا من بلائه أعوامًا طولا قد طالبت بحساب المصائب بأضعاف ما طالبت بحساب الأيام .



على أن لإسلام نفسه قد ظهر في إيدى حالة بمية تشبه الحالة التي أصابت الغرب من القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ، وتشبه الحالة التي أصابت الصين على أيدي المسلمين والمسلمين وقد كان ما حرمه الإسلام من الربا ودرائمه بلاء كعهد اللاء الذي شقّ به شعوب العرب وشقيت به الشعوب الشرقية والإسلامية ؛ فقد كان الرب الذي وحده في الجاهلية منهي عنه وحرمه حقيقاً بالتحريم في كل شرع وكل مكان ، ومن اطلع على وصفه كما كان يوم حكم الإسلام ساحريته لم يستطع أن يقل فيه قوبى ، ولا أن يجعل بشرائع موقفة منه غير موقف المحريم لشديد بغير هوادة سبيح للمحذول أن يسبل إليه بدرائمه ودواعيه

فسر الإمام الطبري قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَتَقَرُّوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَتَنَحَّوْنَ ﴾

[آل عمران: ١٢٠]

فقال في أسباب نزول الآية « إنما كان الرب في الجاهلية هي التضعيف وفي السر ' يكون للرحل فصل دين فأنه إذا حصل الأجل فيقول له : تفصيبي أو تريسى فإن كان عنده شيء يقضيه قصي وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك ، إن كانت سنة متخاض يجمعها سنة لبون في السنة الثانية ثم حقة ثم حدة ثم رابعيًا ثم هكذا إلى فوق وفي العين يأتيه فإن لم يكن عنده أصعبه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أصعبه أيضا فتكون مائة فيجعلها إلى فاه مائتين ، وإن لم يكن عنده جعلها أربعمائة ، يصعبها له كل سنة أو يقضيه . . » .



كان هذا هو الربا الذي يعطاه اجاهليون ويعطاه معهم أهل الكتاب من بلاد
 يثرب ، وكانت الآيات المتقدمة أولى الآيات التي نزلت بالنهي عنه وتحريمه ، فمعه
 الإسلام كما يمنعه اليوم كل قانون معمول به في بلاد المصارف والشركات وكل ما
 استحدثته من صروب المعاملات التي تسمى بالمعاملات العصرية ، وما من قانون
 ينظم عليه أمر لجماعة لا يحرم هذه المعاملة المكرة ولا يسد العقب عليها

وكان أحرم ما نزل من القرآن للكرام آيات في تحريم الربا نزلت قبل وفاة النبي عليه
 السلام بأقل من ثلاثة أشهر وهي من قوله تعالى في سورة البقرة

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ
 رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ
 مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) قَدْ لَمْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَتُوبْ
 فَكُمْ رَهْوَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى
 مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
 ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة ٢٧٥ - ٢٨١]

ولا خلاف بين المسلمين على موضوع الربا الذي وردت فيه جميع هذه الآيات ،
 وهو ربا الجاهلية المعروف بربا السيئة ، وأحاديث النبي عليه السلام في ذلك وأقوال
 المعصومين لا موضع فيها لخلافه .

ففي الصحيحين أن النبي عليه السلام قال « إني الربا في السيئة » .

وسئل الإمام أحمد عن الربا الذي لا يشك فيه فقال . هو أن يكون له دين
 فيقول له أنقصي أم تربني ؟ فإن لم يقصه راده من المال وراده هذا في الأصل

روى الإمام ابن القيم ذلك في أعلام الموقعين وقسم الربا إلى نوعين : حلى ، وحلى ، فتحريم لأول قصد وتحريم الثاني وسيله فأما الحلى فربا السيئة ، وهو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية ، مثل أن يؤخر دينه ويزيده فى المال كلما أخره راد فى المال حتى يصير المائة عنده آلاف مؤلفة ، وفى الغالب لا يجعل ذلك إلا معمم محتاج وأما الربا الحلى فهو دريعة للربا الحلى وهو ما استحدث بعد الدهسة من بيع الحسن والحسن على غير سوء ؛ فبما ع الدرهم سرهم وزيادته وتناع الكيلة بكيلة وزيادته ، من غير مطالب أو تأخير حساباً للحكم الصانع فى ربا النسبة ، ويسمى هذا الربا بربا الفصل لربوثة أحد المبيعين على الآخر ، ويقول من القسم به من البيع الذى يسجد دريعة لربا المتنوع ، فهو حرام حيث يكون دريعة للحرام ، ولا اتفاق على القطع بتحريمه لاختلاف بعض الصحابة فيه كعبد الله بن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وربي بن أرقم ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وما يحرم سداً للدرافع يباح للمصالح كما قال الإمام ابن القيم فى الجزء الأول من أعلام الموقعين (١)

والحكم الفصل فى هذا البيع الذى كانوا يحدونه دريعة لربا قول النبى عليه السلام

«الذهب بالذهب والفضة بالفضة والثر بالثر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمخ بالمش مثلاً بمثل سوء ، بسواء بذاً بيد ، فإذا احتلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إن كان بذاً بيد . . .»

رواشرح من هذا الحكم أنه يحرم الربا الذى ستروه باسم البيع والشرء ، هما يكون لأحد أن يشتري صف بصف مثله على غير سوء إلا أن يكون سفيهاً أو مصراً والسعة والاضطرار كلاهما مبطل لمبيع المشروع ، فإذا احتلف الصفتان قيمة فلا حرج فى المبيعة لأيهما يحتسب بالمقايضة ، فلا وجه لتحريم هنا ولا التباس بين البيع المحلل والربا المصوغ



وبالمقارنة بين الأديان الكتابية بعد تلخيص الحكم الإسلامى فى مسألة الربا - معمم أن السقيس لا حجة لهم فى اختصاص الإسلام بالنقد لما يرعمونه من تعاونهم أعمال الخصارة بتحريمه هذه المعاملات ، لأنه لم يهرء بتحريم الربا بين هذه الأديان ،

(١) راجع الجزء الثالث من تفسير المنار

حتى ما كان من قبيل السيوع التي تدس لربا وراء ستار من البيع والشراء ، فهذه أيضا قد حرمتها المسيحية على ما تقدم في رسالة «لوثر» التي أحدث بها جميع المذاهب مع مذهب الكنيسة البروتستانتية؟

وبعد حاجة إلى المقارنة بين الأديان الكتابية نعلم أن هؤلاء الباقدين لا حاجة لهم أصلا على لإسلام فيما حرمه من ربا لبسة أو ربا الفضل بأنواعه - كما حرم الإسلام من هذه المعاملات كل تصرف فيه ظلم واضطرار وأكل للحقوق بالباطل وإضرار للأموال في غير عمل ولا طائل - وازدهار الحصار مرهون بالعداء كل تصرف من هذا القبيل ، غير مرهون على رعمهم بحمايته والإغصاء عنه وعن ذرائعه ، وفي وسع المصارف والشركات أن تتجنبه وتحمي في عملها حيث كانت في البلاد الإسلامية ، فليس في الإسلام نص ولا تأويل يحرم المصارف السامع الذي لا اضطراب فيه ولا اعتصام للحقوق ، وما كان من قبيل الاضطراب والاعتصام في أعمال المصارف والشركات فقد حرمته القوانين الوضعية بما اقتضته من قيود الرقابة وحدود الربح والفائدة ، مما استطاعت حكومة من حكومات المتحصرة أن تمنع مكتوفة اليدين لتطلق أيدي المراس في تسمير الديون بغير ثمره لمعدين ، وبغير ربح غير ربح الدائن فتتحكم في فرائس المصنك والاضطرار

ولا نحب أن ندع هذا الموضوع قبل الإنعاق في هذه العجالة إلى مذاهب الفلاسفة والعلماء في الربا بعد الإنعاق إلى مذاهب الأديان فيه .

فمن أقدم البحوث الفلسفية عن الربا بحث المعلم الأول أرسطو - في كتابه عن السياسة - ومذهبه فيه أنه ربح مصططع لا يدخل في باب التجارة المشروعة ، وعنده أن المعاملة على أنواع ثلاثة : معاملة طبيعية وهي استبدال حاجة من حاجات المعيشة بحاجة أخرى كاستبدال الثوب بالطعام ، ومعاملة صناعية وهي استبدال النقد بحاجة من حاجات المعيشة وهي التجارة التي لا حرج فيها ، ومعاملة مصططعة مبنية وهي اتخاذ النقد بصفة سعة تباع ، وإنما حق النقد أن يكون وسيلة للمبيعة ومعيارا تعرف به أسعار السلع المختلفة ، وأما اتحدده سلعة تباع وبشئى فهو حرج به من غرضه واستبدال للتجارة في غير مصلحتها

وعند الفيلسوف يوما لأكويس - حجة المسيحية في القرون الوسطى -

رأى أرسطو هذا في النقد فأوجب به تحريم الربا من الوجهة الفلسفية وأحرج من تعريف الربا كل تصرف لا يحدث فيه تبادل النقد فعلاً ، وإنما يؤول فيه ، عطاء النقد بسداد ربح أو آخره أو ثمن بصناعة . . وعقب توما الأكويسي ألتاع نظروا في تعريف الربا من الوجهة الفلسفية العلمية فلم يجعلوا منه ما هو بمثابة تعويض الدائن عن فوائد ربح كان في وسعه *Lucrum Cessans* أو تعويضه عن حسرة أصابته من خسران ديه *Dammum Emergens* أو عن خسارة أصابته من خسران الحاصل في الوفاء بحقه في موعد السداد المحدود .

ودرج الفلاسفة على اعتماد رأى أرسطو ونوما الأكويسي في النقد إلى فاتحة عصر الفلسفة الحديثة ، فقال دافيد هيوم *Hume* في كتاب المفاصل السياسية الذي طبع سنة ١٧٥٢ « أن للنقد ليس مادة ولكنه أدواتها . » وأنه ليس دولاباً من دولاب التجارة ولكنه الربح الذي يلين هذا ها .

وبدأت فلسفة الاقتصاد الحديث بـ « أبي الاقتصاد » آدم سميث *Adam Smith* (١٧٢٣ - ١٧٩٠) وهو معاصر للفيلسوف دافيد هيوم ، ورأيه في ربح الأرض أنه إذا تكاثرت في حساب الثروة العامة كان من قبيل الكسب بغير عمل ، وهو لا يمنع الربح من الديون ولكنه يحده ويستحسن الإفلاس من قيمته ، وعلى هذا الرأي درج الاقتصاديون المحدثون إلى عهد اندهاب الاقتصادى الحديث الذي هدم كثيراً أو بطل كثيراً من آراء الاقتصاديين السابقين ، ولكنه حافظ على رأيهم في استحسان الإفلاس من ربح الديون ورغم أن السبيل منه يشجع المقرضين على الانتفاع بالأموال المدخرة ولا يرهقهم بأعباء السداد أو يحرمهم ثمره العمل الذي يحتدبون الأموال المدخرة إلى أسوأه بدلا من يعطيها في حرائر الشركات وودائع الصناديق



ويعتبر قضية الربا في القرن العشرين من القضايا المؤجلة أو المعقدة ، إلى حين ؟ لأن الانقلابات التي تجتمعت من حوادث هذه الفتر قد نقت القضية من البحث في الشجرة إلى البحث في حدود الشجرة من أصولها . كانوا يسألون من قبل عن ثمرات لأموال المخلة أو المحرمة ولم تكن تكون ؟ فأصبحوا اليوم يسألون عن الأموال من مصادرها إلى مواردها لن تكون كلها ومن هو صاحب الحق لأول في ثمرتها ؟

فالاقتصاديون الماديون ينكرون مبدأ رؤوس الأموال أصلاً ، ويرفضون السماح
للشخص بملك شيء يمكن أن يسمى مالا أو رأس مال ، ولا معيار عدلهم بحق الفرد في
أحور العمل ، لا ما تفرصه له الجماعة من نفقة على قدر الحاجة إليها ، ولا موضع
للكلام عن الأرباح ثقله أو لمخرمه حيث لا يكون رأس مال ولا يكون أصل معرف
به تتفرع عليه المواضع من المكاسب والأجور .

وعيد الاقتصاديين الماديين يعترفون للفرد بحق الملك وحق حيازة لأموال ولكنهم
يشعرون في توزيع المرافق الكبرى شيئاً فشيئاً إلى الملكية العامة أو الملكية على
المشاع باسم التأمين أو الاستئلاء ووضع خطط التعمير

والمذهبان معاً يتفقان على ضرورة الحد من الثروات الكبيرة بعد استيفاء جميع
الضرائب والرسوم ، فإذا بقيت لصاحب المال حصة من الربح تزيد على مقدار معلوم
أحدتها الدولة باسم الأمة ، وفقاً لمبدأ من مبادئ التشريع مصطلح عنه بين أم
الحصارة التي تكثر فيها الثروات الضخمة وتكثر فيها الفجاف العامة للتعمير والمعونة
أو لتهيئة والدفاع



ونحن لا نريد أن نقارن هنا بين الإسلام والديانات الكتابية في قضية الرن
بأنواعه ولكننا نريد أن نقارن بين المذاهب الاقتصادية التي يظن أصحابها
أنهم يحيطون بحكمة التشريع عامة في جميع العصور ؛ لأنهم حسبوا أن فترة من
فترات الزمن تستوعب هذه الحكمة وتفرغ منها على نحو لا يقبل المراجعة
والتعديل ، وهذا حيل إليهم في وقت من لأوقات أن الحصارة مرهونة بنظام معلوم
في المصرف والشركات خطر لهم أن يقرصوا هذا النظام بعجزه ويجره على الماضي
والحاضر والمستقبل في الشرق والمغرب وبين جميع المل والأقوام ، وطلبوا إلى
أصحاب العقائد أن يسحبوا وإلى أصحاب الشرائع أن ينقصوها ، وإلى أصحاب
المبادئ الخلقية والمكرية أن يقتنعوها من جذورها ، وأحرأوا على من يناقشهم
ويطر إلى ما فوق أبوعهم فأنهموه باخمود والكسة وألقوا عليه تبعة الفساد والرجعة
بالعقول إلى الوراء

وها هي ذي قواعد الحصارة التي يتعلون بها تتطلب اليوم من نظم الاقتصاد

لم يكن تتقبله قبل خمسين سنة ، وسوف تتطلب بعد خمسين سنة ما لم تتطلبه اليوم ، فما هو البراء العادل الذي تصح فيه العودة بين المذهب وبين الدين ؟ هل يبيع لهذه المذاهب المتقلبة أن تعرض سلطانها على الدين الذي لا مزية له إن لم تركز منه صفات الأم إلى قرار مكين ثابت على تعلب الرعازع والأحوا ؟ هل نتظر من الدين أن يعرقل هذه المذهب ويأخذ الصواب منها بدنب الخطأ فيحرم الصواب والخطأ على السواء ؟

لا هذا ولا ذاك

بل يحصى كل مذهب إلى مذهب المقدور ، ويسع الدين لأحداث الزمن فلا يتصدى لها في مجراها ولا يمنعها أن تذهب إلى مدها ، وأن تصطرب اضطربها مستقر لها ثم تحصى الأيام :

﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ حُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]

وبلك هي مزية الإسلام بين المذاهب والأديان ، لا ينفى في طريق رأى صالح ولا يحول بينه وبين التحارب ضد ما لا مسيل إلى قوله ويبقى منه ما هو صالح لسفاه

ونسك الرعازع التي تمحصت عن حوادث القرون العشرين ينظر إليها الإسلام وهو ثابت على قراره الحكيم ، فلا يجمع صالحة منها أن بثت صلاحه ، ولا يدع لهاسد منها أن يطنى بفساده طغياناً لا رجعة فيه

إنه لا يجمع الملكية العامة ، بل يأمر بها في مراعى الجماعة ، ولا يبيع لأحد أن يملك سوارده الماء والبار والكلاء ، كما جاء في الحديث الشريف (١) ، ومن فمهاته في مذهب التصهرية من يشترط العمل لاستحقاق الكسب حتى في تأخير الأرض وزراعة الشجر وحسب الثمرات ،

ولا يبطل لإسلام ملكية الأحاد ، ولكنه يحول الجماعة أن تحتسب لها نصيباً منها بقدرة الإمام تفويض من الأمة ، وتريد حصة الجماعة كيف رادت فلا يكر الإسلام هذه الريادة ، لأنه يحرم كسر الذهب والفضة ويأمر بتوزيع الثروة بين الناس .

(١) روى عن معجم بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ثلاث لا يجمع الكلاء والماء والمرة وروى أحمد وأبو داود . ١ الناس شركاء في ثلاثة : الكلاء والماء والمرة

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُونَ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾

[الحشر ٧]

وقوام الأمر فيه يبيح ويمنع مرجع واحد ثابت على الرمن ثوب الجماعة البشرية ، وهو المصلحة العليا التي يتقدم فيها مصلحة الكثير على مصلحة القليل ، ويتقدم فيها حساب الرمن الطويل على حساب الرمن القصير .

ولكن المصلحة ملكاً أو ربحاً أو تجارة أو مرفقاً تتداوله لأيدي ماسم من لأسماء حيثما بعد حين ، فم كان فيه ظلم وكره وأكل للأموال بالباطل فهو حرام ، وما برئ من هذه الآفات حميماً فهو حلال لا يمنعه أحد ، ومن معه من رعية أو إمام فهو المخلف بعقيدة الإسلام .



ويقال عن حدود الخراء إجمالاً عما يعان عن الرما بأنواعه ، فلا حجة من يحتص لإسلام بالحد في مسائل الحدود ؛ لأنه لم يعرض على حرمة من الخرائم عقاباً أقصى ، فرصه لأديان الكتابية فيه ، وما فرصه الشرائع الموضوعة في أوبه .

ولا حجة لمن ينقد العقوبات ، لأنه يقارن بينها وبين عقوبات العصر الحديث . فإن الحدود هي الإسلام بية لا ناقص مصلحة الجماعة هي رمن من الألمان

ولقد كانت الشريعة الإسلامية ضرورة لا محيد عنها في إبان الدعوة الإسلامية ، هم يكن من اميسور ولا من المنعول أن تلت الأمة الإسلامية حقبة من الرمن على شريعة الجاهلية أو تخصي في حياتها العامة مهلاً بغير شريعة يدين بها ، الحاكم والمحكوم ، وبرت شريعتها في حبيها على مثال لا نقصه شريعة عاصرتها في حميتها ولا في تفصيلها ، وتعافت بعدها العصور وما في عارض من عوارضها حالة لم تقدر لها الشريعة كفايتها من التصرف والتوفيق .

ولس في هذا الكتاب بحاجة إلى أن يصيف شيئاً في موضوع الحدود إلى ما أحملناه عنه في رسالتنا عن السيوعية والإسلام ، فإن لإفصة في التحوث الفقهية ليس من أعراض كتاب هذا ولم يكن من أعراض تلك الكتاب ، وبحسنا من مسألة الحدود أن يخلو السهه عن فواعدها وندع بمسريد أن توسع في شروحهها وبمفريعاتها حيث يطيب له الرد منها ، فربما سلقوب حكمة الإسلام على حلاء القو عد وبوطد الفاعمة مدمعة فقام عليها ما يقام من بناء سليم

تتول الشريعة الإسلامية في الحرية العربية على عهد الجاهلية ، يوم كانت شريعتها العالمة بين جميع القبائل العربية شريعة العادات التي تنسج فيها دماء المملوك وأمواله وسأؤه وكل مملوك له في حرة الفرد أو حرة القبيلة ، وكان أهل الكذب يديون بشريعة موسى التي سم يطلها السد المسيح ، وبها حدود مفصلة في التوراة وقصاص تؤخذ فيه للعين بالعين وأسن بالنس ، كما ذكرها القرآن الكريم

«إذا جاء الإسلام يعفوت لا تصح لعهد الدعوة لم يعط التشريع حقه في ذلك العهد ولا في العصور التالية ، ولكنه يعطى السريح حقوقه جميعا إذا صلح لزمانه ولم ينقطع صلاحه لما بعده ولم يمسح فيه باب الاحسد عند اختلاف لأحوال ، فشتمل حراؤه على حبايات حدود والقصاص وعلى الجادات التي مستحدثها أحوال المجتمعات ويأخذها الشارع بما يلائمها من موحد الجراء»

«وهو ما صنعه الإسلام في حبايات الحدود والقصاص وهي غيرها من الحبايات التي تدخل عند الفقهاء في باب التعزير ، وعينا أن مذكر

أولا - أن الحدود مفدة بشروط وأركان لا بد من بوافرها جميعا باليه القاطعة ولا سقط الحد أو انتقل إلى عفوات التعزير إذا كان ثبوته لم ينع من اليقين مبيع الثبوت الواجب لإقامة الحدود .

وأن مذكر - ثانيا - أن القصاص مشروط فيه العهد وإرادة الأذى بعينه ، فبد لم يشت العهد فالجاء الدية أو التعزير ، وقد يحتمعان أو يكتفى بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية .

ولمذكر أن جرائم التعزير تشمل جميع جرائم التي يعاقب عليها بالسحر أو بالغرامة أو بالعقوبات البدنية .

ولمذكر في جميع هذه الأحوال أن الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات للشك في ركن من أركان احداية أو ركن من أركان الشهادة ، فلا يقام الحد ، ويضطروني الأمر في التأديب بعقوبة من عقوبات التعزير

ولنعصب المثل بأكثر حبايات الحدود وأشيعها في الجاهلية العربية وجاهلية الأمم في عصفونها ، وهي جناية قطع الطريق والحيث في لأرض بالفساد ، وهي هذه الجناية يقول القرآن الكريم

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُقَتَّلُوا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ المائدة: ٣٣، ٣٤

فهذه جناية لها عقوبات متعددة على حسب الأضرار والخرثر ، ومنها القتل والصلب وقطع لأطراف والنفي وهو بمعنى البعد من الجماعة إما بالسجن أو بالإقصاء ، ويلزم العقاب من لومه أحكام الدين ، فإذا كانت جانيه قد انتهت بالتوبة قبل أن يلزمه قصاء الإسلام فهذا هو الناب الذي يحبه الإسلام لا ابتداء عهد وانتهاء عهد عبر بأوراره وعادته واطوى حساب الحدية والعقاب فيه بانتهائه

وأشد هذه العقوبات لم يكن شديداً في عرف أمة من الأمم عوقب فيها من يقطعون الطريق ويعيثون في الأرض بالفساد مع حصول الخدر وكثرة مغرباته وقلة الرواجز لاجتماعية التي تحمي المجتمع من أضراره وخرثره ، وقد كانت عقوبات القتل والتمثيل قائمة في جميع الأمم مع قيام الجريمة وقيام أسباب خدر منها ، وطلت كذلك إلى القرن السابع عشر في البلاد الأوروبية التي استقر فيها الأمن بعد الفرع وانصمت فيها حراسة الطريق بعد الفوضى التي طبع عليها من جراء فوضى الجوار بين الحكومات .

وتلحق بحاية الطريق حناية السرقة التي لا غصب فيها ، وشروطها أن يكون السرقة مفلاً مكلفاً وأن يكون المال المسروق محرراً مملوكاً لمن يحرره يعير شهة ، بالغاً تصاب السرقة كما يتفق عليه الفقهاء ، وكل جريمة من قبيل السرقة لم تثبت فيها هذه الأركان المشروطة فلا يؤخذ فيها الحاشي بحد السرقة ويؤخذ فيها بعقوبات التعزير ، وعند الضرورة التي يقدرها الإمام بجور العفو كما عفا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن العلامين السارقين في عدم مجاعه .

ولا بد أن يمد نظر الباحث على مدى مشات السبل قل أن يسأل عن صلاح الشريعة بعصر من العصور ، ولا محل لسؤاله إذ أراد أن يحصر هذه الشريعة في زمن واحد وبيته واحد ، ولكنه يحسن السؤال إذا عرض أسامه أحوالاً بلألم فيها القديم

وحدث وفيها الهمحى والمتحصر وفيها المسالم بالمؤمن والشرير المحدث ثم سأل هل
فى الشريعة قصور عن حالة من الحالات التى تعرض لنكث الأمم فى جميع أطوارها؟
وهل هناك عقوبة نصت عليها الشريعة لم تكن صاحبه من تلك الحالات؟

فهكذا تورد الشرائع التى تحيط بالمجتمعات فى مئات السنين ، وبعبارة أخرى
تكثر مافى الخطأ أو يطل السؤل فلا محل للسؤل (١)



وعنى عن القول بعد هذه الاعتبارات أن فهم الشريعة بتوصيفها لا يغنى عن
فهمها بروحها وحكمتها .

وروح التشريع الإسلامى كما ظهرت فىصوص الأحكام وأركان الثبوت روح
سمحة جاذبة إلى العذر وتهدد الطريق للتوبة والصلاح ، فبست العقوبة غرض
مطلوباً لدانه يادر إليها ولي لأمر حفيف الصميم معنى من الخرج والمراحة .
ولكنها ضرورة يدفعها ما دفعها الشهية والأمل فى التوبة والصلاح ، وليس الإمام
الذى يتخرج من إقامة الحد فى غير موقعه من الثبوت وتوافق الأركان مخالف
للإسلام مقصراً فى إقامة حدوده ، بل المخالف للإسلام المقصر فى إقامة الحدود من
يهم على العقوبة قبل أن يستوفى أركانها وبدراً كل شهة فيها تأتى لمصلحة المتهم
أو لمصلحة الجماعة ، وإما لإمام الحق فى الإسلام مذكر أن إطلاق المدنب خير من
إذانة السرى ، وأن التخرج أولى ما يكون من عاقب على الخرج فى أمور الدنيا
والدين .

وسياتى البيان عن مهمة الإمام فى تصحيح الحدود والأحكام وتقدير المصالح
والمصروفات فى أمور الجراء وأمر السياسة الشرعية على التعميم ، ولكننا ننتهى
بهذه العجالة عن المعاملات إلى عاصها إذ عرفنا أن الإسلام لا يوجب على الناس
معاملة نصر ولا ينهاهم عن معاملة نصي ، وأنه يؤدى للمؤمنين به خير ما تؤديه
العقيدة النانة على تعاقب الأحيال . لا تمنع التجربة المصالحة أن تثبت صلاحها
ولا تعرط فى الدائم اللارم دهاناً مع العاجل المشكوك فيه

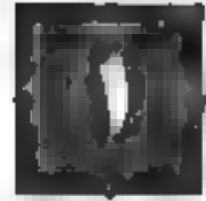
(١) كتاب فشيوعية والإسابة لمؤلف

الفصل
الثالث

الحقوق



الحرية الإسلامية



أصدق ما قيل في الأدب العادى أنها ثورات وسعه ، ولا تقاس السعة فى هذه الثورات بامتداد المكان ولا بكثرة العدد ؛ لأنها أوسع ما تكون إذا شئت فى دحل النفس الإنسانية وكنت القوة الشائرة والقوة المتعبدية مبيها مملكة واحدة هى مملكة الصمير

ولا يهيه يومئذ لظاهر التبدل والتغير التى تتكشف بها الثورة فى تلك المملكة الصغيرة الكبيرة ؛ لأنها تحقق بكل ما تراوله النفس من شئونها الباطنة والظاهرة تلحق بالأمكار والهوى حس الحميه ، وتلحق بالعادات أو لأخلاق ، وتلحق بالعرف والقبول ، وتلحق بالنظم الاجتماعية والدساتير الحكومية ، وتلحق بالحكمين والمحكومين ، وتلحق بكل مملكة لأنها لحقت قبل ذلك بتلك المملكة الصغيرة الكبيرة ؛ مملكة الصمير !

وأوسع ما تكون ثورة الصمير إذا جاءت من قبل الثورة فى تقدير حقوق إن الشائر لصيق نزل به يهدأ إذا انفرج ذلك الصيق ، ونه ليثور كما تنور الريح المنحورة والحيوان الحبيس ، ما هو إلا أن يرتفع الحجر وينفتح الباب حتى تهدأ الثورة ويسكن الشائر واشتر ، ولكنه إذا وثب وثنه فى سبيل حق يؤمن به لا يرجع عنه أو يظفر به كما يطلبه ، وإذا ظهر به لنفسه لم يكف عن الطلب وهو يراه مصصفاً عند غيره ، ويكاد يمس من كل شىء بديراً به بصياغ الحق وحافراً له على حمايته أن يضع ، فدى الثورة الباطنة هى محصاً الثورة الظاهرة ، وطالب الحق هو المطلوب الذى لا يسام عن طلبه ، وهو الرقيب على مريته قبل كل رقيب

ولم تعلن فى ثورات العالم الدبسية حقوق عامة للإنسان قبل ثورة الإسلام فى القرن السادس للميلاد ، لأن الإنسان نفسه لم يكن عاماً فيوبية الدين حقوقاً عامة ، وإنما ورد هذا الإنسان - العام - يوم آمن الدس بأنه يساوى لديه كل إنسان وكل إنسان ، ويوم ليطب حقوقه بواجباته بعير بفرقة بين قبيلى وقبيل

فمن تحصيل الحاصل أن يقال إن حقوق الإنسان لم تكن منطوية من ثورة دينية قبل ثورة الدين الذي دعا الناس إلى عبادة رب العالمين ، وإنما توجد لحقوق العامة إذا وجد صاحبها الذي يستحقها ويؤدي لها فرائضها ، ولم يوجد لهذه الحقوق صاحب مصطلع بها في ثورة دينية قبل ثورة لإسلام ؛ إذ لم يكن هناك الإنسان الذي يتساوى في كل قبل وكل مكان .

عسى أنت ترجع إلى تاريخ الثورات الاجتماعية أو السياسة قبل الإسلام فلا رها تحالف الثورات الدينية المعاصرة لها هي كبير طائل ، ولا ترى سبها حركة بصدق عليها أنها حركة « حقوق إنسانية » بمعنى من معاني هذه العبارات كما يفهمها هي العصر الحاضر ؛ فربما كان بينها ما يسموه بحركات الديمقراطية في بلاد اليونان ، وري بدا بهم من كلمة الديمقراطية أنها من حركات الشعب فهي على هذا حلقة أن تحسب من حركات الحقوق الإنسانية ، وليس هي كذلك حتى هي دلالتها المفطية التي نشأ منها العنط في فهم حقيقتها ؛ لأن كلمة « ديموس » اليونانية كانت تطلق على الأمة التي تسكنها القسبية ، ثم أطلق النظام الديمقراطي عندهم على الحكومة التي تشترك القبائل في انتخابها ، ولم يكن اشتراكها في الانتخاب اعترافاً بحق إنساني يتساوى فيه أحاد الناس ، وإي كان اعترافاً بالقبيلة وتمام معارضتها واضرابها عن العمل في الجيش وتبعية بغير الدفاع

ومثل هذا الحق في رومة « التربيون » الذي تنحبه القبيلة ويشق من اسمها Tribe ، ولا شك لانتخابه بما سمي اليوم حقوق الإنسان

وقد نوانت على اليونان والرومان أنواع من الحكومات الديمقراطية سم يكن لها من مبدأ تقوم عليه عبر أنها تخطط عملية لأمن الأمة واستحلاب الولاء من الجندس لمحيش والأسطول من أساء القبائل وأصحاب الصناعات ، وأيه ذب أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين الأسبرطيين أصحاب النظم والإحوائات الإدارية ولم تنشأ بين الأثينيين أصحاب المهنات والبحوث اسطورية ، وليس هذا بالسمعرب من اليونان الأقدمين إذا بطرا إلى حقوق الانتخاب في الديمقراطيات الغربية إلى أواسط القرن العشرين . فإن هذا الحق كان يتدرج في التعميم على حسب الحاجة إلى الماحين في مصانع الحرب وفي جيوش مقاتلين ، ماله

العمال في السلاسل الصناعية قبل أن يناله الرأب ، ومآله المرأة بعد أن أصبحت عاصمة في المصانع تنوب فيها عن الحند المقاتلين ، وباله السود في الولايات المتحدة بعد صطرار الدولة إلى خدمتهم في المصانع وفي الجيوش على السريج بين الحربين العالميتين

غير هذا ولا ريب هو المقصود بالديمقراطية الإنسانية ، فإنها حقوق معترف بها للإنسان وليست خعطاً عمدياً بوحسها تكافؤ القوى بين الطوائف وجماهير الماحين . وليست الديمقراطية الإنسانية بما يتصور بعير عناصره الثلاثة التي لا انفصال بينها : وهي مساواة والمسنوية العردة وقيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم من الحدود والتبعات ، وهذه هي العناصر الثلاثة التي نادى بها الإسلام لأول مرة في تاريخ الإنسان

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
[الحجرات . ١٣]

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾
[طور ٢١]

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾
[الشورى . ٣٨]

ونبى الإسلام هو القائل صلوات الله عليه :

« لا فضل لعربى على عجمى ولا لقرشى على حشئ إلا بالتقوى »

وهو القائل صلوات الله عليه في حصبه الوداع .

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَيْبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لَأَدَمٌ ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبٍ عَلَى عَجَمٍ وَلَا لِعَجَمٍ عَلَى عَرَبٍ وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَى أَيْبَضَ فَصَلِّ إِلَّا بِالتَّقْوَى »

وهو القائل صلوات الله عليه :

« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أَعْلَى عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، وَيَا بَنِي عَدِىٍّ ، مَا أَعْلَى عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا عِبَاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، مَا أَعْلَى عِنْدَكَ مِنْ

الله شيت ، يا فاطمة بنت محمد ، سبى ما شئت من مالى ، لا أغنى عني من
الله شيئاً

وهذا قيل عن هذه الديمقراطية الإسلامية إنها هي الديمقراطية العربية بقية
الإسلام من بيئة الصحراء التي نشأ فيها

وهي كلمة من كلمات المشور التي تجوز على الأسماح بغير عشاء لأن الطلاقة
شبيهة بالمعهود من الصحراء في الحسن والخيال

إلا أن الطلاقة الحسية - فيما وراء القشور - لا تشبه حرية الحقوق في أصل من
أصولها التي تقوم عليها . - إنها كصلاقة الريح في الفضاء وطلاقة العصفور في الهواء
وصلاقة الأوبد بعيداً من المطردس والأعداء ، وشتان لحرية الإنسانية - حرية
الحقوق امرعية - وهذه الطلاقة التي يتمتع بها حيوان والإنسان على السواء معزل
عن العوارض والرقباء

فإذا تركنا هذه الطلاقة في بيدها العاقلة عنها وبحسنا عن حرية الحقوق في
حكومة من حكومات الجاهلية لم نجد ثمة إلا استبداداً بالامر كأشد ما عرف
الاستبداد في دولة من دول الطغمة دوات الصوبة والصولجان . فقد كانت القدرة
على الظلم قرية بمعنى العزلة وإخاء في عرف السيد والمسود من أمر ، لحريرة من
أقصاها في الحروب إلى أقصاها في الشمار وما كان الشاعر الحاشي إلا قاذف
مبالغاً في القدح حين استضعف مهجوه لأن :

قبيله لا يغدرون بسمه ولا يظلمون الناس حبة حردل
وما كان حجر بن الحارث إلا ملكاً عربياً حين سام بني أسد أن يستعبدتهم
بالعص ونومس إليه شاعرهم عبيد بن الأبرص حيث يقول

أب المملت فوقهم وهم العبيد إلى القيامة
دلو لسوطك مثلما دل الأشيقر ذو الخرامة

وكان عمرو بن عبد ملكاً عربياً حين عود الناس أن يخاطبهم من وراء ستار ،
وحين استكثر على سادة القبائل أن تألف أمهاتهم من حشمتهم في داره

وكان العمدة بن المنذر ملكاً عربياً حين بلغ به العصف أن يتحد لنفسه يوماً
لمرصاً يعدى فيه النعم على كل قدم إليه حبط عشو ، ويوماً لمعصب يقتل فيه كل
طالع عليه من الصباح إلى المساء .

وقد قيل عن عزة كليب وائل أنه سمي بذلك لأنه كان يرمى الكلب حيث
يعجبه الصيد فلا يجسر أحد على الدنو من مكان يسمع فيه نباحه ، وقيل « لا حر
بوادي صرف » لأنه من عزته كان لا يأوى بواديه من يملك حرية في جواره ، فكيفهم
أحرار في حكم العبيد

ومن القصص المشهورة قصة عميق ملك طسم وحديس الذي كان يسبح كل
عروس قبل أن ترف إلى عريسها ، وفيه تقول فتاتهم صغيره

فإن أنتم لم تعصبوا بعد هذه فكونوا ساء لا تعب على الكحل
ودوبكم طيب العروس ملى حلقم لأثوب العروس ولدسل

يستوى أن تصح هذه القصة على علانها أو لا تصح منها إلا الرواية والنظم
الموضوع فإنها لصحيحة بحورها كل الصحة إذا وفر في أدهب الرواة والسمعين أن
الظلم حق للمقادر لمعتر بقدرته ، وأن إدلائ الأعراء علامه العرة قوى كل عزيز . وهو
لم يكن هذا دأب الملوك في معهود العرب الأوبى لما قالت إحدى المكات فيما رواه
القرآن الكريم على نسائها :

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ
يَقْتُلُونَ ﴾^(١)



فالمفارقة الإسلامية إذا لم تكن مائاً ما في الجاهلية وورثه الإسلام منها
لأن الديمقراطية لم يكن لها وجود في الجاهلية بوحود الإمارة والرئاسة الحكومية ،
وم كان منها غير ذلك من قبيل الخلافة المرسله في الصحراء الواسعة ماها هو
طلاقة مادية كطلاقة الطائر في جوه أو كطلاقة الهواء الذي لا عائق له في فضائه

(١) سورة النع ، آية (٣٤)

وإدواء الذي لا عائن له في محراه وتلك الطلاقة المدية - إن جدر أن سميها حرية
فإنها هي الحرية التي يستمتع بها المرء لأنها مئة مرهود فيه لا يحد من صادرة
أو يرغب فيه .

ولم تكن الديمقراطية الإسلامية كذلك نباتاً منقولاً من تربة أحسية لأن
الديمقراطية الإسلامية ديمقراطية حقوق بلارم الإنسان ، وم نبت قنبها من
الديمقراطيات فهو على أحسنه حفظ عملية تمجيد الصلورة على حسب الحاجة
إليها ، وليس هناك « إنسان » يحق له أن يطلقه إذا فقد القدره عليه ، لأن هذ
« الإنسان » صاحب الحق في الديمقراطية باعتباره « إنساناً » مساوياً لسائر أبناء آدم
وحواء لم يكن له وجود مفهوم قبل الدعوة الإسلامية

سم نبت الديمقراطية الإسلامية في تربة الصلراء ولا في تربة اخصاره ، ولكنها
كانت معجرة إلهية مثنها في الظهور بين الجاهليين كمثل الإيمان بالإله الواحد
الأحد الذي لا يحبب قوماً لأهم قومه دون سائر الأقوام ، ولا يلعن قوماً لأهم
ورثوا اللعة من الآباء والأجداد ،

حق لإنسان والإيمان بالله رب العالمين - كلاهما معجرة إلهية نخلت بها قدرة الله
على غير مثال سابق مسلسل من أسبابه في بيئته ولا فيما حاورها من البيئات
هذ السوانق التي سلفت قبل الدعوة الإسلامية كانت كسوانق المرض الذي يتطلب
الدواء ولم تكن كسوانق العلاج الذي ينتهي بالشفاء ، وتلك هي السوانق التي
تتحلى فيها قدرة الله على يد رسول من رسله يسعث بالهدية مدهمةً موفمةً نوحى
من الله ، فيصنع المعجرة التي لم تمهد لها أسبابها ودواعيها ، لأن أسبابها الخفية
ودواعيها الكامنة هي السريرة الإنسانية تقوى ذرع العقوب ولا تدحس في الحساب

ولسنا نحب أن يفهم القارئ من كلامنا أن المعجرة لإلهية تقلب أوصاع لأمر
وتأتى في أوانها بعير سيب مقبور ، وإى يريد أن يقول - إن الأسباب لا تكشف
كلها لعلم الإنسان وإن علم الله هو الذي يحيط بالخوارق التي لا تدخل في
الحسبان .

فالمريض الذي يؤدى إلى الموت سيب ، والمريض الذي يؤدى إلى العلاج المسعد
سبب ، وهذا اختلاط خليط السببان وحاء الشفاء من حيث نتوقع الهلاك والفاء

فتلك معجزة من المعجزات الإلهية علمها عند الله ، وأسببها غير لأسباب التي
عندنا لها قبل وقوعها

نشأت الدعوة الإسلامية في بيئة مريضة بأدواء العصبيات وضروب الضلال
في احتلال من العبادات والخرافات فلو حرت الأسباب التي نذكرها في
مجرها المعهود فالدعوة التي تأتي من قبل هذه البيئة لن تدعو إلى إله واحد
يساوي سواه جميع الناس ، ولن تمح الإنسان حقاً واحداً يتساوى فيه جميع
الناس

ولكن هذه الدعوة جاءت بهذا وذاك ، جاءت بالدعوة إلى رب العالمين وإلى الحق
الذي يتساوى فيه أبناء آدم وحواء ، وجاءت بذلك لأن إلهاً واحداً خلق الله فيه
من قوة الروح ما يكافئ تلك العصبيات جميعاً وتلك الضلالات جميعاً ويغلب
عليها ويحررها في غير مجراها .

ذلك هو رسول الله ،

وتلك هي المعجزة الإلهية

وأسبابها بفتحها الآن ، بعد أن هدبنا إليها ، ولكنا لم نكن لفهمها لو برقاها
قبل وقوعها وبتطريها من حيث ستطر الأسباب العاملة في حياتنا ، ولا سيما
الأسباب التي نحسها اليوم من الأسباب « الطبيعية » ذوب سواها معجزة من
المعجزات الإلهية أن تجيء الدعوة إلى رب العالمين من صحراء لا تعرف غير الفوارق
بين العصبيات ولأنساب .

ومعجزة مثلها أن يجيء من تلك الدعوة حق الإنسان الذي يرفعه عمله ولا
يرفعه سواه ، أي كان هذا التسبب بين الأعراق والأقوام

ولا انفصال بين المعجزتين بعد الرويه في السبب الذي تسعثن منه والنهاية التي
تؤديان إليها

كلتا المعجزتين صادرة من يسوع واحد فمن آمن برب العالمين لم يؤمن برب
فريق دون فريق من الناس ، ومن آمن بالمسكونة بين أعمال الناس وحقوقهم من
يؤمن برب غير ربهم أجمعين .

ويقال بحق إن الإنسان يتطلب المثل الأعلى في الصفات الإلهية ، وإنه من أجل هذا لا يترد حاكمه عن صفة يقبل الاتصاف بها في حق الله

ومن المدهش أنه لا يتحيل حاكمه منوها عن المحابة بين رعاياه إذا جاز عنده أن الله لا يتره عن المحابة بين خلقه في غير عدل ولا مزية

فلا حرم كان الإيمان برب العالمين يأتنا بحق العدل والمساواة ، وإيماناً بالديمقراطية التي تقوم على هذا الحق في الأرض وفي السماء
والله المثل الأعلى .

والله في عقيدة المسلم هو أحكم الحاكمين .

فهو الحاكم الذي لا يظلم أحداً ولا يحاسب أحداً بغير تكليف ، ولا يعير ما بالعبد حتى يعير ما بنفسه ، ولا يأمر الحاكم بأمر إلا كان هذا الأمر من شريعته في عباده ، ومن بواحيه في فضائه وقدره

﴿ وَلَا يَظْمُرُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١٠]

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْمُرُ مُنْقَالَ دُرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَةً يَصَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤]

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأفقال : ٢٣]

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الزهد : ١١]

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥]

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤]

ودا كان هذا عهد الله على نفسه أمام خلقه والثورة لى جاء بها الإسلام في عالم الحقوق أرفع وأوسع من أن تحسب من تلك الثورات التي سبقت ونتهى في نطاق الحركات الاجتماعية أو السياسية إنها ثورة كونية ترتفع بالحقوق والقيم في

نظر لإسكان إلى أعلى فأعلى وإلى أكمل فأكمل فلا تبقى له من علاقة ببني
نوعه أو بالكون الذي يحتويه ، لا ارتفعت بمقدار ما ارتفع عنده من حق ومن قيمة



ومن أجمل ما في الإسلام أن هذه الحقوق العلب فيه لا تحرم الإنسان حقه في
الحياة ولا ترهده في طياتها ومحاسنها ، فحق الصمير لا يحور على حقه في الحياة
الدنيا وهو مأمور بالسعى والعمل ولا يستمتع بما يكسبه بسعيه وعمله من نعمتها
وربنتها ، أمره بذلك كأمره برعاية حقه من العدل والحرية والكرامة



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيًّا ﴾ [البقرة: ١٦٨]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْقُوا مِنْ طَيِّاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِدَّ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

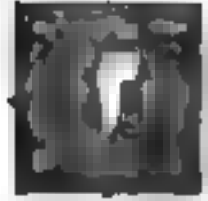
[الأعراف: ٣١]

﴿ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٨٧]



ويقول إن الأمر بحق الحياة من أحمل ما جاء به الإسلام لأن الإنسان لم يتعود
من الدين قبله أن يأمره بهذا الحق ، وإنما تعود من أديان كثيرة أن تنهاه عنه ، وأن
تجعل زهده في الأرض شرطاً لحظوته في السماء .

الأمة



أمر المسلمون بالحق الإلهي فجعلوا لأمة مصدرًا لجميع السلطات ومرجعًا لجميع المسئوليات وهذا هو الحق الإلهي إذا فهم على سوائه ولم تحرف به الأهواء إلى غير معناه ، خدمة للمطامع وترجية لدمار عبد ذوى السطان .

لا مصدر للسلطة العامة فى الإسلام غير الأمة

ولا مرجع فيه للمسئولية العامة غير الأمة

ولا تعارض بين هذا وبينصوص الكتب وسنة الرسول .

فإن النصوص والسنة لا تقوم بدورها ، من تقوم من مهامها وعلمها ويعمل بها ويؤدبها على وحيها ، وكل أولئك تشتمل الأمة بما انطوت عليه من حصتها وعامتها ، وجملة ذوى الحق والعقد والعاملين من علمائها وسوادها

فهى التى تأتمر بنصوص الكتاب والسنة ، وهى المسئولة عن صوابها وحفظها حيث ائتمرت به وانفقت عليه أو اختلفت فيه

وأول ما تكرر من ذلك الحق كفى فى حياة النبى ﷺ ، فيه كان مأمورًا بمشاورة أمته ، وكان الأمر بينهم شورى فى كل شأن من الشؤون غير التبليغ الذى خصه الله به ولولا لم تكن الدعوة إلى هذا الدين .

[ل عمران ١٥٩] ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[الشورى . ٣٨] ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾

ولقبص عليه السلام إلى الرفيق الأعلى كانت ولاية الأمر بعده لمن توليه لأمة وتبايعه على خلافة ، وتولاها من تولاه من الخلفاء الرشدين بالبيعة العامة ، ولم يلع أحد بعدهم حقًا فى ولايتها بغير هذه البيعة

ولا يوجد فى الإسلام حق بغير بيعة فحق الأمة فيه وسعها مكافئان مساويان

حقها تام وتبعته تامة .

حقها تام لا يصلها عه ذو سلطان بعير رصاه ، وتبعته تامة لا يعصها من جرائرها عذر من الأعدار

وهي متكافلة متصامة في حقوقها وتبعاتها ، لأنها متكافلة متصامة فيما بصيها من عواقب أعمالها ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (١)

ولا عذر لها في ضلال تساق إليه متبعة لأسلافها ، ولا عذر لها في ضلال تساق إليه متبعة لأحبارها وكبرائها ، فإن اللائمة لتعود عليها في ذلك كله كما عادت على الدين من قبلها . -

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة ١٧٠]

﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَمَى يُؤَفِّكُونَ ﴾ (٢) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ [التوبة ٣٠]

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴿ [النساء ٩٧]



هذه المسئولية التامة المتساقفة بين طوائف الأمة وطبقاتها - تمهيداً لشرعية تامة متساقفة في عقائدها وتكاليفها ، ولولا هذا التناسق في الدين الإسلامي لكان اضطلاع الأمة مسئولياتها العامة من الصفات التي لا تعقل في قسطاس العدل أو في منطلق الواقع ، لأنها تسوم الناس من حاسب ما تظله من اجناب الآخر

والأحبار والكهان في الأمم الخالية كانوا يقومون بيها هيئة معروضة عليها مرسومة عراسمها الموروثة وأزيائها المقررة وإتاواتها المضروبة عليها كأنها ضرائب

(١) سورة الأنعام الآية (٢٥)

الدولة ، وكانت هذه الهيئة قائمة في الطبيعة تهندي هيتهندي من يديها ، وتصل فلا
يمك أحد سبل الهداية من وراثتها . وكان مسيل الهداية الوحيد أن يتصدى سى من
الأنبياء لهذا السد المغلق فيحطمه ويفتح فيه الثغرة التي يسلكها من يتطوع إلى
بصيص من النور يطالعه من لديها .

ولو حرص الإسلام على الأمم هيئة كهذه الهيئة لما استقام للأمة حقها العام ولا
سسى لها أن يصطع بتبعاتها العامة ، إلا أنه أعدها من طعيان الكهنة وفتح أمامها
مباح للمكر الإنسانى لم تكن مفتوحة من فيه ، فجعل المصباحة حقاً لكل قادر
عليه من أولى الصهم والدرانه ، وجعل العلم وطمه عامة يصلها من يشاء ويتولاها
من يشاء ولا سلطان له على الناس غير سلطان القسوة حسنة والإقناع بالحجة
والبيبة الصادقة ، وهو المشول إن حان هذه الأمانة ، والمسعون له هم المشولون إن
سمعوها فلم يستجيبوا بتدائها

﴿ رَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

وما منك الأمم من قلوبهم إلا لأهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه ﴾ [المائدة : ٧٩]

وإن كلمة « المنكر » وحدها لكافية في الدلالة على هذه الفريضة العامة ، فإنها
من الإنكار الذى يشيع بين الناس فلا يحرى بينهم أمر من الأمور أنكره ولم
يتعارفوا عليه ، فإذا اصطبحوا على المنكر وجعلوا الأمر بالمعروف فسك أيضاً
حريرتهم يحاسبون عليها مدام من حقهم أن يتجسوها ، ولا ظلم ولا حيف فى هذه
مساويات العامة بين الأمم بين العظم والخسف أن يتساوى المحابون والعرفون أو
تتساوى جماعه الجهلاء الذين نعتهم ويلاب خهل وبلاياهم فجهلوا جهلهم
لنحلاص منه ، وجماعه الجهلاء الذين سددو مع الجهل ولم يشعروا بويلاته
وبلاياهم ولا يحل فى مسطرس العدل على كل حال أن تكون الأمة مصدراً لجميع
السلطات إلا إذا كانت مع هذا مرجعاً لجميع التبعات والمنشولات

﴿ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران ١٨٢]



ولا يحسب على الإسلام أن المسلمين لم يحفظوا حقوقهم ولم يضطجعوا
سعيهم ، وإنما يحسب عليه أنهم حفظوا الحق ثم بدموا على حفظه واضطجعوا
بالسعة ثم بدموا على الاصطلاح بها ، أو يحسب عليه أنهم صبيعوا الحق فلم
يصنعهم بلاء من نصيبهم إياه ، وأنهم بكصرو عن التسعة فلم يصنعهم بلاء من
الكوص عن عهده ولم يحدث من هذه ما يذعرو المسلم إلى التدم على إيمانه بدينه ،
ولكنه قد حدث منه مراراً ما يذعوه إلى التدم على التعريط في أوامر هذا الدين
القويم وبواحيه .



ودعه من علامات الخير أن تدول الدول وأن يذهب ما أفسدت من أمور الدين
والدنيا وتبقى للمسلم عقيدته في حقوق أمته مصنوعة على قنوب المحافظين والمجددين
محمولة في آراء الوادعين والشائرين ، يقول أشدهم محافظة ميقوده أشدهم قلق
وثورة ، ويلافق الماضي والمستقل لديهم أجمعين على كلمة سوء بسمعها من شيء
بعد أربعة عشر يوماً كما سمعها أسلافه قبل أربعة عشر قرناً في صدر الإسلام
وابان الدعوة المحمدية .

يقول إمام من أشهر الأئمة المتأخرين بالمحافظة على القديم

إن كتب الكلام . (كلها مطبقة متبعة على أن منصب الخليفة والإمام إنما
يكون بمباينة أهل محل والعقد وأن الإمام إنما هو وكيل الأمة وأنهم هم الذين يولونه
ملك السطة وأنهم يملكون حبه وعزله وشروطه بذلك شروطاً أخذوها من
لأحاديث الصحيحة وليس لهم مذهب سوى هذا المذهب . ١٢

ولا يفوت في حتام هذه الكلمة عن حقوق الأمة أن سبه إلى حقيقته نسبة إلى
الأمة حيث وردت في القرآن الكريم فإن كتاب الله يعنى بهذه الكلمة أن الخطاب
الإلهي موجه إلى الأمم عامة لا تسأثر به أمة ولا تحجب عنه أمة خلافاً لما قال من

(١) الشيخ محمد يحيى في كتابه عن حقيقة الإسلام وأصوله الحكم

بني إسرائيل إن ١ لأم ١ لا تتلقى خطاباً من الله وإيهم وحدهم أمة إسرائيل - قد ستأثروا بهذا الخطاب دون خلق الله .

وبدل عن ذلك أن كلمة ١ الأميين ١ قد وردت في القرآن الكريم مقابلة لأهل الكتاب أو لأهل الكتاب من بني إسرائيل خاصة في غير موضع ، فالأميون قد وردت في سورة آل عمران مرتين مسبوبة إلى كل أمة غير بني إسرائيل

﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ [آل عمران : ٧٥]

﴿ وقل للذين أُوتُوا الكتاب والأميين ﴾ [آل عمران : ٢]



وقد وردت بهذا المعنى حيث جاء في القرآن الكريم أن الله ﴿ بعث في الأميين رسولاً ﴾ ١ . تكديماً لدعوه الذين يرفعون أن الله تعالى لا يخاطب الأمم . وتذكيراً لهم بأن الأمة هي موضع الخطاب من الله كما بعث إليهم رسول

﴿ ورن من أمة إلا آحلف فيها لنذير ﴾ [فاطر : ٢٤]



(١) سورة الجمعة الآية (٢)

الأسرة



لأسرة هي لأمة الصعبة ، ومنها نعلم النوع الإنساني أفضل أخلاقه الاجتماعية ، وهي في الوقت نفسه أحمل أخلاقه وأفعها

من لأسرة تعلم النوع الإنساني الرحمة والكرم ، وليس في أخلاقه جميعاً ما هو أحمل منهما وأنفع له في مجتمعات

فالرحمة في اللغة العربية من الرحم أو القرابة ، وهي كذلك في اللغات الهندية الجرمانية لأن كلمة Kind مآخوذة كذلك من الرحم ، وكلمة الطفل التي تتمثل الرحمة كلها في العطف عليه مآخوذة منها

والكرم في اللغة العربية مآخوذ من النسب الصريح الذي لا هجة فيه ، وهو في اللغات الهندية الجرمانية مآخوذة كذلك من « Genre » . .

والمسبب إليها هو الكرم .

وردا تتبع سنن الفصائل والمبادئ الخلقية المحمودة لمعانيها في أصل من أصولها على الأقل مصباً من مصادر الحياة في الأسرة . فالعيرة والعزة والوفاء ورعاية الحرمات كلها قريبة النسب من فصائل الأسرة لأولى ، ولا تزال من فصائلها بعد تطور الأسرة في أطوارها العديدة عند عشرات العرون

ولا نقاء ما تكلمه الإنسان من أخلاق المروءة ولا يثار إذا هجر لأسرة وفكك روابطها ووشائعها .

فمن عادي الأسرة فهو عدو للنوع الإنساني في ماضيه ومستقبله ولا يعادي الأسرة أحد ، لا تسب عدونه للنوع الإنساني من نظره إلى تاريخ الأحيال الماضية كأنه ينظر إلى عدو بصممه المعض ، ويهدم كل ما أقامه من بناء

وما من سيئة تحب على لأسرة بالغة ما بلغت سبائنها من الكثرة والصرر هي مسوعة تحب لسي الإنسان أن يهدم لأسرة من أحبها ويعصى على آثارها

فحب الأسرة - حقاً - قد سول لسان كثيراً من الحشع والأثره ، ومن الحبس
والبحل ، ومن الكيد والإجرام

وكذلك حب الإنسان نفسه قد فعل هدا في العالم الإنساني وريادة

ولكن لا محو الإنسان ولا محو الأسرة من أجل الأثره وأصرارها - وإنما محو الأثره
ما استطعنا وبوفق بيها وبين الإيثار عاية ما يستطع التوفيق بين الخليفتين ، وسدح في
ذلك مع الرمس لأساء أفلحنا كثيراً في تعميم روابط الأسرة الصغيرة بين أساء الأسرة
الكبيرة ، وهي الأمة ، ولأساء أفلحنا كثيراً في تعميم المنافع والمراقق من هذه المشاه
مضلاً عن المناقب ومكارم الأخلاق . ولولا الأسرة لم تحفظ جماعة نافعة تورثها
الآباء عن الآباء ثم وارثها أساء الأمة جمعاء ، ولولا الأسرة ما اجتمعت الثروات
التي تعرفت شيئاً فشيئاً بين الورثين وغير الورثين من الأعقاب ، ولولا الأسرة
لاستجاب لدعوة الهدم والتحرير كل من لا حلاق له من حشالات الخلق وتعاياتهم
في كل جماعة بشرية . فالأسرة هي التي تمسك اليوم ما يباه النوع الإنساني في
ماضيها ، وهي التي تثول به غداً إلى أعقابه ودراريه حقه بعد حقه وحيلاً بعد حيل
لا أمة حيث لا أسرة .

بل لا أدمية ، حيث لا أسرة .

ولن يسى الناس أنهم أساء آدم وحواء إلا نسوا أنهم أيتاء رحم واحد وأسرة
واحدة ، كائناً ما كان تأويلهم لقصة آدم وحواء .

ومنى عمن أن واحب الإنسان لبي نوعه في الإسلام ، ما هو واحب الأسرة
الكبرى التي جمعت أحوه الشعوب والقبائل لسعارف بيها ، فقد عمن شأن
الأسره في هد الدين وعمن أن قرابة الرحم والرحمة حجة القرابة بين الأحوه من
أساء آدم وحواء ، وأنها هي شفاعة كل إنسان عند كل إنسان .



تقوم الأسرة في الإسلام على أنها كيان دائم ترده السعة والامتداد والوئام
وتتحقق سعة الأسره وامتدادها ووئامها بطنمين من النظم التي شرعها لها
الإسلام ، وهما نظام المحرم في الروح ونظام الميراث

فالإسلام يحرم الزواج بالأقربين ولا يبيح من دوى القرابة ، لا من أوشكوا أن يكونوا عرباء ، فالزواج يجمع منهم هي الأسرة من أوشكوا أن يتصرفوا كأبناء العمومة والختولة .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخُواتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي رَضَعْتُمْ وَأَخُواتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ سَائِكُمْ وَرِثَاتُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ سَائِكُمْ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَمَا لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَالٌ أَبْنَائُكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَحَمَّلُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء ٢٣]

والمقصد من هذا التحريم موعة لا تحصيها في هذا المقام ، أحلها وأحداها توسعة الأسرة ووقايتها من شوحر ، لخصومة والنقصاء ، وأن يتحقق بالزواج من أسباب المودة والنسب ما لم يتحقق بالقرابة ، فيرجع إلى الأسرة من أوشك أن يفصل عنها ، ويحرم الزواج بدوى القرابة الحميمة التي لأحاجة بها إلى توثيق النسب والمصاهرة ، وهما في القرآن الكريم من آيات خلق الإنسان كما جاء في سورة الفرقان

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾

[الفرقان . ٥٤]

ويشرع الإسلام نظام الميراث لأن الأسرة كيان يعيش ويتصل عمره بعد نقضاء أعمار أعضائه ولا اعراض عن نظم الميراث من وجهة النظر إلى طوائع الأحياء ولا من وجهة النظر إلى المصلحة الاجتماعية ، وإن لأساء يرثون من آبائهم ما أرادوه وما لم يريدوه ، وحق لهم أن يرثوا ما حملوه من عروس كما ورثوا عنهم ما حملوه من خليقة لا فكراء لها ، ولا غش على المجتمع في احصااص الأبناء بشجرة العمل الذي توفر عليه الأبناء ، لأن هذه الثمرة إذا بقيت في المجتمع كان الورثة أحق بها من صوهم ، وكان العن في النهاية أن يتساوى العامل بقده والعامل الذي لا يطر إلى عبر يومه وساعته ، أو يتساوى من يعمل وبني للدوام ومن لا يعمل ولا يبالي ما يصيب المجتمع بعد يومه الذي يعيش فيه

ويحقق وثام الأسرة وامتنادها بما فرضه الإسلام من حقوق لكل عضو من أعضائها ، فلا حق لإنسان على إنسان أعظم من حق الآباء والأمهات في الإسلام على لأساء والذرية . وبحسبك أنه كاد أن يكون المر بهم مقروناً بالإيمان بوحداية الله .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
[الأعام: ١٥٢]

وكادت الطاعة لهم ألا يسعها واحب غير الطاعة لئله المعبود .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعِمَهُمَا وَمَا تَحْتُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾
[لقمان: ١٤ ، ١٥]

﴿ وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَتَّبِعَ عِنْدَكَ الْكُفْرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفَصْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ ، ٢٤]

وفي القرآن الكريم غير الوصايا في هذه الآيات وصدا مثلها تذكر كلما ذكر الوالدان ، وفيه من الآيات ما يتصل به شكر الإنسان لعمه الله على أنويه بدعائه إلى الله أن يصلح له دريته وأن ينهمه العمل الذي يصلح به حياته السقة .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَلِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ مَسَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبِّتُ الْيَتِيمَ وَأُثْبِتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ... ﴾ [الأحقاف: ١٥ ، ١٦]



وربما سبق إلى الخاطر في عصرنا هذا أن المر بالأبناء لا يحتاج إلى وصية دينية

كوصية الأساء بالآباء لما ركب في طماع الأحياء من حب السيل والرفقة بصغار الأطفال على العموم إلا أن أحوال الأمم وأحكام شرائعها قبل الإسلام تنبئ عن مسبب الحاجة إلى هذه الوصية ، لأن أخطاء العرف الشائع فيها كانت أشد من أخطاء العرف الشائع في معاملة الأبناء بالآباء فكان الولد في شريعة الرومان بمثابة العبد الذي يمكنه والده ويتصرف فيه برأيه في كل ما يرتضيه له قبل بلوغ رشده ، وكانت شريعة حمورابي توجب على الأب الذي يقتل ولداً لغيره أن يقدم ولده لأبي القاتل بفتن من بقتله ، وكان اليهود يفتنون لأبناء والنات مع أبيهم إذا جنى الأب حنابة لم يشتركوا فيها ولم يعلموها ، ومن ذلك ما في الأصحاح السابع من كتاب يشوع حين اعترف عحن بن رارح بسرقة الرداء النفيس والفضة

« فأرسل يشوع رسلاً فركبوا إلى الخيمة وإذا هي مضمورة في خيمته والفضة تحتها فأحدوها من وسط الخيمة وأتوا بها إلى يشوع وإلى جميع بني إسرائيل وبسطوها أمام الرب فأخذ يشوع عحن بن رارح والفضة والرداء ولسان الذهب وسببه وسناته وبقرة وحميره وعمه وخيمته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادي عجور ، فقال يشوع ، كيف كدرتنا بكذرك الرب في هذا اليوم؟ فرجمه جميع بني إسرائيل بالحجارة وأحرقوه بالنار ورجموهم بالحجارة وأقاموا فوقه رحمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم فرجع الرب عن حمر عصبه . ولدت دعى اسم ذلك المكان وادي عجور إلى هذا اليوم



أما عرب الحديفة الذين رل عنهم القرن الكريم فقد أبيع بينهم قن الأولاد وجرت بينهم شريعة الثأر من الآب بسب أبيه سجرى العرف المحمود فلما جاء الإسلام أثبت للولد حقاً في أحياء والملك كحق بويه وشرع له من مولده حقوق الرضاع والخصانة ، وكان آبر بالآباء من أباؤهم وأمهاتهم ، لأنه كان يأخذ العهد عليهم ألا يفتنوا آباءهم وبحميتهم ، لا يحملون منه سبباً ، لأبوة والأمومة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُسَآئِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

يَسْرِقْنَ وَلَا يَرْبِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ [المتحة: ١١]

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأععام ١٤]

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيَتْكُمْ ذُرِّيَّتُكُمْ وَإِنَّاكُمْ ﴾ [الإسراء ٢]

أما حقوق الأسرة من حيث الروابط الروحية فقد جاء الإسلام فيها بالجديد الصالح وأقام حقوق الزوجين على أساس العدل بينهم ، وأقام العدل على أساس المساواة بين حقوق والواجبات ، وهي المساواة العادة حقاً في هذا الموضوع إذ كانت المساواة بين الدين لا يتساوون بأعمالهم وكفائهم ظاهراً لا عدل فيه

ولم يهبط الإسلام بمحنة المرأة في جانب من جوانب حياتها العامة أو حياتها الستة التي وحدها عليها ، ولكنه رفع بها من الدرك الذي هبطت إليه في الحضارة العابرة وعقائد الأمم التي تأثرت بتلك الحصارات قبل ظهوره ، وكذا لم تكن على حالة مرعبة في بلاد العالم المجهول .

كانت المرأة في الحضارة الرومانية مدعى له حقوق الفاعل أو ليست له حقوق مستقلة على الإطلاق .

وكانت في الحضارة الهندية عائقاً للحلاص من دولاب الحياة الجسدية ، وخلاص المرء مرهون # بدوكش # أي بالانفصال عنها ، وكان حقها في الحياة منتهياً بانتهاء أجل الروح ، تحرق على حدثه عند وفاته ولا تعيش بعده إلا حاف بها اللعنة الأبدية وتحامها لآل والأقربون .

وكان للمرأة في الحضارة المصرية القديمة حظ من الكرامة يجيز لها الجلوس على العرش وبسوتها مكان الرعاية في الأسرة ، ولكن الأمة المصرية كانت من الأمم التي شاعت فيها عقيدة الخطيئة بعد الميلاد وشاع فيها مع اعتقاد الخطيئة الأبدية أن المرأة هي علة تلك الخطيئة وحلقة الشيطان وشرك الغوية والرديلة ، ولا حاجة لروح إلا بالنجاة من أوهاقها وحياتها

وكانت معيشة المرأة في الجاهلية العربية تمتع المرأة بعض الحرية لأنها كانت عصواً بامعاً في تلك المعيشة البدوية تسقى وترعى وتصح وتسحرج الطعام من الألبان والشحومات ، ولكن هذه المعيشة البدوية نفسها كانت ترعب لأناء هي دربه البهين وترهبهم في دربة انسان ، لأن البيت جد القبيلة وحياة حورتها وعدنها هي

ش العارات والسأهب لردھا ، فلم یکن أبعض إلى الأب من حبر یتأیبه بمولد أشی ولو کان ذا وعر ووعرة ، ومسهم من كان بشد الساب إشفاقاً من العار إن لم یتدھن حشیة إملاق ، وإلى ذلك یشیر المرء الکریم حیث جاء فی سورة النحل :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل : ٥٨ ، ٥٩]

وتكررت الإشارة إليه حیث جاء فی سورة الرحرف بعد تسعیه الذین جعلوا لرحمن جزءاً من عباده :

﴿ ... أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَدَنًا وَأَصْنَعَاكُمْ بَالِيسَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الرحرف : ١٦ ، ١٧]

فما بحث السی صلوات الله علیه بالدعوة الإسلامیة لم یكن بمرأة منزلة مرصعة ولا حقوق مرعية فی وطن من أوطان لخصارة أو البدوة فمدحس لإسلام عبها هذه الوصفة وحولها من الحقون ما یساوی حقوق الرجل فی كل شیء ، لا فی حق القواصة :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِأَنفُسِهِمْ مِنَ أَمْوَالِهِمْ ... ﴾ [النساء : ٣٤]

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨]



وبعد ، الذی عبیه بالمساواة بین الحقوق والواجبات لأن المساواة بین الرجل والمرأة فی جميع الکفايات والأعمال أمر لم یقم عبیه ذلیل من مكوین العطرة ولا من تحارب الأمم ولا من حکم المداة ومشهده ، بل قام الدلیل على نقیضه فی جميع هذه الاعتبارات ولم تتجاهل الأمم هوارق الخنسین إلا كان تجاهها لها من قیل تجاهل الطبیعة التي تصطر من يتجاهلها إلى الاعتراف بها بعد حس ، ولو من قیل

الاعتراف بتقسيم العمل بين جنسين لم يخلقاً مختلفين عبثاً بعد أن غررت عليهم ألوف السنين ، وأحرى أن يكون طول الزمن مع تطور الأحوال الاجتماعية سبباً لا اختصاص كل منهما بوصيفة غير وظيفة الجنس الآخر ، ولا سيما في الخصائص التي تفرق فيها كمايه الحياة المنسية وكفاية الحياة الخارجية ، فإن صور الرمن لا ينبغي انفراق بن يريدن ويجعل لكل منها موضعاً لا يشانه سوء

إن تكوين الفطرة في مسألة النسل التي هي قوم حياة الأسرة يفرق بين الذكر والأنثى تفرقة لا مسيل إلى الإغصاء عنها هي حياة النوع الإنساني على الخصوص . فإن وظيفة النسل طليقة هي الرجن يصلح بها ما صبحت بنينه فطون حبه إلى السبعين وما بعد السبعين ، ووظيفة التناسل هي المرأة مقيدة بالحمل مرة واحدة في كل عام ، وقلما تصلح لها المرأة بعد الخامسة والأربعين أو الخمسين في أكثر الأحوال .

وفي تحارب لأنم شواهد ملموسة على الفارق الأصيل بين الجنسين في الكفاية العقلية والكفاية الخدمية فإن المرأة على العموم لا تساوى الرجل في عمل اشتركاً فيه ، ولو كان من الأعمال التي انقطع لها المرأة منذ عشر الجسار هي معيشة وحيدة . لا تطح كم يطح ولا تنقص الأرباء كم ينقصها ولا تبدع في صناعة التجميل كب يبدع فيها ولا تحس أن ترثي ميأ عزيز عبيها كما يرثي موتاه ، وهي منذ بدء الحضنة نردد الواح وتغرد بأكثر مراسم الحداد ومر اللغو أن يقال إن هذه الفوارق إنما نجمت من عسف الرجل واستبداده ، فإن الرجل لم يكن يهيئ المرأة أن تطح وأن تخطط الثياب وأن تترين أو ترفص أو تترنم بالأعاسي والأناشيد ، ولو أنه بهاها فستطاع أن ينهاها هي بيتها وفي الدب الرحبة لقد كن ذلك منه ذليلاً على علية العقل والإرادة لا ريب فيه

وبدع الإرادة هي كل شيء وشأمل العريرة الجنسية المركبة في إناث جميع الأنوع ههن من المجهول احدى أن الأنثى نكنم إرادتها ولا تجهر بها وأنها تصدى للذكر حتى بنمت إليها؟ وهل من المجهول احدى أن أصوات الذكور تعلط وتقوى بعد بلوغ الضبح لانفرادها بالدعاء بحسى واعتزان هذه الدعاء بالموهي كن موه نكنس لها العبنة والسق هي صرع الانتحاب الجنسي؟ وهل مما يستطاع دعاءه هنا

أن هذه الفوارق لأصيلة قد حلتها ذكور الحيوان ولم تكن عن حكمه عميقة في
بنیان الخسب . بقاء إليها الذكور كما يبقا إليها إناث ؟

وإد اعتبارنا مسألة الفواصة من وجهة « إدارية » بحثة واعتبرنا أن الأسرة هيئة لا
غنى لها عن قيم ينولها فمن يكون هذا القيم من الروحانيات ؟ أن تكون الفواصة للمرأة أم
تكون للرجل ؟ أن تكون حقوق الأبناء في دمتها أم تكون في دمه ؟

إن هذه الأمور من وفائح الحياة التي لا برحم من يتجاهلها ولا تحلها تحيات
الأندية ولا جمعحة العروسية الكدنة في بقاياها المنحرفة من عصورها
المقرصة ، وما كان للمرأة في أحسن حالاتها في تلك العصور مقرصة من
مكانة غير مكانة العشيقة في قصص العرواح . كأنما هي ساهة الفارس
بشجاعته يعلو به في كل موقف له مع المخوفة انصميمه أن يكون كموقفه مع
الأمجاد والبطراء .

ولا يحب أن يغشى عن السعث الذي يتدرج به من يتكروا قوامه للرجل لادعاء
المساواة بين الجنسين . فإنهم يتسرعون لدعواهم هذه باضطراب المرأة إلى الكدح
لنفسها أحياناً في ميدان العمل طلباً لقوت ولوازم المعيشة . فهذه ولا وراء حالة
واقعة تكثر في المجتمعات الحديثة كلف حنت فيها وسائل العيش وتأثرت فيها
أسباب الكدح على الأبرار . ولكننا نرهم كأنهم يحسبونها حالة حسنة يسون
عليها دعائم المستعص ولا يحسبونها حالة سيئة تنصاعر لجهود على إصلاحها
وتدبير وسائل الخلاص منها ، وما هي في الواقع إلا كالحالة السيئة التي دعت
الآباء والأمهات إلى الرح بأصهارهم في ميدان الكدح على الرؤوف فأكرتها القويين
وحرمتها أشد التحريم ، ولم تجعلها حجة تسويع بقاءها وتقيم عليها ما يستسعه من
الظلم الحديثة في الأسرة أو في الحياة خارجيه



وإد أعطيت هذه الاعتبارات قسطها من الحد والروية صح لدي أن الإسلام قد
جاء بالهداية الصالحة في تقرير مكان المرأة من الأسرة بالقياس إلى الحالة التي
كانت عليها قبل الدعوة الإسلامية ، وبالقياس إلى الحالات التي يحتمل أن تنوب
إليها في جميع الظروف والمورس الاجتماعية ، إذ رفعها الإسلام من الهوان الذي

راد عليها من ركाम العادات الخالية ، وأقام حقوقها الروحية على الأساس الذي يحسن في جميع الأحوال أن نقام عليه .

إن الإسلام لم يجمع لاكتفاء بروحة واحدة بل استحسسه وحسن عليه ، ولم يوجب تعدد الزوجات بل أنكره وحذر منه ، ولكنه شرع لأزوج يعيشون على الأرض ولم يشرع لأرواح تعيش في السماء . ولا ماص في كل تشريع من النظر إلى جميع العوارض والتقدير لجميع الاحتمالات ، وفي هذه الاحتمالات ولا ريب ما يجعل إباحة التعدد حيرُ وأسلم من تحريمه بغير تفرقة بين ظروف المجتمع المختلفة أو بين الظروف المختلفة التي يدفع إليها لأرواح



وينبغي أن نسه إلى وهم غالب بين الجهلاء والمسعجلين من المثقفين عن من الأدباء في تعدد الأرواح قبل الإسلام . إذ الغالب على أوهامهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أباح تعدد الزوجات أو أنه أول دس أباحه بعد الموسوية والمسيحية .

وليس هذا بصحيح كما يبدو من مراعاة يسيرة لأحكام الزواج في الشرائع القديمة ، وفي شرائع أهل الكتاب . فلا حصر على تعدد الزوجات في شريعة قديمة مسبق قبل التوراة والإنجيل ولا حصر على تعدد الزوجات في التوراة أو في الإنجيل ، بل هو مباح مأثور عن أسباط أنفسهم من عهد إبراهيم الخليل إلى عهد الميلاد ، ولم يرد في الأنجيل نص واحد يحرم م أباحه العهد القديم للأباء والأسياء ولن دونهم من الخاصة والعامة ، وما ورد في الأنجيل يشير إلى الإباحة في جميع الحالات والاستثناء في حالة واحدة ، وهي حالة الأسقف حين لا يطبق الرهبانية فيصح بروحة واحدة اكتفاء بأهول الشرور . وقد استحسن القديس أوغسطين أن ينجد الرخص سرية مع زوجته إذا عففت منه وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على المرأة إذا ثبت لها عقم زوجها لأن الأسره لا يكون لها سيداً ، واعتبرت الكنيسة بأساء شرعيين لعاهل شرطان من عدة روحات ، وقال وستر مارك Wester Mark العالم الثقة في تزيح الزواج إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بفي

إلى ألفين السماع عشر وكان يتكرر كثيراً في الخلاف التي تخصها الكنيسة والدولة ،
وعرض حروبوس العالم العائلي المنهور لهذا الموضوع في بحث من بحونه الفقهية
فانصبوب شريعة الآباء العبرانيين والأساء في العهد القديم



فالإسلام لم يأت ببعة فيما أباح من تعدد الزوجات ، وإنما الجديد الذي أتى به
أنه أصبح ما أمسده الموصى من هذه الإباحة المطلعة من كل قيد ، وأنه حسب
حساب الضرورات التي لا يعمل عنها الشارع الحكيم ، قسم يحرم أمراً قد تدعو إليه
الضرورة الخارئة ويحور أن يكون بإباحته خيراً من تحريمه في بعض ظروف الأسرة أو
بعض الظروف الاجتماعية العامة .

أما أن هذه الظروف قد بصطر أنات إلى الرواح بأكثر من واحدة فالأمر فيها
موكول إلى الذين يعانون تلك الضرورات من الرجال والنساء ، ومن تلك الضرورات
أن يحتفظ الرجل بروحته عقم أو مريضة لا يريد إرفاقها ولا تريد فراقه ، ومنها أن
يتكاثر عدد النساء في أوقات الحروب والقتل مع ما شاهد من زيادة عدد النساء
على الرجال في كثير من الأوقات ، فإذا رصيت المرأة في هذه الأحوال أن تزوح من
دى حيلة ذلك أكرم لها من الرضا بعلاقة الخينة التي لا حقوق لها على روحها
وأكرم لها كثيراً من الرضا بابدال العاقبة أو بدل النفس في سوق الرديئة

ومن حساب التشريع في جميع هذه الضرورات أنه يحسب حسابها ولا يسى
الخطئة لانساء ما يتقى من أضرارها ومن سوء المصروف فيها . وكذلك صاع
الإسلام بعد إباحة تعدد الزوجات بالضرورة القصوى ، فإنه اشترط فيه العدل ومنه
الرجال إلى صعوبة العدل من النساء مع الحرص عليه

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِرَاحِدَةً ﴾ [النساء ٣٠]

﴿ وَلِي تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [نساء ١٢٩]

واشترط على الأرواح القدرة على تكاليف الحياء الروحية والنسوية في السكن
والزرف يسهم وبين الزوجات

﴿ أَسْكُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق ٦]

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة ٢٣٣]

ولا يسقط عن الزوج واجب الإحسان في المعاملة سواء اتصلت بينه وبين حليلته أصرة الرواح أو انتهت بينهما هذه الأصرة إلى الفراق بغير رجعه

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِيسَافُكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُكَ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَحَافِيَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة ١٢٩]

بل لا يسقط عنه هذا الواجب حتى في حالة الطلاق بعد رواج لم تعقد فيه الصلة بين الزوجين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَمْسُوهُنَّ لِمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَّةٍ تَعْدُونَهَا فَمَعَهُنَّ رِسْقُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحراب: ١٩]

وهذا حيلة تعدل سلطات التشريع كله في أمر تعدد الزوجات ، لأنها تكن القبول الفصل فيه إلى اختيار المرأة فإن شاءت قبلته وإن لم تشأ رفضه فلا يجوز إكراهها عليه ولا يصح الزواج إذا بقي على الإكراه

وفي الحديث الشريف

« لَا تُكْحَلُ الْأَيِّمُ حَتَّى تَسْتَأْمَرَ وَلَا الْبَكْرُ حَتَّى تَسْتَأْدَّ » وفيه « إِنْ الشَّيْبَ أَحَقُّ بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبَكْرُ تَسْتَأْمَرُ وَذُنُّهَا سَكُونُهَا »^(١)

وقد أعتل لنبى ﷺ رواحاً أكرهت فيه فتاة بكر على الرواح بأمر أبيها لمصلحة به في روحها من أخيه ، وحدثت عائشة رضي الله عنها فيما رواه النسائي : « أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنْ أَبِي رُوْحَتِي مِنْ بَنِي أَحِبِّهِ يَرْفَعُ بِهِ حِمَامَتَهُ وَأَنَا كَارِهِةٌ ، فَقَالَتْ اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَحْبَرَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَجَرْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلِمَ النِّسَاءَ أَنَّ نَبِيَّ لَدَائِبِهِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » (رواه ابن ماجه)

(١) منفق طبع

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - فيما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة « إن حارية بكراً أنت السبي » فذكرت أن أباه روحها وهي كارهة فحيرها رسول الله ﷺ وعلماء الفقه متفقون على أن للمرأة الرشيقة أن تنسج جميع العقود بنفسها وأن توكل فيها من تشاء ولا يعترض عليها ، وأنها أحق من وليها بالأمر في عقود الزواج إذ حالها ولم يستأمرها

ولا حرج على المرأة في تشريع تعدد الروحات متى كان الرأي منه موكولاً إلى مشئتها تأبى منه ما تأبى ، تقبل منه ما لا ترى فيه عصابة عنها أو ترى أنه ضرورة أحف لديها من ضرورات تأبىها

ثم يأتي العرف الاجتماعي فيسولي تنظيم الشريع فوق هذه الولاية الموكولة إلى الروحات ، وإن العرف الاجتماعي لمقدر في هذه الشؤون على تنظيم أقوى من كل سلطان ، ومن أمثلة التنظيم الذي يتولاه العرف كما قلنا في غير هذا الكتاب . « أنه يحد من رعاتب الضيقة العنية في هذه المسألة كما يحد من رعاتب الطبقة الفقيرة فيها على اختلاف أنواع الحدود فالضيقة العنية تقدر على الإيقاف وأقدر من ثم على تعدد الروحات ، ولكن الرجل العني يأبى لسه أن يعيش مع صبرة أو صرائر متعدبات ، والمرأة العنية تطلب لنفسها ولا تلتزمها بعدت ترتفع مع ارتفاع درجه العني حتى شعر الأغنياء أنفسهم بتغلها إذا بعدت من روحات كثيرات فلا يسطق الروح العني في رعاتبه على حسب عناه ، بل يقيم له العرف حدوداً وموانع من عده تكف من رعاتبه لتثوب به إلى الاعتدال . ولهذا ترى في الواقع أن الطبقات العنية تكتفى بروحه واحدة في معظم الأحيان وربما كان للاختيار نصيب من ذلك كصيب الاضطراب لأن الأغنياء يستوفون حظوظهم من العلم والثقافة فيدركون بطرف الدوق مزاجاً العطف المتبادل بين زوجين متكافئين في الكرامة والشعور

« والضفة الفقيرة لا ترفض المرأة فيها ما يرفضه المرأة العنية من معيسة الصرائر ، ولكن العجز عن الإنفاق يجعلها أن تنطلق مع الرعية كم تشاء ، فلا تستبيح تعدد الروحات بميز حدود . وهكذا تقوم الشريعة في تعدد الروحات بما عليها وتقوم العرف الاجتماعي بما عليه . ويقع الإلزام حسب يسعى أن يقع مع الرعية ولاختيار »^(١)

(١) كتاب الفلسفة القرآنية للمؤلف .

ومما يعمل به العرف الاجتماعي في أحوال الضرورة أن يكون الروح عيباً وأن يكون المرأة المرعوب فيها من الطبقة الفقيرة ، فهي هذه الحالة ترعب المرأة المخطوبة في قبول الزوجات واختيارها أو تضطر إليه تصدعاً منها إلى معيشة أحب من معيشتها ، فلا تزال الضرورة في هذه الحالة أكرم لها من ضرورة تعريضها للتنفيس في العرض طمعاً في المال



على أن العرف الاجتماعي مع سلطانه العال - قد يستفيد من روح الدين وحكمة التشريع فوق ما يستفيد منصوصه في أو مرء ونواحه وروح الدين الإسلامي التي سرت إلى العرف في المجتمعات الإسلامية أن الزواج رحم ومودة وسكن

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً ۖ ﴾

[الروم . ٢١]

فلا رواج بغير مودة ورحمة ، ولا حكمة للزواج إن لم يكن ملائماً يأوى فيه الزوجان معاً إلى سكن ينفيان عنه أعباء الصراع الحيف في الحياة الخارجية إلى حين وخير الزواج ما استطاع أن يدبر للإنسان كهفاً أميناً يثوب إليه كلما ألتأت المتاعب والشواغل إلى طلاله وبه يعيش من الدنيا في حجب موصول العذاب إن لم يكن له فيها ديث الكيف لأسير وذلك ملجأً لخصي فإن عر عليه أن يحده كما أراد فليس ذلك بحجة ، على أن حياة الجحيم هي الحياة المثلى وأن كهوف الأمان ليست بالطلب الخديج بالطلب والصان .

ومن قديم الزمن هيأت الأمومة طبيعة امرأة لتدبير ذلك السكن ونرويه مراد المودة والرحمة ومن أراد أن يتكلم بعة « الاستئصال » والانتفاع بالعرض فله أن يقول إن السور الإسلامي حقيق أن يستغل الموارق بين طبعتي الحسب ليستع بكل منهما غنية ما سمعه في موضعه وبحاله . وليكن ذلك من قبل تقسم الحمل وتخصيص كل طبعه لما ساسها ولا يكن حصومة على دعاوى المساواة أو الرجحان فما خلق الحسب ليكون كل منهما مساوياً لصاحبه في طرر واحد من المربا والملكات ، وما خلقت لكل منهما مرياه وملكانه ليكمل بها صاحبه ويريد بها نروة النوع كله من حصائص النفس وألوان المهم والشعور

وعنى هذه السمة الطبيعية الاجتماعية ، من تصميم العمل وإتقان كل عمل بصرف
من صبره يتعاون الزوجان كل فيما هو أصلح له من مطالب الحياة - على الرجل شطر
الكفاح فى سبيل الرزق وكففيه أهله من ثوبه الكسح فى مضطرب الرحام والصرع ،
وعلى المرأة شطر السكن لأمن وكلاء - الجيل المفس فى شأنه الأولى ، وليس بالشطر
أزهد حصته العد وعداد مستعمل الإنسانية مرحبه بعد مرحله على الدوام



وتحوى الشريعة الإسلامية تفصيلاً مسهباً عن حقوق كل من الزوجين قبل
الآخر وقبل الأسرة فى مجموعها ، ولكنها تنحى إلى هذه العناية المقصودة من إقامة
الأسرة على المودة والرحمة ، ولا تحرف عنها حق من حقوق عن هذه العناية فلا
ستثناء حق التأديب لرب الأسرة ؛ فإن حق التأديب لا يعنى المودة والرحمة وهم
ينفعهما فيما هو أهم الأمور بالمودة والرحمة وهو تربية السن وتربية المتعدين ،
وتحويل رب الأسرة حق التأديب من أحوان كثيرة كلها غير صالح وكلها غير
معقول فى شئون القوامه السنية ، فإما أن يكون لرب الأسرة هذا الحق فى معظم
الشئون البيتية وإما أن يستغنى عن التأديب فى الأسرة أو يوكل التأديب فيها إلى
دور الشرطة والقضاء فى كل كبيرة وصغيرة تعرض للزوجين على الرضا والعصب
وأخبر والمحوى . هذا أو يكون التأديب مباح به أن يصرف حسب الرواج وأن
ينهدم ساء البيوت على من فيها من الآباء والأمهات والبنين .

ولا يحصى أن عقوبات التأديب إنما ترصد للمسيئ والمسيئة ولا توضع لمن هم
عيون عن التأديب مبرورون عن الإساءة ، وليس من أدب التشريع أن تفسد
الشرائع حساب كل نقيصة تسترلها وتأنف عنها ، فما دامت النقيصة من القرائن
التي تعرض للإنسان ولو فى حالة من ألوف الحالات فحلوا التشريع منها قصور
يعاب على الشريعة ولا يمتنع به الصبر الواقع من بلذ النقيصة ولو حذف من
القوانين كل عيب تأنف من ذكرها لم يثبت فى تلك القوانين نعمة تستمرها
للضرورة الموحية لبقائها . إذ كانت العيوب التي لا تأنف الأسماع منها أهون الأضرار
الاجتماعية وأعياها عن التشريع والعقاب

ولادب العام بعد شيء غير عقوبات التأديب فى التدبير الحبيب يأبى
للرجل الكريم أن يصرف مرأته وأن يعاملها على بعض من كرامتها وما نكره السى

يُنْزِلُ عَيْرَ مَرْءٍ أَنْ يَصْرِبَ الرَّحْلَ امْرَأَتَهُ وَهُوَ نَأْسٌ إِلَيْهَا فِي دَرَاهِمِهِ « أَمْ يَسْتَحْيِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَصْرِبَ امْرَأَتَهُ كَمَا يَصْرِبُ الْعَيْرُ؟ » .

إلا أن خلائق السمحسة - خلائق الكرامة و الخاء - ليست هي الخلائق التي توجب الحساب والعقاب وليست هي الخلائق التي يقف عندها الشرع وتسطر بعدها فرائض الزجر ولؤاحده . فإذا وضعت العقوبات في مواضعها فلا مناص من أن يحسب فيها الحساب لمحميد والدميم من الأخلاق والعيوب ، من لا مناص بحسبان ، حساب لدميم خاصة لأن الضرورة لها ضرورة الهيم والردع وليس ضرورة الثواب والتشجيع . وبين الرعط والهجر والعقوبة المدببة تتفاوت العقوبات الروحية في الإسلام ثم يكون التحكيم أو الفراق .

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاعْجَزُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (٢١) وَإِنْ هَئِمَّ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ... ﴾ [النساء : ٣٤ ، ٣٥]

وإنه لمن الشحف الرحيص أن يقال إن جسي الساء قد مرى من امرأة التي يصلحها الصرب ولا يصلحها غيره ، ويقول إنه سحف رحيص وحييم لأنه ذلك السحف الذي يصر كثيراً ولا يهيد أحداً ، إلا الذي يشترى سمعة الكياسة في سوق خذيفة « التقليدية » ويسميه العربيون بيهم باسمه الذي هو به حقيق وهو اسم الدعي المتحدق Snob . ولعد واحد هؤلاء هي أم لم تستكثر عقوبة الخلد على كرامة الرحولة وكرامة الخدية ، وعمرت مدت السر وهي تعلن القويين التي توجب العقوبة المدبة لمن بحالهم أو الأمر أو الظلم العسكرية ، وإن لهم مع ذلك لئحة من العفريات المستطاعة في العهد العدم كالخس والتأخير وترين الرتبة وقطع الأحرار والحرمان من أنواط الشرف والفصل من الخدمة . فلولا أنها خذيفة حارية لا تفيد أحداً ولا تدل على كياسة صادقة لما جاز في عرف هؤلاء الأدعياء أن تسرى عقوبة الخلد في مؤخدة الخلود وأن تمتنع بعد إحتقار الخين جميعاً في عقوبة الشور

ولم تسرك هذه العفوية على كرامتها بغير حدها المعقول الذي يمليه كل مشكلة بحسبها من اخلق المعهود في أدب الروحين ، وإنما حدها الصالح أن تكون أصلح من

الفراف وهلم ساء الأسيرة في تقدير الرجل والمرأة فإن لم تكن كذلك فهي المصارة التي توجب التحكيم بين الأسرى ، أو توجب الطلاق بحكم الشريعة مرجعها الأخير الذي يسعى أن يؤخر إلى أقصاه بعد قطع الخيلة وذهب الرجاء في الوفاق

﴿ وَلَا تُسْكِنُوهُنَّ فِئْرَانِيَ لِقَعْتَدُوْهُنَّ مِنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة ١٣١]

ويحق للمرأة عند نشور زوجها وعرضه أن تدعى إلى حكم غير حكمه نرصاه فس شكواها من أدى المصارة التي توجب الطلاق

﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَدِّقَا فِي مَا رَضَا بَيْنَهُمَا ﴾

صنحا والصالح خير ﴿ [النساء ١٣٨]



فقد حارلباحث يتوحي الصدق أن يعقب على تشريع الإسلام ومن واحبه أن يحدد بهذا الشرع أنه قدر للواقع حسانه وأحاط كل تقدير بما يستدعه من الحطة والصمان المسور في أمثال هذه العلاقات ، وبب نظرة الشريعة الإسلامية إلى حقوق المرأة من مدتها قد كانت نظرة تصحيح خاسف من الشرائع ، وإتمام لما نقص فيها

فلم يكن لمرواح حدود فبر الشرائع الوصعية ولا في الشرائع الدينيه قبل الإسلام ، ولا كان فيها ما يعتبر شريعة وافية بقدرة لأحواله وضروراته عند المعاصرة بينها وبين الشريعة الإسلامية

كانت المرأة كالرفيق في هوابن الدولة التي كانت تسمى أم القوائين وهي الدولة الرومانية وكانت حطاماً يحرق بقاء الحياة على ضريح زوجها في الديانة البرهمية .

وكانت ديانة العهد القديم يبيع من يشاء أن يتروح ما يشاء بلا قيد ولا ضمان . وبهذه لإباحة وردت فيه أخبار إبراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان

ثم جاء المسيحية فلم تنقص حكت من أحكام الساموس في أمر الزواج وسئل بولس الرسول عن شرط الأسقف فكتب في رسالته الأولى إلى تيموثاوس أنه يسمى أن يكون « بلا لوم بعل امرأة واحدة » وهو تخصيص لا موجب له لو كان هذا هو الحكم العام امرعى بين جميع المؤمنين بالدين

وظل أداء الكيسة في العرب يسبحون تعدد الروحانيات ويعترفون بأبناء الملوك
 انشعبي من أرواح متعددين ، فبعد مئتي سنة بعد القرن السابع عشر على إثر الخلاف
 بينها وبين الملوك الخارجيين عليها كانت حجة معه أن لاكتفاء بالواحدة أحسن
 الشرائع لا يقدر على الرهبانية ، ولم يكن معه إكثاراً للنساء المرأة يوم كان الخلاف
 بينهم على أنها ذات روح أو أنها جسد بغير روح ولم يكن بينهم خلاف يومئذ
 على أنها حيالة الشيطان ، أبعد ما يكون الإنسان عنها أسلم ما يكون .

وبينما أتم الحصار في إحصائها هذا على تلك النظرة الزرية إلى المرأة كنت أمة
 الصحراء تقصى فيها قصاء لا حيار بين ما عدها كانت تشاءم بمولدها ولا
 تبالى أن تعالجها بالدفن في مهدى ، محفة العار أو محفة الإملاق .

ومن قديم الراوية النائية عن العالم ثقل عليه دعوة سماوية تصفها من ظم
 وترفعها من صفة وتسط لها كيف المودة والرحمة وتشرع لها من القلوب عدلاً أعين
 على الرؤوس ، وتقيد من مباح الروح ما لم يقبده عرف ولا قانون ، وتجعل لها الخير
 بين ما ترضاه منه وما تأباه ، وتستجد لها حياة بسنحى لمصنف والمكابر أن يحدد
 فصلها العميم على ما كانت عليه .

وأما بعد هذا فماد جاءت به القرون بعد القرون من ريادة لها على نصيبها من
 عمل الإسلام ؟

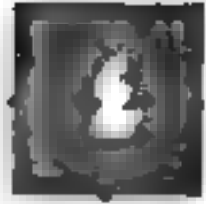
خير ما لها في الإسلام لم يدركه خير ما لها في العصر الحديث ، وشر ما نصيبها
 من الإسلام راحة وبعثة ملقى إلى الشر الذي يسلها العصر الحديث إليه
 ولا تزال فضائل العصر الحديث في حاضرها ومآلها دعوى لم يؤيدها ثبوت من
 حوادث الواقع ولا من مبادئ النظر .

فإن حوادث الواقع فتشكوى امرأة منها في بيتها وفي دنياها كآسوا ما كانت في
 عهد من المهود

وأسا مبادئ النظر فلا خير للمرأة أن تكون على مبدأ القرون الوسطى شيطانياً
 يسلم الإنسان ما سلم منه ، ولا خير لها أن تكون على مبدأ العروسيه الكادئة منكاً
 هي مبادل السوق ، ولا هي في خسر مع الس حتى يُقنعوا لها الطبيعة - إن
 استطاعوا - ويقنعوا أنفسهم قلبها أن المرأة والرجل مدان متساويان



زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ



يندر أن يطرق حصوم الإسلام موضوع الروح دون أن يعرجو منه إلى روح النبي
ويسدروا به إلى القدح في شخصه الكريم والشكيك من ثم في دعوته المباركة
ودينه القويم .

وللإسلام حصوم محرمون وخصوم شكرون على قدر جهلهم به وسيرة سبه
عليه السلام

ولا حياء بحصومه المخرمين فهم جماعة المبشرين الذين اتحدوا القدح في
الإسلام صاعقة يفرعون بها ويعيشون منها ، وصاعتههم هذه لا تصطع عملا لها
أهم وأخطر من عملها هي بثير المسممين أو تبشير الوثنيين وأشباه الوثنيين لكيلا
يتحولوا من الوثنية إلى الإسلام . فلا عسى لأصحاب هذه الخصومة - أو هذه
الخرفة - من حنلق المأخذ وتصيّد السهم التي تحرى بها أرزقهم وتتصل بها
أعمالهم ، سواء عرفوا الحقيقة من وراء هذه المأخذ وهذه التهم أو جهلوا وأعرضوا
عن البحث فيها ، لأنهم يريدون الاتهام ولا يسريجون إلى معرفه بهم كل ماعملوه
وتصرفهم عن كل ما ألفوه وعقدوا لئيه عليه

أما حصوم الإسلام من غير رمرة المبشرين فأكثرهم يخاصمونه على السماع ولا
يعيهم أن يبحثوه ولا أن يبحثوا ديناً من الأدان ، حتى الذين الذي آمنوا وشكوا من
حجور أمهاتهم عليه وقيل من أوثك الخصوم غير المحترفين من يتلفف الدراسات
الإسلامية تلفف لا يعيد الدرس ولا يسعى منه إلا أن يعلم مانعته لطائفة من
السلامة يكفهم منه أن يعرف من أحبار الإسلام ما لم يعرفوه . وبعض هؤلاء
الدارسين المدرسين حسن النية ؛ لا ينبغي أن يعترف بالحقيقة إذا استمع إليها ،
وبعضهم سيئ النية لأنه مسحر في خدمة الاستعمار وما إليها من الدعايات
الدولية ، فلا يعيه من المعرفة إلا ما يتلى له في عمله ويمهد لدعايته

وما اتفق حصوم لإسلام عن سوء نية على شيء ، كما اتفقوا على حطة المبشرين

في موضوع الروح على خصوص ، فكيف يحسب أن القتل الذي يصيبه
لإسلام في هذا الموضوع هو تنويه سمعة النبي عليه السلام ، وتغيبه لاتباعه في
صورة معينة لا تلائم شرف النبوة ولا يتصف صاحبها بمصلحة الصديق في طلب
الإصلاح ، وأي صورة تعسفهم في هذا العرض لأثيم كمن تعيهم صورة الرجل
الشهوان العارقي في لذب الحسد العارف في معيشتة السيئة ورسالته العامة عن
عفاف القلب والروح ؟

إنهم لعلى صواب في خطوة التي تحيروها لإصابة الإسلام في مقبله من هذا
الطريق الوخير

وإنهم لعلى أشد خطأ في اختيارهم هذه الخطوة بعينها ، إذ إن حلاء الحقيقة في
هذا الموضوع أمور شتى على المسلم العارف بدينه ، لمطلع على سيره بيبه ، فإذا
مقنلهم بمشور حجة يكفى بها المسلم ولا يحتاج إلى حجة غيرها لمعظيم بيبه
وترثة دينه من قالة السوء الذي يقتري عليه .

فلا حجة للمسلم على صديق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته
في رواحه وفي اختيار روحاته ، وليس للسوء من أية أشرف من آيتها في معيشة
نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته

ف الذي يصعبه الرجل الشهوان العارف في سباب الحسد إذا بلغ من المكانة
والسلطان ما بلغه محمد بين قومه ؟

لم يكن عسيرا عليه أن يجمع إليه أجناس سائر العرب ، وأقرب حواري العرس
والزوم على تخوم الجزيرة العربية .

وكم يكن عسيرا عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والريثة ما لم
يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه

فهل فعل محمد ذلك بعد نجاحه ؟

هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته ؟

كلا . لم يفعله قط بل فعل بقيصه ، وكاد أن يفقد روحته لشكايتهم من شطط
العيش في داره

ولم يحدث قط أن احتدر روحه واحدة لأبها مديحة أو وسيمة ، ولم يكن بعداء قط إلا العدر ، التي علم قومه جميعاً أنه احتارها لأبها ست صدقه وصعبه وحيفته من بعده . أمي بكر الصديق رضى الله عنه

هذا الرجل الذي بشرى عليه الأئمة الكادبون أنه الشهبان الغارق في لدات حسه - قد كانت روحته الأولى تقارب الخمسين وكان هو من عنفوان الشاب لا يحاور الخامسة والعشرين وقد احتارته روحها لها لأنه الصادق لأمين فيما اشتهر به بين قومه من صفة وسيرة ، وفيما لقبه به عروه وعارهو الصادق والأمانة فيه وعاش معها إلى يوم وفاتها على أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة البقية ، ثم وفي لها بعد موتها فلم يفكر في لزواج حتى عرصته عليه سيده مسلمة رقت له في عزله فخطبت له السيدة عائشة بإذنه ، ولم تكن هذه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه كلمة لا ترصيها غير ثنائه على روحته الراحلة ووفائه لذكرها

وما لي - عليه السلام - بوحده من أمهات المسلمين لا وصفت به عده من جمال وبضاره ، وإنما كانت صفة الرحم والحنن بهن على المهدة هي الساعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الرواح بهن . ومعظمهن كن أرا من مأجبات فهد الأرواح أو الأولياء وليس من يتقدم لخطبتهن من لا كفاء بهن إن لم يفكر فيهن رسول الله

السيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها المروح بها بعد عودته من الهجرة إلى الحبشة ولا مأوى لها بعد موته إلا أن يعود إلى أهلها فيكرهوها على الرد أو تتروح بعير كفاء لها أو تكفء لها لا يريد لها .

والسيدة همد بنت أبي أمية أم سلمة مات زوجها عبد الله المحرومي وكان أيضاً ابن عمها ، أصابه حرج في عروة أحد ممضى عليه ، وكانت كهلة منه فاعتسرت إلى الرسول عليه السلام بسنها لتعفيه من خطبتها ، فوساها قائلاً : سلى الله أن يؤحرك في مصيبتك وأن يتخلطك حيراً ، فقالت : ومن يكون خيراً لي من أبي سلمة ؟ وكان الرسول عليه السلام يعلم أن أب بكر وعمر قد خطباها فاعتذرت بمثل ما اعتذر به إليه ، فطيب خاطرهما وأعاد عليها الخطبة حتى قبلتها

والسيدة رملة بنت أبي سفيان تركت أباهما وهجرت مع زوجها إلى الحبشة فتصر زوجها ودفنها في عربها بعير عائل يكفلها ، فأرسل النبي عليه السلام إلى المحاشي

يطبقها من هذه العروة المهيكلة ويعدّها من أمهها إذا عادت إليهم راعمة من هجرتها في سبيل دينها ، وبعل في الرواح بها سبب يصل بينه وبين أنى سقياك بوشيجة النسب فمبيل به من حفاء العداوة إلى مودة تحرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام

والسيدة خويرة بنت حارث سيد فومعه كاس بين السبايا في عروة بنى المصطلق فأكرمها لى ^{عليه} من أن تدب دلة السباء فتروحها وأعنفها وحسن . لمسلمين على إعتاق سببهم فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم ، وحيرها أبوها بين العودة إليه والبقاء عند رسول الله فاحتارت البقاء في حرم رسول الله

والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب مات روحها فعرضها أبوها على أبي بكر فسكت وعرضها على عثمان فسكت . وبث عمر أسفه للبي فلم يشأ أن يصل على صديقه ووليه بالمصاهرة التي شرف بها أما بكر قبله ، وقال له يتروح حفصة من هو خير لها من أبي بكر وعثمان .

والسيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بنى قريظة حيرها لى بين أن يردّها إلى أمهها أو يعنفها ويتروحها فاحتارت البقاء عنده على العودة إلى ديارها ، ولولا الخلق الرفيع الذي حلّت عنده بعنه الشريفة لما علمنا أن السيدة صفية قصيرة يعينها صواحبها بالقصر ، ولكنّه سمع . جدى صواحبها تعسها بقصرها فكان لها ما معاد من رويات لا تحرج عن هذا المعنى . إنك قد نطقت بكلمة لو ألقيت في البحر لكدرت ، وجبر خاطر الأسيرة العربية أن سمع في بيته ما يكدرها ويعص منها

والسيدة ريم بنت جحش - أمة عمه - روحها من مولاه وصماه ريد من حارثة ، ففرب منه وعرض ريد أن يروضها على طاعته ، فأذن له لى في طلاقها ، فتروحها عنيه السلام لأنه هو المستول عن رواحها ، وما كان حمالها حمياً عليه قبل ترويحها بمولاه . لأنها كانت بنت عمته يراها من طفولتها ولم تصحّه بروعة لم يعهدّها

والسيدة زينب بنت حزيمة مات روحها عبد الله بن جحش فتبلاً في عروة أحد ، ولم يكن بين المسلمين انقلاقل في صحبته من تقدم خطبتها ، فتكمل بها عنيه السلام ، إذ لاكمل بها من قومها .

وهذا هو التحريم المشهور في أباطيل المبشرين وأشباه المبشرين ، وهذه هي بواحد

النفس التي استعصى على المظلي أن يفهموها على حديثها ، فلم يفهموا منها إلا أنها بواعث إسمان غارق في لذات نفس ، شهوان !

ونقد أقدم هؤلاء الروحات في بيت لا يحدد فيه من الرغبات يحدد الروحات في سموت الكثيرين من الرجال مسلحين كدو أو مشركين وعنى هذا الشرب الذي لا يد به عند المرأة المسلمة شرف للكتاب أو الأميرات ، شفت عليهن شدة العيش في بيت لا يصدر فيه من الطعام والريفة فوق الكفاف والقناعة بأسر اليسير ، فاتفقوا على مهاجته في الأمر واحتتمل يسألنه المريد من المعقة وهي موفورة لديه لو شاء أن يورد في حصصه من العى ، فلا يعرضه أحد ولا يحاسبه عليه إلا أن الرجل المحكم في الأيسر والأموال سيد الخيرة العربية - لم يستطع أن يريد من على نصيبه ومصيبه من الصعام والريفة ، فأمهلهم شهراً وحيرهم بعده أن يفارقه وبه من حق المرأة المفارقة من لئاع النفس ، أو يقبل ما قبله نفسه معهم من ذلك العيش الكفاف

ولو أن هذا الخبر من أحبار بيت النبي كان من حوادث السيرة الحمديدية التي تحمى على المظليين المتوسعين في الاطلاع لقد كان للمبطلين بعض انحراف فيما يفترونه على سبي الإسلام من كذب وبهتان إلا أنه حير يعلمه كل من اطبع على القرآن ووقف على أسباب التبرير ، وليس بينها ما هو أشهر في كتب النفس من أسباب ردول هذه الآيات في سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسَرِّحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩]

وأول المبشرين المحترفين ولعاً بالتفويض عن حقايق السيرة النبوية حثيث أن يطع على تفاصيل هذه الحوادث بحد فيره لأنه ورد في القرآن الكريم حاصلاً بمسألة التي يتكالب المبشرون المخبرون على إسقاطها أحبارها وحصاء شواردها ، وهي مسألة الرواح وتعدد الرواحات وقد كان لهذا الحادث المريد في سيرة النبي صلى لم يبدعه حادث من الحوادث التي عبت بها العشيرة الإسلامية حين كانت في بيتها المحدودة تحيط برأيها إحاطة الأسرة بأبيها

حدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « كما تحدثنا أن عباساً تتعل السعال لعروب ، فمر صاحبى يوم نوبه فخرج عشء فصررت ناسى صرئاً شديداً ، وقال أتم هو؟ فصرعت فمحرحت إليه ، وقال حدث أمر عظيم أقلت . ما هو؟ أهدت عباس؟ قال : لا بل أعظم منه وأطول . طلق النبى صلى الله عليه وسلم ساءه . »

وما تألب رباب البيت يشكين ويلحقن فى طلب المرید من النفقة لبث النبى فى دره مهموم بأمره ، وأقبل أبو بكر فوجد الناس حلوماً لا يؤذن لأحد منهم قد حل الدرو لحق به عمر بن الخطاب فوجد النبى وحناً وحوله مساؤه ، فأحب أبو بكر أن يسرى عنه بكلمة يقولها . وكأنه فطن لسر هذا الوحوم من النبى بين ساءه المجتمعات حوله فقال « يا رسول الله! لو رأيت ست حارجة سألنى النفقة فقمب إليها فوحال عبقها ، ا فصحت النبى وقال هو حولى كما ترى يسألنى النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة نجاً عبقها ، وقام عمر إلى حفصة ينجأ عبقها ، ويقولان . سألن رسول الله ما ليس عنده؟ فقلن والله لا سأل رسول الله شيئاً أبداً - ليس عنده . . »

وهجر النبى ساءه شهراً ، يمهلهن أن يحتزن بعد الروية بين البقاء على ما تيسر له ولهن من الرزق وبين الانصراف بمتعة الطلاق وبدأ بالسيدة عائشة فقال إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلنى فيه حتى تستشيرى أبوك فسألته وما هو يا رسول الله ! فعرض عليها الخبر مع سائر ساءه فى أمرهن فقالت أفبكت يا رسول الله أستمشير قومى؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأحابى أمهات المسمين بما أحابت به السيدة عائشة ، وانتهت هذه الأزمة المكربة بسلام ، وما استطاع صاحب الدار - وهو يومئذ أقدر رجل فى العالم المغمور - أن يحل أزمة دره بغير إحدى اثنتين : أن يجمع السبى على هراق نسائه أو يصنع معه بما ليس من رزق كفاف

أعر مثل هذا الرجل يقال إنه جلس شهواب وأسير لداب ؟

أعر مثله يقال إنه انتفى من رسالته مأرباً يخيه الدعة غير الهداية والإصلاح؟

هيم كان هذا النقاء بأهوال الرسالة وأحوالها من ميعه الشباب إلى سن لا معة فيها لمن صاحبه التوفيق والطفر أو لمن صاحبه الخبه والهزعة ؟

ومن أراد الدعوة لغير الهدية والإصلاح فلعماداً يريدونها ، وما الذي نعلمه من ورائها؟
أترأى يريدونها محاطة بأمنته وحياته مستحفاً باللهجرة من وطنه والعزلة بين أهله ،
ليسوم نفسه بعد ذلك عيشة لا يفتح بها أقرب الناس منه وأعلامهم شرقاً بالانتماء إليه؟
أس أجل الخس ولدائه يسروح الرجل بين تروح بهن وهو سيده الحرية العربية
وأقدر رجالها على اصطفاء النساء الخس من الخوائير؟

وهل يسروح بهن الشهوات العار في لدات الخس ليعتد بهن في احتواء الترف
والريه وحلوص الصمير للإيمان بالله وإسعاء الدار الآخرة؟

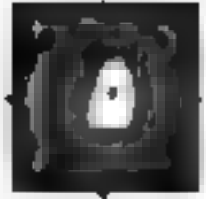
وما مأربه من كل ذلك إن كان به مأرب في طوبته غير مأربه في العلابية؟
وعلام يحاهد نفسه ذلك الجهاد في بيته وبين قومه إن لم تكن له رسالة يؤس
بها ولم تكن هذه الرسالة أحب إليه من النعمة والأمان؟

إن أنشترس الخس لم يكشفوا من مسألة الروح في السيرة النبوية مقبلاً
بصيت محمد، أو بصيت دعوته من ورائه ، ولكنهم قد كشفوا منها حجة لاحجه
مثبها في الدلالة على صدق دعوته وإيمانه برسالته وإخلاصه بها في سره كإخلاصه
له في علانيته ، ولولا أنهم يعونون على جهل يستمعين بهم لاحتهدوا في
السكوب عن مسأله الرواج خاصه أشد من اجتهدهم في التشهير بها والنقض فيها.

وعلم الله ما كانت براءة محمد من فريسه مرهنة بجللاء الحقيقة في مسألة
الروح والروحانيات . فإن أحداً يفقه ما يفقه به لا يسبغ أن يقول إن عملاً كالمدي قام
به محمد يصطلع به رجل غرق في دباب الخس مشغول بشهوات الخسد ونش
كان كذاك ثم استطاع أن يتم دعوته في حياته وأن يبقيا تامة قوية خصاله ليكون
إذن أية الآيات على تكوير من خلق لا يدانيه تكوير

ولسا يعتقد أن ديناً رفيعاً يسول لمتدين به أن يفترى الأباطيل على خلق الله ،
وأقبح من ذلك في شرع الدين الرفيع أن يكون الافتراء على الناس سبيلاً إلى
التبشير بكلمة الله ولكن البشرى محرمين لا يديون بالله ولا بالناس ، وإنما
يديون بعبادة الجسد الذي يكروبه ذلك الإنكار ويؤمنون به في أعمالهم وأقوالهم
أخس الإيمان .

الطبقة



الطبقة هي المجتمع هي الفئة التي تنتمي به في درجة العمل ، وعط المعيشة ومأثور الخلق والعادة ، وهي بعد الأمة والأسرة - أكثر الوحدات الاجتماعية ذكرًا وأكبرها حظًا في العصر الحاضر .

والناس مصطلحون على تقسيم الطبقات إلى ثلاث عية وفيرة ومبسورة ، أو عيا ودسا ووسطى ، وبعدة تقسيم مستعار من مرتصات المكان التي يمكن أن تنقسم إلى فوقية وتحتية ومسوبة ، أو من الرسوم المحرمة التي يمكن أن تنقسم إلى شرعية وعزمية وموسوسة ، أو تنظيمات الجيوش التي يمكن أن تنقسم إلى طلعة وساقه وفلب أما تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات من حيث درجات العمل وأنماط المعيشة ومأثورات الخلق والعادة فهو تقسيم على وجه التشبيه والتقريب ، كأنه تقسيم الناس إلى ثلاثة ألوان من البصر والسواد ، أو تقسيمهم إلى ثلاثة أشكال من ملامح الوجوه وكلها تقسيمات يقبل على وجه التشبيه والتقريب لا على وجه الدقة والتحقيق

فلا نهاية للمقارن بين الناس في الطائفة الواحدة ولا في العمل الواحد ، ولا يوجد فصل واحد تحصر فيه أسباب التفرقة بين طائفة وطائفة أو بين واحد وواحد من أساء الطائفة لأن المرجح في أسباب هذه التفرقة لا يقف ب في السهية دون الظاهرة الكونية التي لا يشد عنها كائن واحد بين السموات والأرضين ، فيس في أجرام السموات الواسعة جرمان يساويان في الحجم أو في الحركة أو في الصوء أو في المسافة ، ويس على فرع واحد من شجرة ورقتان تتساويان في السعة أو في اللون أو في الموضع أو في مادة العصا الساية ، وبسب هلاك ورقة واحدة تتساوى في وقتين من أوقات النهار والليل

وإذا بلغ من عمق هذه الظاهرة الكونية واستدعها أن تتمثل في المادة الخامدة في تركيبها المعبود فأحرى بالجماعة الإنسانية التي لا تنحصر براكيبها حسية والمعوية ألا تصيق فيها عوامل هذه الظاهرة حتى تنحصر برمتها في سبب من أسباب

لأحلاق أو سبب من أسباب الفكر أو أسباب لاقتصاد أو أسباب العوالم الطبيعية فإن هذه العوامل المتشبكة في كل جماعة إنسانية تتسار وتتناظر وتعمل عمل لأصدد كما تعمل عمل لأشياء في كل كعروض من معارض الحياة وبحسب أنه لو حار أن يكون بينها عسل أضعف من سائر العوامل لكان أضعفها جميعاً عامل الاقتصاد الذي رغم جماعة الناديين التاريخيين أنه هو عامها الوحيد أو عامها الذي لا يعوى على مافضته عامل سوء

في بلاد الطبقات - بلاد الهند - لم تكن السيادة العليا لطبقة التجار ودرى الأموال والموافق الصناعية والراعية ، بل كان هؤلاء معبودين من الطبقة الثالثة أو الثانية على أكثر تقدير ، ومن فوقهم جميعاً طبقة انقباضين وفرسان الحروب ودرى الشجاعة والبرية على استخدام السلاح

والإمطاعيون في أوروبا لم يكونو يوماً من يامهم طبقة مفعفة في المصحة أو متجاوزة على وثام وسلام ، بل كان اسمها نصه مشقاً من اندرحة وخصومة ، وكانت العدوة بين كل فارس منها وحيرانه أقند من العدوة بين المدرس والعلاح

ورأس المال رال من البلاد الروسية وراى معه أغنياؤها وسرائها وتبلاؤها ، وظهرت فيها مع هذا - طبقة حاكمة من الخراء واليهسين لا تدسيها في مطونها واستدادهها طبقة حاكمة في أشهر البلاد باستداد نظم المصحة ورموس الأموال

والصناعة الكبرى لم تكن هي الطور الاقتصادي الأخير الذي جرد لعمال طبقة مستعلة تتقدم الصفوف لما يسمونه حرب الطبقات ؛ ولكنهم بحردوا لهذه الحرب لأنهم تجمعوا في أسكة متقاربة يتفقون فيها على المطالب والحركات ويستطيعون باتفاقهم أن يعطوا الأعمال في المصانع ويكرهوا أصحابها على الإصعاء إليهم ، وكذلك فعل العمال في عهد الرومان قبل عهد الصناعة الكبرى بسحو عشرين قرناً حين قاروا بقيادة « سبارتكوس » ووعى عمل اسرطة قنهم مفعوه ، ومنهم طوائف « الهيلوب » الذين كانوا يفتسمون حصة من علال الأرض الزراعية كما كانوا يتقاصون الأحرار

والطبقة العية يخرج منها من يخرج ويدخل إليها من يدخل كلما تغيرت فيهم صفاتهم النفسية أو الفكرية . ففي اليوم فقير الخد ؛ وفي اليوم الأملس في اليوم ، على حسب صفاتهم أو حسب العرض الشئ نهياً لهم ويوسونها بعقولهم وأحلافهم ،

لا لأن العوامل الاقتصادية وحدها هي التي تحلق طبقات المجتمع وتنقيها إلى أن
تتبدل هذه فتتبدل تلك معها ، كأنهم معًا كتلة صماء تتغير من فترة إلى فترة
ولا عمل فيها لإرادة الداحين فيها ولا الخارجين منها



وستبقى الطبقات ما بقى الساس محتضين ، وسيبقى الاختلاف بينهم بلا عد وبلا
حد ، بقسمه من يريد التقريب والإيجار ثلاثًا ثلاثًا أو أربعًا أربعًا أو اثنين اثنين ، ولا
أنه سيرجع في مثل المواقف وألوفها إلى تلك الظاهرة الكونية التي لا تدع وراءها على
فرد واحد من الشجرة الواحدة منشابهين كل الشبه في تركيب الأجزاء ، وأخرى ألا
يمسبه التركيب في الجماعات الأساسية وهو شابه ظروفها الاقتصادية كل
التشابه قيمه بدا واسم وقيمة يمكنه الأمر د أو يمكنه الجماعات من إرادة وسير .



وبحق لنا أن نضرب إلى المسألة من وجهة أخرى غير وجهة الواقع الذي لا حيلة
لنا فيه فسأل أتربا سم لهذه الظاهرة الكونية لأنها قصاء حسم يصعد فيها كما
يصعد في الكون كله من أعلاه إلى أدناه ؟ أتربا سدل من هذه الظاهرة الكونية لو
ملكنا التبديل في حياتنا الإنسانية فلا ندع بين الإنسان والإنسان موصفا
لاختلاف التركيب في الأجسام أو في العقول أو في الأحوال والأصوار ؟

لو أن فعلنا ذلك لطفنا أنفسنا وحرمنا النوع إنساني ثروة من الأفكار
والعواطف والأذواق يحسب عنها الحرسان منها أفراد وجماعات فإن هذه الثروة
الإنسانية هي التي تميرنا من الأحياء الدنيا ، وهي التي تمير المتعلمين من أعمى
المتأخرين ، وهي التي تعبد من تنوع الكفايات وتنوع الأعمال وتجعل كل فريق
مننا لارنا لكل فريق بين مكان الكرة لأرضية قاطنة أو بين السكان في كل بقعة
من بقاعها على نفراد ويطل عد التنوع في أفكارنا وأحلافنا وأذواقنا ثروة إنسانية
تحرص عليها ولو شئت أنها في أصولها ضرورات اجتماعية تفسرنا عليها
المنفعة المادية والحاجة الحيوانية فإن الضرورات التي تصح لنا أهدافا من الفكر
والخلق والدوق نوعها وتوسع جوانبها حير من الضرورة التي نحسها في أخفى صيق
يهبط بنا شيئا فشيئا إلى حضيض تحت حضيض من حيوانه العجماء

هو أننا ملكنا رصم أمابيا بأيدينا لما طاب لنا أن نلعب طينقالب الناس التي بحبها تنوع الأفكار والأحلاق والأدوار ، ولابد أن يخلق معها اختلاف في درجات الأعمال وأنماط المعيشة ومأثورات العرف والعادة فإن شر المجتمعات لمجتمع متشابه قليل المزايا يصدق عليه ما قاله الشاعر العربي بفطوره السديمة في بني اخيههم
وبو بجهم قيسه معونه حصن اللحي متشابهو الأولون

ون مجتمعاً كهذا المجتمع الصيق المتشابه في أحوال أبنائه وأصوارهم لشر من المجتمع الذي تنوع فيه الأحوال ولأطوار ولو طعى فيه أمان على آخرين وثر فيه المقهورون على الطعنة القاهرين ، فإنه يؤول في آخره المطاف إلى بقاء الأصلح من الفريقين أو بقاء الصالح من أحلاف كل فريق

ولعنا نرجو من هذا الصراع حيره في هذا العصر إذا كان من أثار ضروره أن نعلم بها ، وأن نعرف ما يحدره منها ، وسعى إلى اجتنابه بما في وسعنا فهذا لم يكن من أمابيا أن يحو الاختلاف لأنه محو للتنوع أو محو لثروتا الإنسانية - فليكن من أمابيا أن يحو اختلاف لا طعين فيه ولا استئثار ، ولا ملة فيه من احباب الآخر ولا محرمان .

وحير المجتمعات إذن مجتمع يسمح للكفريات والازايا الخلقية بالجال الذي ينامسها في الحياة العامة ، ولكنه لا يسمح لها بأن تحرم أحدا حقه أو تقف بيه وبين مجاله الذي استعد به بما هو أهله ، ولو لم يولد فيه ولم يكن منه بالنسب والوراثة

وهذا المجتمع هو الذي يأمر به الإسلام ويحمده ويزكيه بتعاليمه ووصاياه

فهو لا يجمع التفاوت بين أقدار الناس وإن كانوا من الأسياء والمرسين

﴿ وَلَقَدْ فَصَّلْنَا بَعْضَ الشَّيْنِ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء ٥٥]

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَصَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ ﴾

[البقرة ٢٥٣] درجات

ولا يسوى الإسلام بين العلماء والجهلاء ، ولا بين المؤمنين في صدق الإيمان

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرعر ٤]

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [الحدلة ١]

• • •

وليس من العدل فى لإسلام أن يحتلف الناس فى العمل ويتساووا فى لأروق ، فهم محتلمون فى درجات الررق كأحتلافهم فى درجات العلم والإيمان

﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ ﴾ [الرخرقة : ٣٢]

﴿ وَاللَّهُ فَضْلُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [السل ٧]

• • •

إلا أن هذا التفاصل فى العلم أو فى الررق لا يقوم على السب الموروث ولا على العصب والسطوة ، وإنما يقوم على العمل ولا يحق لأحد أن يحتفظ به إلا بمقدار ما يبتعى فيه عمله

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحدرات ١]

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ حَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ

فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥]

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَما رُبُّكَ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢]

ولا يخفى أن المجتمع الإسلامى مجتمع ضمائر ونفوس يحاطبها الدين ، ولديها سبل الخصاب الذى يراد به صلاح العقول والأبدان ، لهذا حص الإسلام طائفة باخطاب فتلك هى الطائفة التى تمتاز بالعلم والقوامة الفكرية فى الأمة ، ولا يحمد الإسلام من مجتمع إنسانى أن يحلو من هذه الطائفة التى تناط بها النصيحة وتوكل إلى مهمة الهداية إلى الرشد والتحديد من المصالحة فى مصالح الدين والدينا ، وتلك هى جماعة أهل الذكر وحماسه الداعى إلى الخير ولأمرين

بالمعروف والناهي عن منكر ، وهي الجماعة التي سماها فقهاء الإسلام بعد ذلك بأولى حل والعقد ووكو إليها ترشيح الإمام والرفقة على ولايه الأمور ، تطوعاً لا يبدىهم له أحد ولا يعرضه أمر مرسوم يحكم فيه سلطان الدولة ، ولكنها أمانة العزم يهض بها من هو أهل لها ويستمع له من يستمع وهو مستول عن صوابه أو خطئه في الثقة والاختيار

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل ١٠٣]

﴿ ولئن كن منكم أمة يذعنون لولي الخبير ويأمرؤون بالمعروف ويهتدون عن المنكر ﴾

[آل عمران ، ١١٤]

وأسوأ المجتمعات في الدين الإسلامي مجتمع أقوام لا يؤمنون بخير ولا يتأهون عن منكر فعلوه إلا أن لإسلام يعنى بالصمائر والنفس ويقرب إلى ذلك على الدوام حمايته بمراقب الدنيا ومصالح الأجسام .



فالمسلم مأمور كما تقدم في غير موضع بأن يسوفي نصيبه من طيبات دنياه ، وله أن يجمع من المال ما ينحقه بحمده وتديره ، ولكن في غير إسراف ولا استتار ولا احتكار .

كسب المال مباح محمود ، ولكن الدين يكرون الذهب والعصاة ولا يعمونها في الخير ملعونون مستحقون للعذاب الأليم

﴿ والذين يكرون الذهب والعصاة ولا يفقرها في سبيل الله فيشرهم عذاب

أليم ﴾ [التوبة : ٣٤]

وصلاح المال أن تداوله الأيدي .

﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ [الحشر ، ٧]

وليس من الخير في عنى المال أن يجمعه لإسناد حتى يطعبه

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ (٦) أَدْرَأَهُ اسْتَعْفَى ﴿ [العلق ٧، ٨]

أما اختكروا فهم مسودون من المجتمع الإسلامي يبرأ منهم ويبتعنهم الله ، كما جاء في الأحاديث السوية الشريفة « الحالب مرروق والمختكر ملعون »^١ وكما جاء فيها « من احكر طعنا أربعين يوماً يربه به الغلاء فقد برئ من الله وبرئ الله منه »

ودفعاً للحيلة في التصاريح بالصدق أو بالتلذذ لاحتكاره وتحيل الرب عليه قد نهى عليه السلام أشد النهي عن منازلة العباد والأصعمة المتماثلة بزيادة فهو فقل في روايات مشابهاة « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والنخ بالنخ مثلاً بمن يبدأ بيد فمن راد أو استراد فقد أربى »

والإسلام يحب للمسلم أن يعمل ويكسب ويكره له أن يسفل ويسكل على غيره وأحاديث النبي ﷺ تؤكد لأوامر لإنهية في هذا المعنى فيما يجمعه قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة ١٠٠]

والنبي ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد اعترف ويكره العبد البطال »

ويقول : « أفضل الكسب كسب الرجل بيده » .

وكان الخليفة العظيم عمر بن الخطاب مؤسس الدولة الإسلامية يقول : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال رجئت بعير عمل فهم أوبى بحمد ما يوم القيامة فإن من قصر به عمله لا يسرع به حسبه » .

فلا عذر في المجتمع الإسلامي لمن يقعد عن العمل والكسب وهو قادر عليهما . أما الذي يقعد عنهما اضطراراً بحجر أصابه أو حرج وقع فيه فله على المجتمع حق معروض لا هوادة فيه يؤديه عنه كل من تلك نصاب الركة وهي إحدى الفرائض الخمس التي بس عليها الإسلام ، ولم يكرر في القرآن الكريم ذكر فريضة منها كما تكرر ذكر هذه الفريضة بمعظمها أو ببعض يدل عليها كالصدقة وإحسان والبر وإطعام اليتامى والمساكين ومن الآيات التي ورد فيها الخمس على الركة ما يعلم المسلم أن البر هي العقيدة وابتداء إيمان لأصحاب الحق المشروع فيه

(١) رواه ابن ماجه والحاكم .

﴿لَيْسَ الرِّقَاءُ تَوَلُّوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ لَمَشْرِقٍ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنْ إِيْرُ مِنْ أَمْنٍ بِأَلِه
وَأَيُّومِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَابُ وَالنَّبِيُّ وَأَنْتِ أَلْمَالُ عَلَى حُبِّهِ دَوِي الْقُرْبَى وَلِيْنَامِي
وَالْمَسَاكِينَ وَأَيُّ السَّبِيلِ وَالْمَائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [البقرة ٧٧]

ومما ورد في الخبر على الزكاة باسم الصدقات مع ساد مستحقيها قوله تعالى
في سورة التوبة .

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي
الرِّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيُّ السَّبِيلِ فَرِيْصَةً مِنْ اللَّهِ ﴾ [التوبة ٦٠]

ونحو الزكاة على الأعمام والمائنة وعلى الأموال وعروض التجارة وعلات
الزروع ونصاب الزكاة في الإبل خمس وهي العر ثلاثون وهي العنم أربعون .
ونصابها في الأموال والعروض وثمريت الزروع يصارع هذه القسمة على وجه
التقريب ، وأخصه المعروضة على النصاب تصارع ربع العشر من رأس المال . وأخصه
المعروضة على الثمرات تصارع العشر عما يسقيه المطر ونصف العشر عما تسقيه
العروض وأدوات الري على إجمالها .

ففي كل سنة يستحق المعوزون المفتقرون إلى المعونة حرءاً من أربعين حرءاً من
رؤس الأموال هي الأنة ، أو حرءاً من عشرة أجواء من ثمرات الزراعة وما إليها ، وهو
مقدر من الثروة العامة لا محصص مقدار مثله في الأثم الجديدة التي تعوز فيها
حصصة من مورد الدولة للإعاق على العجزة والشيوخ ومن يستحقون العون بغير
تقريب أو تفصيل .

ومن الأبواب المتقدمة يعلم أن المستحقين لركاء ثمانية أصناف هم (١)
الفقر ، وهم الذين يمكن شيف دون نصاب الزكاة ويستبعدونه في حاجاتهم
ومرورهم و(٢) المسكين وهم الذين لا يمكن شيف و(٣) عمال الزكاة وهم
موظفوا الدولة الذين يحصلونها أو يوزعونها و(٤) المؤلفة قلوبهم وهم المسلمون
حدثوا العهد للإسلام عن بحش عديهم العنة أو الكفر يستألفهم الإسلام ولا
يعملون ما يؤدي إلى مسلمين و(٥) الأرفاء الذين يستبعدون من الأسر سلطان و(٦)

المكويون بالمعارم و(٧) المجاهدون . الذين يحاحون إلى السعة و(٨) العرباء المقطعون عمر يعويهم ، وكل من هو في حكم هؤلاء ، صطراً إلى رعاية المجتمع وعجزاً عن ولاية أمره بنفسه .



ولم يقصد الإسلام بفريضة الزكاة أن يجعلها حلاً لمشكلة الفقر في المجتمعات الإنسانية ، وإنما تحل مشكلة الفقر في مجتمع إسلامي بالعمل والسعي في طلب الرزق يتعاون على تدبير وسائلهما ولاية الأمر وطلاب الأعمار ويحاسب الإمام على التواصي في هذه المهمة كما يحاسب على التواصي في سائر مصالح الرعاية . ولا شك أن الإسلام قد صرح في حل مشكلة الفقر من أساسها صريحه الذي لم يسبقه إليه دين من الأديان الكتابية أو أديان الحضارات الغائرة . فيه مسح عن الفقر عداسه التي حلته بها عادات الأمم وأحاطته بها في الصوامع والبيع والمخارب لمقطعة عن العمران ، ومنح عنه تلك القدامة من حدودها حين أنكر عديب الجسد وحرمانه ، وحين رفع عن الجسد مسببة الدنس والحاسة المتأصلة في دجلة الكويين . فأوجب على المسلم أن يعم بطيبات الرزق وأنكر عليه أن يحرم ما أحل الله من ثلث الطيبات التي لا تقف عند حدود الضروريات بل تتخطاها إلى الرينة والحمدل . ومن استهان بأثر هذه النظرة السليمة إلى الفقر فبتحليل كيف كانت مشكلة الفقر تناسل للعلاج بين أسس ينظرون إليه نظرة المقديس وينظرون إلى مشاع الجسد نظرة الرابة والتدريس ؟ وليستحليل الفرق البعيد بين مجتمع يعمل على تعظيم الفقر واعتبار العمل في طلب الرزق عتلاً تنمي به الروح من عواية الجسم مردول ، وبين مجتمع يعمل على إيجاب السعي ويوم "سءه على تحريم الطيبات والرهه في الدنيا ، ويؤحد لإسار إذا مد يده بالسؤال وعنده قوت يكفيه مزية السؤال .

إن لإسلام قد جاء بالوسيلة التي لا عسى عنها في مكافحة الفقر وحين مشكبه يوم جعله ضرورة لا نمانح للمسلم إلا كما نمانح الضرورات التي لا حيلة فيها ولا احبير معها . وإنما فرض الزكاة من أصابتهم تلك الضرورات وأفعدتهم عن السعي واستعدوا مع المجتمع . كل حله في تدبير العمل المستطاع ومن

لم يكن منهم مستطعاً عملاً بتدبير من الإمام أو تدبير من نفسه فهو مكفول الرزق بما تجبیه الدولة من حصة الركة حفاً معلوماً يتفاصونه من لإمام ولا هوادة فيه

ولست حصة الركة بالمدر الصغير عند المفردة بينها وبين الحصة التي يحصل من ثروة الأمة في مجتمعات الحديثة للإصاف على العجزة والشيوخ واسقطعين عمل يعولهم ، فإنها - كما هو معلوم - تصارع جزءاً من أربعين جزءاً من ثروة الأمة في كل سنة ، أو تصارع عشر الثمرات الزراعية وما إليها ، وليس في مجتمع من المجتمعات - حتى الشيوعية منها - من يريد على هذا القدر في الإصاف على ذوي الحاجات من العجزة والشيوخ ولا أن الإسلام مع هذا لم يقصر الإحسان على فريضة الركة ولا أسقط عن القادرين واجب العون من يعرفونهم ويقدرهم على إمدادهم بما يعينهم على شئانهم إذ ليست الركة هي كل ما يصعبه المحسون القادرون على الإحسان ، ولكنها هي الإحسان الذي تفرصه الدولة وتستهلكه من المبرورين عليهم عنة إن لم يؤدوه طواعية في موعده المعلوم

ورداً انصبت مشكلة الفقر ومشكلة الطبقات على هذا النحو فالعاصرون كلهم في كملة المجتمع والطبقات كلها عاملة مسجة بحس مشكلاتها بصحيح أوضاعها وبوطيد هذه لأوضاع على نظام عادل في مجتمع سليم

وأحر الحلول التي أسفرت عنها تجارب القرون المتطاولة في مشكلة حرب الطبقات أن هذه المشكلة لا تزال بإزالة الطبقات من بركة الحرب بينها ، وإن هذه الحرب تمنع كلما تهاوت الفحوة الواسعة بين الطبقات فلا إفراط في العنى ولا إفراط في الفقر ولا سبل لهريق منها أن يحور على هريق سوء وقد تتدع خسرة الصناعة ولاقتصاد في العصر الأخير وسببة للنعار بين ذوي الأموال وطوائف الصاع والعمال أن يتتركوا في المصلحة الكبرى متعاونين عليها مذهب فيها ، إما بتوزيع الحصص على تهاوت مقاديرها ، وإما بعميم المرافق التعاونية التي تتلاقى فيها مدافع المتحيزين والمستفهمين وأرباح الساعين والثرارة

وليس في هذا الحل شرط من شروطه لا يسره بعالم الإسلام ووصاياه فرب

المعاون أدب من أدبه يأمر به الناس جميعاً وتنبأ بشيئه إليه أمه تنوحي
المعروف وينتهي عن المنكر .

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة ٢٠]

﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر ٢٠]



رواجب الكبار فيه كواجب الصغار فليس من المسلمين كبير لا يرحم الصغير
وصغير لا يوقر الكبير كما جاء في الحديث الشريف « ليس منا من لم يوقر
الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر »

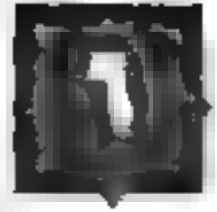
وإنه لما يسر هذه التعاون بين طوائف الأمة أن تقرر فيها كمال الصعفاء فرص
محسوبة على القادرين ، وأن يتمتع حسن المال في أيدي فريق من الناس فلا إفراط
في الغنى ولا إفراط في الفاقة ، ولا استئثار ولا حرمان

ولا تحل مشكلة الطبقات بالرأى أو بالواقع ، لا عسى هذا النحو الذي ينتهي إلى
إزالة حرب الطبقات ولا ينتهي إلى إزالة الطبقات فالعالم بحير مادام فيه أنواع
الكفايات وفروق التراب والصفات ، وما دامت هذه الأنواع والفوارق فيه يجمع بعضها
بعضاً ويجرى بعضها على معونة بعض . والعالم على شر ما يكون إذا رل فيه كل
حلاف يرول الأداة المختلف عليها . يتسارع الناس الأموال فنرول الأموال ، ويتسارعون
الحكم فيرول الحكم ، ويتسارعون الخبرة فنرول الخبرة ، وما هم في الحق بقادرين
عسى إزالة شيء واحد يتسارعون عليه ، هو أزالوا فوارق الأرق لم يريلوا الفوارق
بينهم عسى الدكاء والعناء ، أو على القوة والصعفاء أو على الحاء والحمول ، أو عسى
الوسامة والدمامة ، أو عسى الدرية والعقم ولو أنهم أرانوها لزالوا أجمعين ، ولكنهم
ياقون برحمة الله .

[هود ١٦٨]

﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾

الرق



شرع الإسلام الحق ولم يشرع الرق ، إذ كان الرق مشروعاً قبل الإسلام في القوم الوصعية والدينية بجميع أنواعه ، رقيق الأسرى في الحروب ، ورق السبي في عارات أنصائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ومنه رقيق لاستئدة أو الوفاء بالديون .

وكانت اليهودية بيعة ، ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه ، ولم تنظر إلى تحريره في مستقبل ، وأمر بولس الرسول العبيد بوطاعة ساداتهم كما يطيعون السيد المسيح ، فقال في رسالته إلى أهل أفسس :

« ياها العبيد ، أطيعوا ساداتكم حسب الجسد بحوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما بدمسيح ، ولا بعدمة العين كمن يوصى لباساً من كعبيد المسيح عاميين مشبهة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما لرب ليس بناس ، غايين أن مهتماً عن كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً » .

وأوصى الرسول بطرس بمثل هذه الوصية ، وأوجها آباء الكنيسة لأن الرق كفاره من ديون البشر يؤديها العبيد لما استحقوه من عصب السيد الأعظم ، وأصف القديس الفيلسوف توما الأكويني رأى الفلسفة إلى رأي الرؤساء الدينيين هم يعترض على الرق من ركاه ، لأنه على رأي أستاذه أرسطو حالة من الأحوال التي خُلق عليها بعض الناس بالمعطرة الطبيعية ، وليس مما ينافي الإيمان أن يقع الإنسان من الدنيا بأهول نصيب

وسذهب أرسطو في الرق أن فرقاً من الناس محقوقون للعبودية لأنهم يعملون عمل الآلات التي تصنع فيها لأحرار دون الفكر فهم آلات حية تلحق في عملها بالآلات الخدمية ، ويخدم من سادته الذين يستخدمون تلك الآلات الحية أن يسمو فيها القدرة على الاستقلال والتمييز فتشجعونها ويرفعوا بها من مرة لأداة المسخرة إلى منزلة الكائن العاقل المرشد

وأسناد أرسطو - أفلاطون - يقضى في جمهوريته الفاضلة بحرمات العبيد حتى
« لوطية » وحرارهم على الصناعة واخصوع للأحرار من سادتهم أو من السادة العرب ،
ومن تظاول منهم على سيد غريب أسلمته الدولة إليه ليقتضيه منه كما يريد

وقد شرعت ، خصارة اليونانية نظام الرق العام ، كما شرعت نظام الرق الخاص أو
تسخير العبيد في خدمة البيوت والأفراد ، فكان للهياكل في آسيا الصغرى أرقاؤها
الموقوفون عليها ، وكانت عليهم واجبات الخدمة والخراسة ، ولم يكن من حقهم
ولاية أعمال الكهانة والعبادة العامة

وانقصى على العالم عصور بعد عصور وهذا النظام شائع في أرحانه بين الأمم
المعروفة في القارات الثلاث ، ستر بين أتم الحصاره وفبائل البادية التي تكثر فيها
عرب السب والبرعى ، ونقل اشاره بين الأمم الزراعية عند أودية الأنهار الكبرى
كودى النيل وأودية الأنهار الهندية . إلا أن الأمم في الأودية الهندية كانت تأخذ
نظام الطبقة المسخرة أو الطبقة اسودة ، وهى في حكم الرقيق العام من وجهة النظر
إلى إمكانية الاجتماعية والحقوق الإنسانية .

وعنى هذه الحالة كان العالم كله يوم مبعث الدعوة الإسلامية من قبل
الصحراء . ليس فيه من يستعرب هذه الحالة أو من يشعر بحاجة إلى تعديل فيها
حيث يكثُر الأرقاء أو حيث يقلون

ففى البلاد التى كثر فيها عدد الأرقاء كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية
فيها مرتبطة بأعمال الرقيق فى لبوت وماراج والمراعى العدمه ، فلم يكن تعبير هذه
الأوضاع عما يحظر على الببال ، ولم يكن تعبيرها مستطاعاً بين يوم وليلة ، لو أنه حظُر
على بال أحد .

وهى البلاد التى قل فيها عدد الأرقاء لم تكن هناك مسألة حادة أو معقدة
تسمى مسألة الرقيق وتدعى من دوى الشأن اهتماماً بالتعبير والتعديين

وكان عدد لأرقاء قديلاً فى البادية العربية بالقياس إلى أتم الحصاره إذ كان عددهم
بين المسلمين الأوائل لا يريد على عدد الأصابع فى اليدين ، فلم يكن بدعاً من الدين
الحديد أن يترك الحالة فى الصحراء العربية . وهى العالم على ما كانت عليه حالة

لا يستعربها أحد ، ولا يفكر أحد في عبسها أو تعديلها . ولكنه لم يتركها ، ولم يعفلها ، ولم يؤجلها بين لإعصاء والاستحسان ليهوانها وفيه جدواها بل جرى فيها على دأبه في علاج المساوئ الاجتماعية ولأحلافه تصحح منها ما هو قابل للإصلاح في حينه ، ويعهد للتقدم إلى المزيد من الإصلاح مع الزمن كلما تهيأت ذواته

ونحن نحب أن نلخص ما صنعه لإسلام في هذه المسألة قبل أربعة عشر قرناً في نضع كلمات : إنه حرم الرق جميعاً ، ولم يبح منه إلا ما هو مباح إلى الآن وفحوى ذلك أنه قد صنع حير ما يطلب منه أن يصنع ، وأن الأمم الإنسانية لم تأت بجديد في هذه المسألة بعد الذي تقدم به الإسلام قبل ألف وثمانمائة عام فالذي أحله الإسلام من الرق مباح اليوم في أتم الخصاره التي تعاهدت على منع الرقيق منذ القرن الثامن عشر إلى الآن

لأن هذه الأمم التي اتفقت على معاهدات الرق تبيع لأسر واستبقاء لأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على سداد الأسرى أو التعويض عنهم بالفداء والعزيمة . وهذا هو كل ما أباحه الإسلام من الرق أو من الأسر ، على التعبير الصحيح وعاية ما هالك من فرق بين الماضي قبل أربعة عشر قرناً وبين الحاضر في القرن العشرين أن الدول في عصرنا هذا تتولى الاتفاق على تبادل الأسرى أو على اعتداء بعضهم بالعزيمة والتعويض أما في عصر الدعوة الإسلامية فلم تكن دولة من الدول تشغل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المأسورين ، فمن وقع منهم في الأسر بقى فيه حتى يمدى يده بعمله أو عاله ، إذا سمح له الأسرون بالفداء

فماذا لو أن الدول العصرية بعيت على خطة الدول في القرن السادس للميلاد؟ ماذا لو أن الحروب اليوم انتهت كما كانت تنتهي في عصر الدعوة الإسلامية بغير تفاد على سداد الأسرى ، أو على اقتكاتهم من الأسر بالتعويض والعزيمة ؟

كنا في حالة الأسرى اليوم شبه حاله الأسرى قبل أربعة عشر قرناً في حقوق العمر والخبرة والتمتع بالدراب الاجتماعية ، وكان كل أسير يصل في موطن أسرته رقيقاً مسحوراً في الخدمة العامة أو الخاصة محروماً من المساواة في حقوق المواطنة بينه وبين أبناء الأمة العالة

حالة كحلالة الرق التي سمح بها الإسلام على كره واضطرار

ولكن الإسلام لم يقع بها في إبان دعوته ، وأُصاف إلى شريعته في الرق موافق وشروط تسبق الشريعة الدولية بأكثر من ألف سنة . إذ كانت الشريعة الدولية لم تعرب الدولة في فكك رعاياها من الأسر فقد سبق الإسلام إلى فرض هذا الواجب على الدولة فجعل من مصارف الرقاة إنفاقها « في الرقاب » أي فكك الأسرى ، وأن يحسب للأسرى حق من انقى - والمصلحة كحق غيرهم من لمقاتلين

وإذا كان رباط الأسرى صعبه لأرب في الحروب الحديثة فالإسلام لم يجعله حتماً مفصياً في جميع الحروب ، وحرص على التحفيف من شدته ما بصر التحفيف منه وجعل المر في التسريح أفضل لخطرس ﴿ قُلْ إِنَّمَا مَنَعْتُ قَدْءَ حَتَّى تَصْعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد ٤]

وحت المسلمين على فون القدية من الأسير أو من أولائه

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكُتِبَ لَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآؤُوهُمْ مِنْ مَّا نَالُوا اللَّهُ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [البور ٣٣]

وقد كثرت وصايا النبي ﷺ بالأرقاء فقال في بعض الأحاديث : أوصاني حبس جبريل بالرفق بالرفيق حتى ظننت أن الأسر لا تستعبد ولا تستخدم ، وكانت من آخر وصياه قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى وصيته « بالعبادة وما ملكت أيمانكم » ونهى المسلمين أن يتكلم أحد عما ملك فيقول « عدى وأنتى - وإنما ذكرهم فيقول فتاى وفتاى كما يذكر أساءه وبانه وكان ﷺ يعلم صحابته بالقدوة في معاملته الرفيق كما يعلمهم بالمريضة ، فكان منورع عن تأديب وصيغته صرناً بالسواك ، وقال لو صيغته أرسدها فأططت في الطريق « لولا خوف القصاص لأوحجتك بهذا السواك » .

ومن الوسائل القردية التي عرى بها لإسلام محميم العنى ونمحين فكك الأسرى نه جعل الحق كفارة عن كثير من السوب ، كالقتل الخطأ وحت باليمين ومخالعة قسم الظهور .

﴿ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحرير رقة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾
 فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم
 وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقة مؤمنة ﴿[النساء ٩٠]

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم لأيمان
 فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير
 رقة﴾ [المائدة ٨٩]

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقة من قبل أن
 يتمأماً﴾ [المجادلة ٢٠]

ويحسب من الرذائل المأخوذه على الإنسان السيئ أنه لا يفتحهم هذه العقبة أو لا
 يهضم بهذه العقبة المؤكدة .

﴿فلا اتحم العقبة﴾ (١١) وما أدراك ما العقبة ﴿١٢﴾ فك رقة ﴿١٣﴾ أو إطعام في يوم
 ذي مسغبة (١٤) يتيماً ذا مقربة ﴿١٥﴾ [البقرة ١٧٥]



فالعتق إذن هو الذي شرعه الإسلام في أمر الرق وأما نظام الرق بأنواعه فقد
 وحده مشروعاً وحرمة جميعاً ، ولم يبح منه إلا ما هو متاح إلى اليوم في صام لأسرى
 وتستجيرهم في أعمال من بأسروهم من المتقاتلين ، وسقى القوانين الدولية تقريره
 إلزام الدولة واجب السعى في إطلاق أسراها وإعاقبتهم بالعداء ، وشجع ديث بالوسائل
 المردية فيما تستغل به الدعة إلى لأفراد من مالكي الأرقاء بعد وفاة الدولة بدمتها

ولا يقال هذا إنه عمل كثير أو قليل ، بل يقال إنه العمل الوحيد الذي يستطيع في
 محاربة نظام الرق ولم تستطع أم الإساسه ما هو خير منه في علاج هذه المسألة إلى الآن



أبي شعاعة كاتب لاوينث المسكين المسير في عصر يصعبونه بحق في تاريخ
 العالم - بأنه عصر الجهالة والظلمات ؟

لقد كانوا على كثرتهم أو قسرتهم أهون شأنًا من أن يحمل بهم صاحب
 شريعة أو ولاية ، ولم ينبع من مسألتهم في حرية العرب ولا في مد من بلاد العالم
 أن تسمى مشكلة تلج حتى ولاية لأمر أن يطوروا في حنها بما يرضى العبيد أو بما
 يرضى السادة المحكمين فيهم . كانت مسألتهم من مسائل المفروح منها أو من
 مسائل العادة التي يتقنها الناس على إعلانها ولا يسعربون منها شيئًا يدعوهم إلى
 تعديلها ، بل إلى الكلام فيها . فبدأ بالإسلام على لهم على لمجمع حلاً كحل
 الطافر المسمر في كفاح يسام معونه ما لم يكن يرضاه باختياره ، وإد بالسام
 العريق في أم خصارة بقية من بقايا الأمم رهيبه يومها الموعود
 شأن لأرقاء في الحزيرة العربية أهون يومئذ من أن يدعو ولاية لأمر إلى عناية به
 على قسر أو على اختيار .

وشأن لأمرى في حروب الدول يومئذ كشأن الطريدة من حيوان لا تلم من
 التمريق إلا لتعنى عاء انطية المسخرة في عبر رحمة ولا مبالاة بحساب وشرائع
 الدس كنزئع العرف - فدوة لا يقدر عليها ما شرعه لإسلام عبر ساقفة في
 أمر الأمرى ولا في أمر الأرقاء

شريعة العهد القديم كما نص عليها لأصحاب العشرون من كتاب التثية تقول
 بلعقتل المؤس بها :

« حين تهرب من مدينة بكى تحاربها اسدعها إلى الصلح فإن أحسنتك إلى
 الصلح وفتحتك فك كل الشعب الموجود فيها يكون لك للنسحير وستعبد لك .
 وإن لم تساتك بل عمتك معك حرباً فحاصرها ، وإد دفعها الرب إلهك إلى يدك
 فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأم النساء والأطفال والنساء وكل ما في
 المدينة وكل غيمتها جمعها لعمك ، وتأكل عيمة أعدائك التي أعطتك الرب
 إلهك هكذا بفعل بجمع امد البعده منك حدًا التي لست من مد هؤلاء الأمم
 هـ أما مد هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك بصنًا فلا تستبقى منها
 بسنة ما بل تحرمها تحريمًا . ١٠ »

وأقصى من هذا الحراء حراء المدن التي يحرم فيها ما حرم بالدعوة إلى غير إلى
 إسرائيل ، فإنها كما جاء في الأصحاح الثالث عشر من كتاب التثية .

« فصرنا تصرب بحد السيف وتحرم نكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف تجمع كل أمعننها إلى وسط ساحبها ونحرق بالمار امدية وكل أمعننها كامنة للرب إلهك ، فتكون ملا إلى الأبد لا تبس بعده . »

فالفدوة في حروب الدين وحروب الفصح تغرى بالقسوة ولا تغرى بالعمو والرحمة . وأخرى بحرب الجاهلية أن يكونوا في قسوة على إسرائيل أو أشد منهم قسوة لأنهم أهل بادية مشهم « ينهم على كل إنسان ويد كل إنسان عليهم » كما قيل عنهم في العهد القديم . فإذا علت وصدى الرق في الإسلام بالعدل الطبيعية التي تسيبها عقول مكريه فمادا بهون الدين يسكرون الدعوة الإسلامية تعصب لدين آخر ؟ ومادا بهون الذنن شكروها من الجاهلين للأديان ؟

يقول المكرون المعصرون لدين غير الإسلام إن الدعوة برمتها تنمى رحل دجال . ولا بدري كيف تسع عقولهم أن يكون الرسول الدجال أرفع أدباً وأشرف حلقاً وأمر بالإنسانية الضعيفة من الرسل الصادقين .

ويقول المكرون من أنصار العدل الطبيعية إن الدعوة الإسلامية وليدة البلاد العربية حرحت من أطواء عقائدها وتقاليدها ومأثوراتها . ولا بدري كيف يكون الإبهام والعموص إذا كن هذا هو التعميل والتفسير ، فبما لا يقول شيئاً ترصاه العقول وتستريح إليه إذا قلبت إن البيئة العربية جاءت بنقيض المنتظر منها وبمفصل المنتظر من العالم حوالها .

إن تصديق أعجب لمحورق لأجدر بحقوق الفريقين من قبول هذا اللغو الذي صدقوه واطمأؤا إليه . ونحن نريد للدعوة الإسلامية سببها المعقول فلا بدري تصدقاً بين هذا السبب وبين الواقع الذي لا عربة فيه إلا إذا أوحبنا نحن على عقولنا أن نستعربه متعسفين .

فالعريب عند أن يأتي رحل دجال مما تم تأت به أرفع لخصرات والديانات من عبه ، والعريب عند أن يكون محمد مبعوثاً بإرادة الأمة العربية وهي ماضى في أيام الجاهلية

أما الواقع الموافق للعقل ، ولا مناقصة فيه لتوأميس الكون ، فهو أن بحلق الله

إنسان كاملاً يلهمه الحق والرشد ويعيه إلى الهداة عليهما معمل يستطيعه
ومستطيع الناس أن يفهموه متى حدث كما يفهمون حلائل لأعمال - إلا
أنهم لا يستطيعون أن يتوقعوه إذا قصروه على المؤلف لمعهد في سيق التاريخ

وهذا تفسير لوصايا الرق في الإسلام ، ترتب عليه عقولنا ونقول عن بعض إله
أقرب إلى العقل من معجزة الدجل ومعجزة الملائكة المستحيلة ، وبحسب أن
للكابرة تمصر عن الذهاب إلى لأحد الذي يدفعها إله من لا يفرقون بين الدجل
والصدق أو لا يفرقون بين الواقع والمستحيل .



وتطوى العروش وسكشف الرمن عن أمة الرق الكبرى في التاريخ الحديث

إن وصايا الإسلام في مسألة الرق حولت كثيراً ، وكان من مخالفيها كثير من
المسلمين ، ولكن الإسلام - على الرغم من هذه المخالفة - لا يضيره ولا
يعص به قضاء التحررية العممية عند الموازنة بين حياة جميع المسلمين على
الأرقاء وحياة الآخرين من أتباع الأديان الكفارية

والقدرة الأفريقية - في بلاد السود مفتوحة أمام أساء السواحل المجاورة لها منذ
مئات السنين ، ولم تفتح للحاسين من العرب إلا بعد اتصال الملاحة على ساحل
البحر الأبيض في العالم القديم والعالم الجديد

وفي أقل من خمسين سنة نقل الحاسون العربيون حمواً من العبيد السود تلح
عدة البائس من دريتهم بعد القتل والاضهاد نحو خمسة عشر مليوناً في
الأمريكتين عدد يصارع خمسة أصعاف صحايا النخامة في القارات الثلاث منذ
أكثر من ألف سنة ، وهو فرق حسيم بحساب الأرقاء يكفى لإلانة عن الهاوية
السحيقة في التحررية العممية بين الحاسين ، ولكنه فرق هين إلى جانب الفارق في
حظوظ أولئك الصحايا بين العالم القديم والعالم الجديد فإن في الأمريكتين إلى اليوم
أمة من السود معروية بأساليبها وحظوظها وحقوقها العممية ، وليس في بلاد المشرق أمة
من هذا القبيل ، لأن الأسود الذي ينتقل إليها بحسب من أهلها بعد حيل واحد ، له
ما لهم وعيه ما عليهم بغير حاجة إلى حمية من الشريع أو نصوص الدستاتير

حقوق الحرب



شاع عن الإسلام أنه دين السيف ، وهو قول يصح في هذه الدين ، إذا أراد فائده أنه دين يفرص الجهاد ومنه الجهاد بالسلاح ، ولكنه عبط بيئ إذا أريد به أن الإسلام قد انتشر بحد السيف أو أنه يصح القتال في موضع الإقناع

وقد فطر لسحق هذا الادعاء كاتب عربي كبير هو توماس كارليل صاحب كتاب « الأبطال وعبادة البطولة » فربه اتحد محمداً عليه السلام مثلاً ليصولة النبوة وقال مامعناه

« إن تهامة بالسيف على السيف في حمل الناس على الاستحانة لدعوته سحق غير مفهوم إذ ليس بما يحور في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقس به الناس أو يستحيوا لدعوته ، فإذا آمن به من يقدر على حرب حصومهم فقد أصاب به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدر على عليها »

والواقع لثابت في أخبار الدعوة الإسلامية أن المسلمين كانوا هم أصحابا القسر والتعذيب قبل أن يتقدموا على دفع الأذى من مشركي فريش في مكة المكرمة ، فهجروا ديارهم وتعربوا من أهلهم حتى بلغوا إلى الحيرة في هجرتهم ، فهل بأنسوا على أنفسهم في مدينة عربية قبل الهجرتهم إلى البصرة ؟ وإقامتهم في جور أحوال السي ^{سيرة} ، مع ما بين المدينتين من المسافات الذي فتح لمسافرين بينهما ثغرة للأمان ؟ ولم يكن أهل بصرى ليرحوا عقدهم لولا ما بين القريتين الكثيرين فيها « فيللى الأوس والخررج » - من نزاع على الإمارة فتح بينهما كملك ثغرة أخرى يأوى إليها المسلمون بعد أن صاق بهم حوار التهمة ، وهو الحوار الذي لم يصب من قبل بكل لائديه في عهد الجاهلية

ولم يعتمد المسلمون قط على القوة إلا بخبره القوة التي تصدهم عن الإقناع ، فإذا رصدت لهم الدولة القوية حدودها حاربوا لأن القوة لا تحرب بالحجة والسنة ، وإذا كفوا عنهم لم يعرضوا لها يسوء

بل ذلك سألوا أخبثة ولم يحاربوا ، وسلك حاربوا الفرس لأن كسرى أرسل إلى

عمله في البصر يأمره بتأديب السبي أو صرب عنقه وإرسال رأسه إليه ، وحاربوا الروم لأنهم أرسلوا طلائعهم إلى تبوك فمادهم السي بفتح السين مشحريد السرية مشهورة إلى تحوم الخجاز الشماليه ، وعادت السرية بعبر قتال حين وجدت في تبوك أن الروم لا يأهون بترحف علي بلاد العرب فذلك العام

ولم يهاجم السي بفتح السين أحدًا بالعداء في بلاد الدولتين ، مما كتب إلى الملوك والأمراء يبلغهم دعونه بالحسنى ، ولم تقع الحرب بعد هذا البلاغ من المسلمين وحمود الفرس والروم إلا بعد تحريضهم القبائل العربية في العراق والشام على غزو الخجاز واعدادهم العدة لقتال المسلمين وقد علم المسلمون بوصولهم على اعتناء الفرصة العاجلة لمعنهم بالحرب من أطراف الجزيرة ، ولولا اشتغال كسرى وهرقل بالفتن الداخلية في بلادهم لبوغت المسلمون بنتك الحرب قبل أن يتأهبوا لمدهتها أو التحصن دونهما

وفي جزيرة العربية لم تقع حرب بين المسلمين وقبائلها إلا أن تكون حرب دفاع أو مبادرة إلى انقاء الهجوم المسي في أرض تلك القبائل ، وكانت العدو سافره بين المسلمين ومشركي قريش لا يكتمها المشركون ولا يواربون فيها ولا يحفون أنهم عمدوا لليلة على الإيقاع بحمد وأصحبه وفض العرب من حوله ويده كل من يدخل منهم في دية فم تكرر من المسلمين والمشركين حالة عبر حالة الحرب إلا في أيام صلح الحديبيه ، ثم عادت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تم فتح مكة وانتقلت الحرب من قتال سافر بين المشركين والمسلمين إلى قتال بالمدن والمكبة بين هؤلاء ورمرة المنافقين وقد حرص الإسلام على تسمية كل عدو من أعدائه باسمه لا بعدوه ولم يخطط بين حرب الشرك وحرب المنافقين لأنه لا يحاسب على العدو بالنيات كما يحاسب على العداوة بالأعمال أما قبائل الجزيرة العربية في قريش فلم يحاربهم الإسلام إلا حرب دفع أو حرب مبادرة لانتهاء الهجوم من حاسبها ، وأحار السربا الإسلامية في بلاد العرب معروفة محفوظة بأسبابها ومقدماتها ، وكلها كما أحصاها المؤرخ العصري أحمد ركني ناسا حروب دفع وانقاء هجوم

٨ ونذكر من بعد ذلك عروه سبي فبقاع من يهود المدية ، بعد حاربهم المسلمون سفصهم العهد بعد عروه بدر الكسرى وهتكهم حرمة سيده من ساء الأنصار ، ثم عروه سبي عطفان ولم يحرج المسلمون لقتالهم إلا بعد أن علموا أن سبي ثعلبة ومحارب

من عطفان تجمعوا برئاسة دعثور المخاربي للإعارة على المدينة ، ثم سرية عاصم بن ثابت الأنصاري وكانوا مع رهط عصص والصاراء الذين حاربوهم ودلوا عليهم هديلاً قزم سفيان بن خالد الهذلي الذي قمله عبد الله بن أبيس ، ثم سرية المنذر بن عمرو وهم سبعون رجلاً يسمون القراء أحدهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة لضمعه في هداية قومه وإيمانهم فلم يرج قومه خوفاً وفتلوا القراء ، ثم عروة بن الصبير من يهود المدينة وذلك لنقصهم العهد وإلقائهم صحرة على النبي ﷺ لما كان في دبرهم ، ثم عروة دومة الحذاف ولم يخرج المسمعون إلا لما علموا أن في ذلك المكان أعراباً يقطعون الطريق على إدارة ويريدون الإعارة على المدينة ، ثم عروة بن المنصطلق وهؤلاء من ساعدوا المشركين في أحد ، ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا جمع الخموخ للإعارة على المدينة ، ثم عروة بن قريظة من يهود المدينة لنقصهم العهد واجتماعهم مع الأحزاب ، ثم عروة الخندق وكانت مع الأحزاب الذين حاصروا المدينة ، ثم عروة بن حبان لقنهم عاصم بن ثابت وإخوانه الذين حاربوا عليهم رسول الله ﷺ ، ثم عروة العامة لإعارة عبيدة بن حصص في أربعين راكباً على نقاح لسي ﷺ كانت ترعى العامة ، ثم سرية محمد بن مسلمة إلى القصبة لما بيع المسلمين أن يسلك الموضع سائلاً يريدون الإعارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء ، ثم سرية زيد بن حارثة لمعاكسة بني سليم الذين كانوا من الأحزاب يوم الخندق ، ثم سرية زيد كذلك للإعارة على بني فزارة الذين تعرضوا له ، ثم سرية عمر بن الخطاب لما بيع المسلمين من أن جمعاً من هوازن يظهرون العداوة للمسلمين ، ثم سرية بشير بن معبد لما بلغهم من أن عبيدة بن حصص وعد جماعة من عطفان مقيمين بقرب حبيس للإعارة على المدينة ، ثم سرية غالب الديثي ليقترض من بني مرة فذلك لأنهم أصابوا سرية بشير بن سعد ، ثم عروة مؤتة وكانت تعرض شريح بن عمرو العسائي للحارث بن عمرو لأردى رسول الله ﷺ إلى أمير بصري يحسن كناناً وقتله إياه ، ولم يقتل لسي ﷺ رسول غيره حتى وجد لذلك وحداً شديداً ، ثم سرية عمرو بن العاص لما بلغهم من أن جماعة من فصاعة يتجمعون في دبرهم وراء وادي القرى للإعارة على المدينة ، ثم سرية علي بن أبي طالب لما بلغهم من أن بني سعد بن بكر يجمعون الخموخ لمساعدة يهود حبيس على حرب المسلمين ، ثم عروة حبيس لأن أهلها كانوا أعظم حرصاً للأحزاب ، ثم سرية عبد الله بن رواحة لما بلغهم من أن يامين رزام رئيس اليهود

يسمى فى تحريض العرب على قتال المسلمين ، ثم سرية عمرو بن أمية الضميرى لقتل
 أنى سفيان حراء لإرساله من يمثل النبى ﷺ غدرًا ، ثم حرب العرراق لما ارتكبه
 كسرى عندما أرسل إليه كتاب عرض عليه فيه الإسلام ، فيه هزى الكتاب وكتب
 إلى ماران أمير له باليمن يقول له : « سعى أن رجلاً من فريش خرج نكحة يوعم
 أنه نبى فسر إليه دأبته فإذن تاب والا فابعت إلى برأسه . أبكت إلى هذا الكتاب
 وهو عبدى »^٤ فبعث ماران يكتب كسرى إلى النبى ﷺ مع فارس يأمره أن
 يصرف معهما إلى كسرى فقدموا إليه وقالوا له : شاهنشه بعد إلى الملك نهران بأمره
 أن سعت إلئك من بأتى بك ، وقد بعث إليك من أبيت هلكت وأهلكت قومك
 وحربت بلادك . وليس بعد ذلك عذر للمسلمين فى امتناعهم عن حرب الفرس
 خصوصاً وقد كان للعرب ثارات كثيرة فى دمة العمم . ثم غزوة تبوك لما طع
 المسلمين من أن الروم جمعت الخموغ تريد غزوهم فى بلادهم ، وقد أعقبها فتح الشام
 والقسم لأعظم من دولة الروم^{١١} .



فهذا حق السيف كما استخدمه لإسلام فى أشد الأوقات حاجة إليه
 حق السيف مرادف لحق الحياة ، وكل ما أوجب الإسلام فإنما أوجبه لأنه مضطر
 إليه أو مضطر إلى السجلى عن حقه فى الحياة ، وحقه فى حرية الدعوة والاعتقاد
 فإن يكن ذرءاً للمعدون والافتيات على حق الحياة وحق الحرية فالإسلام فى كلمتين
 هو دين السلام .

وأيسر من استقصاء الحروب وأسبابها فى صدر الإسلام أن تلقى نظرة عامة على
 خريطة العالم فى الوقت الذى صدر له عدم أن السيف لم يعصم فى انتشار هذا الدين إلا
 القليل مما عمله الإقذاع والقدوة الحسنة . فإن البلاد التى قمت فيها حروب الإسلام
 هى البلاد التى يقسم فيها اليوم أكثر مسمى العالم ، وهى بلاد أندونيسية والهند
 والصين ومواحل القارة الإفريقية وما يليها من سهول الصحارى الواسعة . فإن عدد
 المسلمين فيها قريب من ثلثمائة مليون ، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأساء
 تلك البلاد إلا القليل الذى لا يجدى فى تحويل لآلاف عن دينهم بله الملايين .

(١) - محاضرة السابعة من المحاضرات الإسلامية

وتقرر بين هذه البلاد والبلاد التي اتجهت إليها عرصات سلمين لأول مرة في صدر الدعوة الإسلامية ، وهي بلاد العراق والشام . فإن عدد المسلمين فيها اليوم فيما يريد على عشرة ملايين يعيش بينهم من احتاروا السقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين أو أشباه الوثنيين . ومن المفيد في هذا الصدد أن نذكر أن عقد امقاربه بين البلاد التي قامت فيها الدولة الإسلامية والبلاد التي قامت فيها الدولة المسيحية من انقرة الأوروبية فلم يبق في هذه القارة أحد على دينه الأول بل تحول المسيحية . وقد أقدم المسلمون قروا في الأندلس وخرحوا منها وأساؤا اليوم كنهم مسيحيون

وأصح من الإحصاءات والمقارنات أن نتفهم دحيته الدين من روحه التي تصنع العقيدة بصنعها فيما يعنيه المدين على قصد من أو فهم يساق إليه بوحى من روح دينه كأنه عادة مطبوعة لا يلصق إلى قصده منها . وروح الإسلام في العلاقة بين المسلم وسائر بني الإنسان . شرف عنها كل أية ورثت في القرآن الكريم عن حكمة الاجتماع من أكبر الجماعات إلى أصغرهما ، ومن جماعة النوع الإنساني في جملة إلى جماعته لأسره ، وضيعة الاجتماع في كل محقق إنساني منذ تكويته في أصلاب آباء وأجداده . فما هي حكمته لاجتماع في الشعوب والقبائل ؟ وما هي حكمته لاجتماع في سبيل لأسرة ؟ وما هي حكمته لاجتماع في خلق لإنسان في نظر أمه ؟ حكمتها كلها فيما يتعلمه المسلم من كتابه أنها وشيعة من وشائج لموده والرحمة ، وسبيل إلى التعارف والتعارف بين العرباء

والتعارف هو حكمته التعدد والتكاثر بين الشعوب والقبائل من أبناء آدم وحواء

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾
[الحجرات : ١٣]

والمودة والرحمة هي حكمته الاجتماع في الأسرة :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾
[الروم : ٢١]

والنسب هو حكمته لاجتماع من خلق الإنسان منذ تكويته في صلب أبيه .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان ٥٤]

و المؤمنون إخوان ، والباس إخوان من ذكر وأنثى ، وشتر ما يحشاه الناس من ردئهم
آبها تلقى بينهم العداوة والبغضاء

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ﴾

[الحاتمة ٩]

والحدادة والبعضاء هما الحراء الذي يصيب الله به من تنون آياته ويكفرون
بعمته ، وهم الحراء الذي أصاب الله به أهل الكتاب بعدما جاءهم من النيات
فصلوا عن سوائه ولم يبق لهم من دينهم غير اسم يدعو به

فَرُومِ الدِّينِ قَالُوا إِنَّا بِمَا عِبَادَتُهُمْ فَاسِقُونَ

بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ عَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوْهُمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ

يُفَعِّقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَالْقِيَامَ

بَيْنَهُمُ الْعُدَاةُ وَالْأَعْيَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْعَمَاهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ

﴿ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦٤)



ولا حياء بروج الدين كما توحيه إلى وحدان المسلم هذه الآيات وما في معناه من كلمات كسبه فيها تلهمه أن ابودة والرحمة حكمة الله في خلقه ، وأن العداوة والبغضاء عقاب لمن يصلون عن حكمته ومغنة السوء التي تستدرجهم إليها للرذيلة والمعصية ومن آمن بالله على هدى هذا الدين فقد آمن بالله يرضيه من عبده أن يسلكوا سبيل المودة والسلام ، ويسخطه منهم أن يسلكوا سبيل العداوة والعداوة

وقد تعددت آراء المستنصرين وأصحاب الآراء في القوايين بير طائفة ترى أن الإنسان مطبوع على الشر، وأن حالة الحرب هي الحالة الطبيعية بين الناس حتى

تتصور بينهم حالة غيرهم من أحول المصالحه والمراضى على المسألة والأمانة .
وطائفه يرى أن لإسار نطفه محبوق وذريع يدفعه الخوف والحاحه إلى
المشاكسة فيتعدى على كره ويصد العدوان على كره وتحرى عادته على وفاق ما تمه
عليه معيشة الأس والرحاء أو معيشة القلق والاضطراب

والإسلام دين ينظر إلى هذه المشككة نظرة الدين ولا يعبه الواقع ليحمله مثلاً
محتاراً للعلاقة بين الناس من يعيه الواقع ليحسار لهم ما هو أحدر باختيارهم
وأصلح لشئون أفرادهم وجماعاتهم ، ويروصهم على أن يكونوا حير من الواقع فيما
يطبقونه وينفعهم أن يطبقوه .

والعلاقة بين الناس في دستور الإسلام علاقة ستم حتى يضطروا إلى الحرب
دفاعاً عن أنفسهم أو انتقاء ليجوم تكون ابتداء فيه صرباً عن الدفاع فالخرب يومئذ
واجبة على أسلم وجوباً لا هوادة فيه ، وهو مع وجوبها - بأمور بأن يكتفى من
الحرب بالقدر الذي يكفل له دفع الأذى ، وبأمور بتأخيرها ما عيت له وسينة إلى
الصبر والمبالاة ، ويتكرر هذا الأمر كلما تكرر الإذن بالقتال والتحريض عليه ، وكل
تحريض أمر به ولى الأمر في القرآن فهو التحريض على تحيد الحسد وحض العرائم
على حرب لم يبق له محيد عنها ، ولا غرض له منها إلا أن يكف بأس المعتدين
عليه وعلى قومه ، ثم لا إكراه به في هذه الحرب على متطوع لقتال أو مجنة وهذا هو
موضع التحريض في قوله تعالى

﴿ يقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرز المؤمنين عسى الله أن يكف
بأس الدين كهرراً والله أشد بأساً وأشد تكبلاً ﴾ (٨٤) [النساء : ٨٤]

أما أوامر القتال فمن آياتها في القرآن الكريم ما ورد في سورة البقرة

﴿ وفاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تفتدوا إن الله لا يحب
المفتدين ﴾ (١٩٠) [البقرة : ١٩٠]

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله ﴾
[البقرة : ١٩٤]

وفي سورة النحل :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صُلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٦٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾ [النحل : ١٢٥ ، ١٢٦]

وفي سورة الأنفال :

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال : ٦٠]

وفي سورة النساء :

﴿فَإِنْ اعْتَرَفُواكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُواكُمْ وَتَقَرُّوا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)﴾ [النساء : ٩٠]



أما اشركون الدين لم يصدوا لمسلمين عن دينهم ولم يصادوهم بالعدوان فلا حرج على المسلم أن يبرهم ، ويعدل في معاملتهم ، وأن يعاهدتهم ويوقى بهم عهدهم إلى مده ، وإلى أن ينقصوه مخالفيين بما عاهدوا عليه إن لم يكن له أهل محدود .

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ [ما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (٩)﴾ [الممتحنة : ٨ ، ٩]



﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَمْثَلًا فَأَسْرِوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٤]

ولم يجعل الإسلام وفاء المعاهدين بعهودهم تدييراً من تدبيرات السياسة أو ضرورة من ضروراتها التي تخور فيها المراوغة عند القدرة عليها بل جعله أمانة من أمانات العقل والصميم وخلقاً شريعاً يكاد الخارج عليه أن يخرج من آدميته ويسلك في عداد السائمة التي لا ملامة عليها :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل ٩١]

﴿ إِنَّ شَرَّ آثَارِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْصُتُونَ عَنْهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُرُونَ (٥٦) ﴾ [الأنفال ٥٥، ٥٦]



﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُتْرَكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَعْمُوا لَهُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَحْبٌ أَتَقِينَ ﴾ [التوبة ٧]



ومن تأكيد الإسلام لواحد الوفاء بالعهد أنه يحرم على المسلمين أن يستباحوا الانتصار للقوم منهم يستصرونهم في الدين إذ كان بينهم وبين أعداء المستصرين لهم عهد وميثاق .

﴿ وَإِنْ اسْتَفْرَضْتُمْ فِي أَسْوَاقٍ فَتُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُقَامُوا فِيهَا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ [الأنفال ٧٤]



ولا يبيح الإسلام لولي الأمر أن يستخدم السيف فيما شجر بين المسلمين من راع بحاف أن يقصى بهم إلى القتال إلا إذا لعب طائفة منهم على الأخرى وله بعد استفاد الخيلة في الإصلاح بينهما أن يفاتن لفئة البعية حتى تكف عن لعبها

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ بِحِبِّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٩]

[الحجرات . ٩]

وعلمت عدا العلاقة التي تعقد بين المسلمين وأساء دينهم ، أو نسهم ويس المعاهدين لا تكون الأمانة التي لا تربط بالدين ولا ترتبط بالعهد إلا عدوا يحاف صرره ولا يؤمن حابه إلا على وجه من الوجهين . ن يفسر الدين أو يقبل الميثاق

والإسلام يسمى بلاد هذا العدو « در حرب » لأنها بلاد لا سلام فيها للمسلم ، ويفرق بين حقوقها وحقوق المسلمين أو حقوق المعاهدين ، ولا تعترف لها بهذه الحقوق أو تلك إلا أن تدعى بالإسلام أو تقبل الصلح على عهد متمق عليه

وليس معنى هذا التقسيم الطبيعي في حقوق أن الإسلام يكره القوم على هبونه إذ إنه من القرآن الكريم يمنع الإكراه في الدين :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٥٦]

ويكن معنى تقسيم البلاد إلى بلاد مسلم وبلاد حرب أن بلاد الحرب لا تدخل في السلم إلا إذا قبل الدين أو عاهدت على الصلح بقدر أو بعبر حال ونأى طبيعه الأمور تصيماً لحقوق المسلم والحرب غير هذا التقسيم

ومتى وقعت الحرب فلا قتال لأحد غير المقاتلين ولو كان من بلاد الأعداء ، ولم يكن النبي عليه السلام وحدهاؤه يتركون المقاتلين من المسلمين المتوحشين إلى الحرب بعير وصاية مشددة يحاسبونهم عليها فيما يتبعونه من حصة من الرعايا المسلمين من أعدائهم ، وحلاصة هذه الوصايا كما أحملها الخليفة الأول أبو بكر الصديق « ألا تحوتوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نحلاً ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرن بأقوم قد فرعوا نصهم لنصوامع قد دعوهم وب فرعوا نصهم له »

وتشتغل تعاليم الإسلام على أحكام مفصلة لكل حالة من الحالات التي

تعرض بين سحاريين في أثناء القتال أو بعده . وهي حالات لأمان ولاستئمان
والمهادنة والمواذعة والتصالح على معاهدة

فلأمان هو « رفع ستاحة الحربى ورفه وماله حين قتاله أو العزم عليه »

ولاستئمان هو « تأمن حربى يرل لأمر يصرف بأقصائه »

والمهادنة « عقد مسلم مع حربى على امتناعه منه ليس هو فيها على حكم
الإسلام » .

والمواذعة « عقد عبر لأرم محتتمل النقص ، للإمام أن يبدء حسب قوله تعالى .
﴿ وَإِنَّمَا يَحِلُّ مِنْ قَوْمٍ جِيَاةٌ قَائِدًا إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾^(١) ويشترط فى حالة البعد أن
يبدء القائد إلى جنده وإلى الأعداء وهم على حكم لأمان حتى يعدموا بانتهاء
المواذعة^(٢) .

والوفاء بالشرط لمثقف عليه فى كل حاله من هذه الحالات فريضة مؤكدة
بخصوص العراق الكرم ، وبخصوص الأحاديث السوية ، تقدمت بها الأمثلة فى
معاهدات النبی عليه السلام ، ومعاهدات خلفائه رضوان الله عليهم ، وأشهرها
عهد الحميريى قبل فتح مكة وعهد بيت المقدس بعد فتح الشام

فالنبي عليه السلام قد اتفق على عهد اخذته بعد هجرته من مكة بست
سنوات ، وكان يريد الكعبة معتمراً مع طائفة من صحبه فتصدى له لمشركون
وحالوا بيه وبين البيت الحرام ، فقال النبي عليه السلام لرسولهم « إنا لم نجئ
لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين وإن قريشاً قد بهكتهم الحرب وأصرت بهم من
شء ، وما ددتهم مدة ويحلوا بينى وبين الناس فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه
الناس فعلوا وإلا فقد حموا ، وإن هم أبو فولدى نفسى بده لأقاتلهم على أمرى
هذا حتى تنفرد سالفتى وبعدن الله أمره » ثم أعتبت فريش رسولها سهيل بن عمرو
العاصرى فاتفق مع النبي عليه السلام على أن يرجع النبي وصحبه فلا يدخلوا مكة
بنت السنة ، بإذ كانت السنة القادمة دحوبها فأقاموا فيها ثلاثاً بعد أن حرج منها

(١) سورة الأنفال الآية (٥٨)

(٢) راجع البدائع للبكاسى وشرح حدود الإمام الأكبر للبوسى وإدعاء لاس الميم

قريش ، ويهددو عشر سنين لاحرب فيها ولا إعلان ولا أسلال ، ومن أنى محمداً من قريش يعير بذلك وليه رده إليهم ، ومن أنى قريشاً من المسلمين لم يزنوه ، ويستكثر المسلمون هذا الشرط ففان عليه السلام نعم به من ذهب منا إليهم فأعده الله ، ومن جاءنا منهم فيجعل الله له فرحاً ومفرحاً ومن أحب منهم أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه .

ثم أحد النبي عليه السلام في إتمام العهد وانتداه « بسم الله الرحمن الرحيم » هأى سهيل بن عمرو أن بدأ العهد بهذه الفاتحة الإسلامية وقال بل يكتب باسمك اللهم فأحابه النبي إلى ما يطلب ومضى على فائلاً هـ ما قاضي عليه رسول الله فقال سهيل : والله لو ك نعم أنت رسول الله ما صدداك ولا فانساك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك

وبينما هم يكتبون العهد لم يعرفوا منه أقبل أبو حنبل من سهيل بن عمرو يوصف في اليهود فرمى نفسه بين المسلمين ، فقال سهيل ، هذا يا محمد أول ما أقاصت عليه وأحد تتلايب ولده ، فقال النبي لآسى حنبل : يأن حنبل ! قد حلت القصيدة بيننا وبينهم ولا نعدر هـ ومضى النبي وصحبه على رعاية عهدهم حتى بقصته قريش وأمدت بنى بكر بالسلاح والأرود في حربهم لخرعة فأصبح المسلمون في حر من نقض ذلك العهد ، وعمدوا إلى مكة فاتحين ففتحوها بعد ذلك بقليل .

أم عهد بيت المقدس فذلك هو العهد الذي كتبه الخليفة عمر بن الخطاب لأهل يلباء ، وهو أشهر العهود في صدر الإسلام بعد عهد الخديفة ، وفيه يقول الخليفة العظم . « إنه أعطهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيعهم وبريشهم وسائر ملهم ، وإنه لانسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يعص منها ولا من صبيهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يصار أحد منهم ، ولا يسكن يلباء معهم أحد من اليهود وعلى أهل يلباء أن يعطوا الخرية كما يعطى أهل المدائن ، وأن يخرجوا منها الروم واللسوت ، ومن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام معهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل يلباء من الجزية » ومن أحب من أهل يلباء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بينه وبين صبيهم فأبهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ،

وقد حدث أثناء التعاقد على هذا الصبح حدث كحادث أمي جمدل عند كتابة صلح الحديبية ، فحان موعد الصلاة وخليعه العظيم في كنيسة بيت المقدس ، ولا مانع عند المسلم من إقامة الصلاة في الكنائس أو في معابد الأديان غير الإسلام إذ أنما تذكروا فثم وجه الله ، ولكنه أشفق أن يقيم الصلاة في مكان فيحرص المسلمون بعده على احتجار تلك المكان الذي صمى فيه أمير المؤمنين . فخرج من الكنيسة وصلى في حورها ولم يح له نفسه أن يورط أتباعه في دريعة يسعون بها لخالفه عهد من عهوده .

وكلا العهدين ، عهد مكة وعهد بيت المقدس ، بعد رعم الراعمين أن الإسلام يعتمد على الإكراه في شردعوته ونائبهما - وهو عهد الصلح في الشام بعد هزيمة دولة الروم - وضح في بيان الشروط التي يعرضها الإسلام على المعاهدتين بعد الحرب التي ينصير فيها فمن أحب أن يقيم في مكانه فله أن يقيم وهو آمن على نفسه ودينه وحرية ، ومن أحب أن يرحل إلى بلاد الدولة سهرمة فله أن يرحل كما أراد وهو آمن في طريقه ، ومن دان بالإسلام فهو مقبول في رمة المسلمين ، ومن بقى على دينه فليس عليه إلا أن يؤدي الحرية فتحمية الدولة بما يحمي منه سائر رعاياها وله مالهم وعديه ما عليهم إلا الحرب ، فإنها لا تطلب منه في حدمه دين غير دينه

وشرع الإسلام القمدل على درحات قدم بشرع حالة إلا وضع لها حدوده وبن للمسلمين ما يجب عليهم فيها ، ومن له في نحو عشرين سنة قانون دولي كامل لأحوال الحرب مع المقاتلين على اختلافهم ، فأتم في القرن السادس ما بدأت فيه أوربا في القرن السابع عشر ، ومن يرس فاصراً عن عديته مهمللاً في ساعة الحاجة إليه

سأ الذي عليه السلام دعوته واستجاب له من استجاب من قومه وهو لا بأذن بقتال . فلما اشتد به وبأصحابه ما أصابهم من أدى لمشركين فعديوهم ومتموهم وأخرجوهم من ديارهم كان ذلك بداية الإذن بمقاتلة معديين في الحد الذي يكفى لدفع العدوان ، كما تقدم ، ولا يبقى بعده أثراً للصفية والانتقام .

﴿ أَدْنُ لِلَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ أَلَّهَ عَنِ بَصَرِهِمْ لَقْدِيرُ ﴾ (٣٩) البدين
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿٤٠﴾ [أخج ٢٩٠ ، ١٠٠]

وكان النبي صلوات الله عليه يعاقب في حروبه بمثل ما عوقب به ولا يحاوره إلى الدد في الخصومة ، فإذا انتهت الحرب عسى عهد من العهود وعلى به وأحد على أتبعه أن يفوا به في غير أفعال ولا أسلح ، أى في غير حياة ولا مراوغة وثابر على الوفاء في جميع عهوده ، وثابر أهل الخيرية من المشركين واليهود على الغنى بكل عهد من تلك العهود ، وعقدوا النية سرّاً وظهرّاً على إعانت المسلمين وحراحتهم من ديارهم ، لا يحرمون حرباً في مهادنتهم ولا في مسلمتهم ، ولا يرأون يؤثرون عيهم الأعداء من داخل الجزيرة وساحرها وأصروا على ذلك مرة بعد مرة حتى أصبحت معاهداتهم عبثاً لا يصد ولا يعنى عن القتال فترة إلا ردهم إليه بعد قليل ، ووضح من لدن القوم وإصرارهم عليه أنهم لا يهادنون إلا يسوقوا ، على جمع العدة وتأليب العدو من الخصوم والأحلاف ، فبطلت حكمة الدعوة إلى العهد ولم يبق للمسلمين من سبيل إلى الأسان معهم ، لا أن يحرحوهم من حيث أرادوا أن يحرحوا المسلمين ولا يسبقوا أحداً غير مسلم في تلك الجزيرة التي أبت أن تكون وطناً للمشركون وأحلافهم دون سواهم فأنهت حكمة التحجير بين المعاهدة والفساد ، ووجب الحبار بين أمرين لا ثالث لهما ، وهما الحوار على الإسلام أو على الخصوع لحكمه ، فلا جور في الجزية لأحد من المشركين وأحلافهم اليهود إلا أن يدين بالإسلام أو بالطاعة

﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة ١٩١]

وقال النبي عليه السلام يومئذ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله »

وفي هذا المعنى يصر القرآن الكريم على محاربة أهل الكتاب الذين تحالضوا مع المشركين ونقصوا العهود المتوالية بينهم وبين النبي كما تقدم في ذكر العروات والسرايا

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة ٢٩]

والوجه الوحيد الذي يصرف إليه هذا الحكم أنه حيطة لا محيد عنها لصمان أمن

المسلمين مع من يحاورونهم في ديارهم ويأمرهم على حربهم ، فلا يحل للمستول
عن المسلمين أن يكن أمدهم إلى عهد يقصر في كل مرة ولكنه يأمن عبيدهم في
حوار قوم مسلمين أو قوم مطيعين للدولة يؤدون لها حقها ، فهم يد لا يمكنون من
الاستقلال بالعمل في طاعة تلك الدولة ما يملكه المعاهد المؤمنين على عهده

وعلى الحملة شرع الإسلام حكماً لكل حالة يمكن أن توجد بينه وبين حيرائه
على الحذر أو على الأمان فنص على حالة الدفاع والعدوان ، ونص على الدفاع
الواحد في حدوده على حسب العدوان ، ونص على التعهد والمسألة إلى مدة أو
إلى غير مدة ، ولم نصت حدودى المعاهدة لم تبق له خطوة بأحد بها أعداءه غير
واحدة من الثنتين : الحرب أو الخضوع للإسلام إيماناً به أو طاعة لولاه ، ولم يجعل
الإيمان بالإسلام حتماً على أعدائه المصيرين على العداء . بل جعله حبراً من
أمرين ، ومن ساء الإسلام أن يرضى بغير هذين الأمرين فقد ساءه أن يرضى بحالة
ثالثة لا يرضاهما أحد وهى حالة الخوف الدائم من عدو مترصد به لا تجدى معه
المهادنة ولا يؤمن على عهد من العهود .

وانقصى عهد النبى صلوات الله عليه والمسلمون يعلمون حدودهم في كل علاقة
تعرض لهم بين أنفسهم وبينهم وبين حيرتهم ، علاقة المودة والوثام ، وعلاقة
انشعب والفتنة ، وعلاقة الحرب أو علاقة التعهد أو علاقة المودعة والمهادنة أو
علاقة الأمان والاستئمان . وهذه العدية بإقامة الحدود وبيان واحباتها هى وحدها
حجة قائمة للإسلام على خصومه الذين يتهمونه بأنه دين الإكراه الذى لا يعرف
عبر شريعة السيف فمن كان لا يعرف غير شريعة السيف فما حاجته إلى سائر
لكل حالة من حالات السلم والحرب بأحكامها وواحباتها وحدودها وتبعاتها؟
لا حاجة به إلى حد من هذه الحدود مادام معه السيف الذى يجرده متى استطاع ،
ولا حاجة به إلى حد من هذه الحدود مادام عزلا من السيف معلوماً عن كل حال
فإنما يبحث عن تلك الحدود من يصع السيف في موضعه ويأبى أن يصعه في موضع
المسألة والإقناع ، وكذلك كانت شريعة الإسلام منذ وح فيه القتال ، ولم يوجهه
إلا البغى والقسر والعتى والإخراج من الديار

وبينما كانت هذه الحدود معلومة معسومة بأقسامها وبيعانها في شريعة الإسلام كانت العلاقة بين الأمم في العداوات الثلاث فوضى لا تثوب إلى صايط ولا يستمر بينها السلام إلا حيث يمتنع وحوود تخارب فيمتنع وحوود الحرب بالضرورة التي لا احتيار فيها .

كانت شريعة الرومان أن كل قوى يحاورك عدو تقضى عليه فلم يكن لفكرة المدينة (التي سموها بقرطاجنة) من دسب إلا أنها دولة قوية تعيش على العدو الأخرى من بحرهم الذي أعلقوه دون غيرهم *mare clausum* أو لمدى سموه بحرنا وحرمو على غيرهم أن يشاركهم فيه *mare Nostrum*

وكذلك كانت شريعة فارس في الشرق مع من يجاورها ، وكذلك كانت شريعة الإسكندر وحلفائه على دولته الواسعة ، وكذلك بقيت شريعة الدول في القارة الأوربية إلى القرن السابع عشر أول عهدهم بالبحث في الشرائع الدولية وحقوق الحرب والسلام . فلم ينتهوا قط إلى البحث في الحقوق يوم كان الحق كله للسيف تتولاه دولة واحدة تحضص من حولها من الرعايا المتفرقين ولا تنازعها دولة أخرى في ولايتها عليهم واستبدادها بأمرهم ، لم تكن هالك شريعة في الحقوق يوم كانت شريعة السيف كافية معيه لمن يملكه إذا غلب ومن يحضص له إذا حققت عليه العلبة . فما انقسمت الدولة الكبرى في الفارة لأوربية تفرقت الدول شيخاً وتنازعاً العروش والتيجان تنازع الخطام الموروث لاتنازع الحقوق والواحساب بين الأمم والشعوب ويومئذ - في أوائل القرن السابع عشر - بدأت بحوثهم في حدود الحرب والسلام وبصدي فقيهم الكبير جروتيوس *Grotius* لاسساده هذه الحدود من وقائع لأحوال فيما سماه بقانون الحرب *De Jure Belli* ، ولا يزال بينهم أساس المراجع إلى العصر الحديث لم يحدث فيه جديد ذو نال إلا أنهم يرجعون عنه إلى انوراء عمدة قرون ، فيسبحون اليوم ما كان محظوراً من افتتاح الحرب بغير علة أو بلاغ

وإن القارئ المسلم ليتسم حين يقرأ في مراجع تلك البحوث الفجة أنها بحوث في شريعة تسرى على العالم لأوربي الذي كان معروفاً يومئذ باسم العالم المسيحي *Christendom* ، ولا تسرى على العالم المحمدي *Mohammedism* لأنه عالم جهالة لا يفقه هذه الحدود ولا يسرم بوحياتها وتبعاتها ومن دواعي السحريه

حقاً أن يقال هذا عن دين يتناول المتعصم لمستدئ فيه مرجعاً من مراجع أصوله التي
 فرع البحث فيها مد القرن السادس للميلاد فرى فيه أحكام الإعلان والتبليغ والنقد
 والمعاهدة والصلح والدية والهدية والموادعة والسفارة والوساطة ، ويرى لكل حكم من
 الأحكام واجباته على المسم في حلاله وإرامه ونقصه وواجبات الإمام والرعية فيه
 مقصدة ماردة كأنها صيغ العقود التي يتحرى فيها المؤمنون غاية التوكيد والتأكيد معاً
 للأعلان والأسلال كما جاء في أول عهد بين الإسلام والمشرقيين في المصالح لمسم
 حين يتردد السحف المصحك في بؤ كسر القانون الدوسي عند الصوم لحسن كأنه
 عني مشهد من الأعياب أطفال يتوحدون فيما بينهم على كتمان أسرارهم عن
 كبارهم . لأن هؤلاء الكاراختاء أعرار لا أمان لهم على تلك الأسرار !



ومن البديهي أن الأديان تعصم بين الناس مواطن السحليين والسحريم ، وليست هي
 بالقوى ابادية التي تحرمهم من أعصابهم إلى الخير وتحطيمهم بالسود لتصددهم عن مفارقه
 الشر ، وبسبب هي بترياق الساعه لدى يقال في أساطير السحر أنه يبرئ الأدواء
 لساعته ويحلها بالصحة الساعه والشباب المفقود . وقصارها من الهداية أنها
 كالمصاييح التي تنير المسالك أمام السالك وتصل العذر لمن يسلك أسوأ الطريقين على
 علم بما فيه من السوء والعوج وما في غيره من السداد والاسمقامة ، وهي على هذا
 كسب عظيم لبني الإنسان بصيرهم أن يفقدوه فالداس يخالفون القوانين ولأدب كل
 يوم ولا يقال من أجل هذا أنهم لم يكسبوا شيئاً تدوين القوانين والمعالمة برعايتها ،
 وأنهم في الزمن الذي يحالفون فيه القانون لا يزالون كما كانوا في زمن الهمجية
 السائمة لا يعرفون بين المحرم والمباح ولا يعرفون أنهم حالوا القانون أو لم يخالفوه

ومسلمون قد تعلموا أصول « القانون الدولي » قبل ظهور القانون الدولي في
 العرب بأكثر من عشرة قرون ، فحالوه كثيراً فيما بينهم وحالوه كثيراً فيما بينهم
 وبين غيرهم ، وتمثلوا المعادير أحياناً بتسوية الحرب التي لا تسوغ ويقض اليهود التي
 يوصيهم الدين برعايتها ، وظهر بينهم لمجرمون الدوليين كما يظهر المجرمون والعصاة
 مع كل قانون وكل عرف مأثور إلا أن هؤلاء المجرمين كثر أو قنوا - لم يظلموا
 فضيلة دينهم ولم ينسجوا أحكامه بعصبياتهم ، ودهوا وبقيت تلك الأحكام ماثلة

أمام ولاية الأمر يطعونها أو يسون بهم الصمغ أن سعدوا حدودها ، فلا يحسروا على
تعبها حجرة إلا أن يتمحنوا لها معاديرها ويسلوا معاملها ، ومن لح به الشئ سعدى
حدودها ولم يكثر لعواقب العدوان لم يبح من تلك العواقب فى مصيره وانتهى
به البغى إلى نهاية كل حاصح عسوف مستند برأه

وما تجاوزت دول الإسلام ودول العرب حول البحر الأبيض المتوسط كانت شريعة
الدول الغربية فى القسود الدولى هى الشريعة التى حقت بها دولة الرومان

من حاورك فهو عدوك بحصعه أو يحصعك ، وسدا بالحرب متى استطعت أو
يبدؤك هو بالحرب متى استطاع وكانت هذه الشريعة على أشدها فى معاملتهم
لسلاد المسلمين لأبهم أمدوها بعد ، واحد قوى كل عد ،

وإذا وضع الميراث من هذه الدول فى هذه الفترة ذهت كل عذرة من جانب
الدول الإسلامية بعذرة مثلها من حساب الدول العربية وبقيت هى كلمة العرب
عذرت كثيرة لا تطير لها ولا مسوع بها غير شريعة العداء الدائم فى جميع الأحوال

والترك العثمانيون هم مصرى مثل عند العربيين لشريعة التى تجوز فى معاملات
الغرب ولا تجوز فى معاملات الأمم لأخرى ومنهم من يحلظ بين كلمة التركى وكلمة
المسلم فيظن أن المسلمين كلهم من الترك ويكتب كتابهم يومئذ عن قسوة التركى ودمه
التركى ولبس التركى ولغة التركى وهو يشمل بالكلمة جميع المخالفين للأوربيين من
المسلمين وحققهم فى عرف القوم أبهم لاحق لهم معروف بين حقوق الأديمين

ولكن هؤلاء الترك لم يكن من شريعهم قسط أبهم يعاملون 'ناساً سلت حقوقهم
واستباححت دماؤهم وأموالهم لهم بلا سبب ولا مسوع غير الخلاف فى الدين وصلوا
هم سلاطين الترك بإكرامه المسحيين فى بلادهم على الإسلام أو استباح دماؤهم
وأموالهم فيهاهم عن ذلك شيوخ الإسلام وفيدوهم بالفسوى الشرعية التى لا يباح
للسلطان المسلم أن يقتل دميًا أو يقتل مخالفًا بفلس أداء الجزية بعد تحييره بينها
وبين المعاهد أو الإسلام . ولولا هذه الفتوى لاسطاع سلاطين الترك أن يحولوا
أوروبا الشرقية إلى الدين الإسلامى فى جيل واحد أو حيلين ، ولولا أن الفسوى
الشرعية كانت لها رهسها فى ضمير السلطان المسلم ما اكرت لها أولئك السلاطين
الأهوياء المتحكمون فى ممالكهم ولا سيما أيام الفتوح التى أصاب إلى قوتهم عظمة

المخد وحيلاء الظفر والسطو فقد كست رهبة الفتوى من العالم العارف بأوامر الدين وبوحيه بحيث نظر لحرب الذي لاتحيفه خيوش ولعامج لأبها رهبة من الله سيد السادة ومثلك الملوك القادر على أن حدن المتصر ويصر المحنوب ، بل كانت هذه الرهبة ترلزل العروش تحت أربابها وتطيح بهم من فوقها ، وكثيراً ما لجأ إليهم المنكرون لحكم السلطان واستندوا إليها في حوز حنعه ، وكثيراً ما لجأ إليهم السلاطين أنفسهم لإجارة ولاية بعدهم لاحتجزها بهم قوة السيف والمذل ، أو لإحادة العقاب الذي يحلونه بالعصاة ولا بد له من سند شرعى يسوعه لوى الأمر القادر عليه ، وما استطاع السلطان أن يوقع بجمع « الانكشارية » الممردين على الإصلاح إلا بسند من تلك الفتاوى يحتضى به من عصب الله وعصب رعاياه .

ومن أصابل فقهاء العرب في القانئون الدولى أنهم أسعطوا حقوق الترك في المعاملات الدولية لأهم مغبيرون على الملاد الأوربية في عصر مسوع للإعارة عليها ، وهم - أى هؤلاء الفقهاء - لا يشق عليهم أن يعلموا مسوع بذلك الإعارة لو كان لهم ميرل واحد للمعاملات بين الدول يربون به حقوقها جميعاً على سواء . فإذن العالم الأوربى باتقى سوكه وأسرانه ويا بوانه قد شهر الحرب على العالم الإسلامى في حروبه الصليبية قبل رحب الترك العثمانيين على آسيا الصغرى في أواخر القرون الثالث عشر للملاد ، وكانت أحار مديح المسلمين في بيت المقدس وفى العرب الأندلس تجوب أفاق القاره الآسيوية إلى أقصاها شرقاً وتجوب أفاق القاره لإفريقية إلى أقصاها جنوباً ، وتتغلغل في أنحاء العالم الإسلامى مع الحجاج والمهاجرين في كل عام ، فلا تدع مسلماً فى لأرض معزل عن الشعور بحلة الحرب الداهية ؛ لأنه يعلم أنها مشهورة عليه . ولعل فقهاء العرب يحهلون عمى هذا الشعور الذى ملأ حواش العالم الإسلامى عدة قرون لأهم يحهلون مدى انتشار الخبر الذى يهم شعوب المسلمين على أفواه القوافل المتردة في آسيا وإفريقيا من حجاج والمهاجرين . وعمق هذا الشعور هو الذى قوص دولى الأسبان والبرتغال في آسيا قبل سائر المستعمرين ؛ لأنهما وصلنا إلى الشرق الإسلامى مسموقين بسعة العداوة التى لا عداوة مثلها بشعوب الإسلام . أما أن يعنى فقهاء العرب عمق هذا الشعور في بلاد العالم الإسلامى ثم يستكثروا على شعب من شعوبه أن ينظر إلى العرب بطرته إلى محارب يقتص منه فلا عذر له إلا الأثر العمياء التى تحير لصاحبها أن يعصم بلاد غيره ثم لا يعهم من اقحام بلاده بعد ذلك إلا أنه عدوان بغير مدعاة وبغير حجة !

وأنسى الأحداث إلا أن تجيء عمومًا بما يخص دعوى هؤلاء المصحاء عن رعيه الإسلام لنفوس والعهود ، فيطعن العرب نفسه لقب « سديم القابوسى » على سبيل من كرسلاحيي القسطنطينية لم يشتهر بعمل من أعماله الخيرية كما اشتهر بأعماله القابوسية التي أقدمت المعاملات بين العرب وبلادهم على سبيل التشريع ومعاملة ، وهذه هي السس التي اعترف بها في إيمان محدد وقوته منحًا سحابة لمعرب ممارلت حتى أصبحت مع المصع فيودًا وأعمالها يحكم بها المستعمرون العربيون في أعناق الشرقيين !



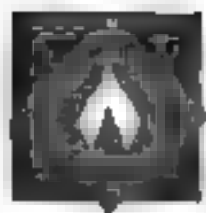
وبحق نكتب هذه السطور عن حقوق الأمم في الإسلام وعن حقوقها عند المصحاء الغربيين بعد أن تبهوا إلى البحث فيها منذ أوئل القرن السابع عشر ولا يدرى مامصير هذه الحقوق من الوجهة العممية في عالمنا الحديث

فقد تفهقرب دول العرب في بعض أحكام القانون الدولي إلى طدمات القرون الوسطى ، وأسقطت حرمة في أخطر الحقوق وهي حق الماتحة بالحرب أو حق الإنارة على الأمم بغير إعلان

وإن نقدم العالم الإنسانى بالقانون الدولي فهو ضرورة فاسرة ليس فيها كبير فصل من نصوص وأحكام ولا كبير فصل للمقاصد والنيات فإن اشتباك العالم في المصالح بعد افتترب أبحاثه بالمواصلا وتسامع الأخبار قد خلق بين الأمم علاقات مقصودة وعبر مقصودة برعم القوى على محاسبة الضعيف ، ولجعل لخطر في بعض أطراف الكرة الأرضية محسوسًا به في أبعاد أطرافها من بلاد الأقوياء والضعفاء

فهذه العلاقات مرحوة أخير مستدثة بالأمم في طريق لا يسهل عليها الكووص عنه وهي أمة على سلامتها وسلامة العالم الإنسانى في جملته ، فإذا صح فيها رجاء العالم الإنسانى فهو رجاء يساق الغرب منه سائق الضرورة العمباء ، ويقل فيه فضل السعى والتدبير ، ولكنه رجاء يتلقاه المسلم تصديقًا لإيمانه بالله ولعقيدته في حكمه لأنه يؤمن بأن التعارف بين السس هو الحكمة الإلهية من خلق الشعوب والقبائل واختلاف الأخناس والألوان

حق الإمام



الإمام في الإسلام هو وكيل الأمة في إقامة حدود الله بحقه مرادف حق الأمة ما قام بهذه الأمانة لأنه يتولى الإمامة لإساءة كل ذي حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما ندعو مصلحة الأمة فيه إلى تشريع جديد ، وطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء ٥٩]

وفي الحديث الشريف : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يصع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة »^(١)

وليس للإمام أن يعطل حداً من حدود الله

وليس له أن يقيم حداً منها في غير موضعه .

وقد منه في غير موضعه أن يقام حيث لا تثبت أركانه ولا تنسأ شبهاته . فالإمام الذي يعطل الحد مخالف لأوامر الله ، والإمام الذي يقيم حداً ليس بثابت الأركان ولا مدروء الشبهات مخالف لأوامر الله

وعلى الإمام تقع سعة الأمة كلها في تفسير مصالحها وضرورتها وتقليد ما يترتب على هذه المصالح والضرورات من إحراء الأحكام أو وقفها أو التوفيق بينها وبين أحوالها

وليس هذا من الاجتهاد الذي يجوز فيه الخلاف ، لأن الاجتهاد عتماد على تفسير لم يرد فيه نص صريح ، وأما رعاية الضرورات فقد وردت فيهاصوص صريحة لا تفهم على معنى من المعاني إن لم يكن معها أن للاصطرار حكماً غير حكم الاحتيال ، وأن تقدير الاصطرار في تطبيق الشرع هو كونه إلى ولي الأمر ساعه حصوله

﴿ مَنْ صَطَّرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إثمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة ١٧٣]

﴿ وَقَدْ فَضَّلْ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام ١١٦]

(١) رواه البيهقي

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي نَخْمَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٠]
والأمر بالتفكير نص صريح في القرآن الكريم كهذه النصوص عن الضرورات ، وليس
من الدين أن يتلقى المسلم آيات ربه في كتابه وآيات ربه في خلقه بغير تفكير

﴿لَا تَقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٧) [الأعراف: ١٧٦]

● ● ●

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٨) [النحل: ١١]

● ● ●

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٩) [النحل: ٦٧]

● ● ●

﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٧٨) [الروم: ٢٨]

● ● ●

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٣) [الأنعام: ٥٠]

● ● ●

﴿رَبِّمَأْتُواكَ مَاذَا يُفَكِّرُونَ قُلْ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) [البقرة: ٢١٩]

وليس في القرآن الكريم أمر وحب على الإنسان أكثر من وحب العقل والتفكير ،
وليس منه معنى على قوم أشد من المعنى على الذين لا يعقلون ولا يتفكرون

مرعاية الضرورات نص صريح ، والأمر بالعقل والتفكير نص صريح ، ومن كان
بغير ذلك فهو الذي يجهل برأى من عنده يحالف صريح النصوص

أما موضوع الاجتهاد الذي يطلب من الإمام في مسائل التشريع فهو الذي فصله
الفقيه ، في أبواب الفاسد أو الاستحسان أو الاستصلاح وقد أحملها العالم الفاضل
الأمير عبد الوهاب خلاف في كتابه عن مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص

فيه فقال : إنه إذا عرّضت للمكلف وقعة فيها حكم دل عليه نص في القرآن أو السنة انعقد عليه إجماع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور وحب اتباع هذا الحكم ولا مجال للاحتهاد بالرأى في حكم هذه الواقعة وإذا عرّضت واقعة ليس فيها حكم نص ولا إجماع ونكر ظهر للمجتهد أنها مساوية واقعة فيها حكم نص أو إجماع في العلة التي بني عليها حكم النص أو لإجماع فيه يسوى بين الواقعتين في حكم النص لمساويتهما في العلة التي بني عليها ، وهذه السوية هي القياس وهو أول طريق للاحتهاد بالرأى ، لأن المجتهد يستنبط علة حكم النص باحتشاده برأيه ويتحقق من وجودها في الواقعة المسكوت عنها باحتشاده برأيه .

« وإذا عرّضت وقعة يقتضي عموم النص حكماً فيها أو يقتضي القياس الظاهر المبادر حكماً فيها أو يقتضي تطبيق حكم الكلي حكماً فيها ، وظهر للمجتهد أن هذه الواقعة ظروفًا وملايسات خاصة تجعل تطبيق النص العام أو حكم الكلي عليها أو تباع القياس الظاهر فيها يعود المصلحة أو يؤدي إلى معدة معدل فيها عن هذا الحكم إلى حكم آخر اقتضاء تخصيصها في العام أو استثاؤها من الكلي أو اقتضاء قياس حكمي غير متبادر بهذا العنصر هو الاستحسان وهو من طرق الاحتهاد بالرأى لأن المجتهد يقدر الظروف الخاصة لهذه الواقعة باحتشاده برأيه ويرجع قليلاً على دليل باحتشاده برأيه .

« وإذا عرّضت وقعة ليس فيها حكم نص ولا إجماع ولا قياس ولا يتعارض فيها دليلان وظهر للمجتهد أن هذه الواقعة فيها أمر مناسب لتشريع حكم أي أن تشريع الحكم بناء عليه يحقق مصلحة مطلقه لأنه يحل دفعاً أو يدفع ضرراً فاجتهد في تشريع الحكم لتحقيق هذه المصلحة بهذا هو الاستصلاح ، وهو من طريق الاجتهاد بالرأى لأن المجتهد يهتدي إلى الأمر المناسب في الواقعة برأيه ويهتدي إلى الحكم الذي يبينه عليه برأيه .

« فواقعة القياس واقعة ليس فيها حكم نص أو إجماع ألحقت بواقعة فيها حكم نص وإجماع ، وواقعة الاستحسان واقعة تعارض في حكمها دليلان وعدل المجتهد فيها عن حكم أظهر الدليلين بسد استند إليه في العدول ، وواقعة الاستصلاح واقعة نكر لا حكم فيها نص ولا إجماع ولا قياس ، وتشريع فيها المجتهد لتحقيق مصلحة معينة . »

وجتهاد الصحابة بإذن النبي عليه السلام هو السند الذي يرجع إليه الفقهاء في

جوار الاحسناد أو وحرره عند الاضطراب إليه ، وأشهر وصاياه عليه السلام لكبار صحبه وصيته لمعاد بن جبل وعمر بن العاص .

وقد روى الإمام أحمد بسند مرفوع إلى أصحاب معاد من أهل حمص فقال : يا رسول الله ﷺ حين بعثته إلى اليمن هل - كيف تصنع إذا عرص لك قضاء؟ قال : أفصى بما في كتاب الله ، قال : وإن لم يكن في كتاب الله؟ قال : فبسة رسول الله ﷺ قال : وإن لم يكن في سبه رسول الله ﷺ؟ قال : أجتهد رأيي لا ألو قال معاد : فصر رسول الله ﷺ صدرى ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله

وروى عن عمرو بن العاص أنه جاء حصصان يختصمان إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا عمرو اقص بينهما ، قال : أنت أوسى بذلك مني يا سي الله فان وإن كان قال : على ماذا أقصي؟ قال : إن أصيب القضاء بينهما لك عشر حسنات وإن اجتهدت فأخطأت فبك حسنة .

وبلاحظ بعض رواة الأحاديث أن حديث معاد مرفوع إلى أصحاب له مجهولين فيقول الإمام ابن القيم في كتابه : إعلام الموقعين ردًا على هذه الملاحظة أن الحديث لا وإن كان عن غير مسمى فهم أصحاب معاد فلا يضره ذلك لأنه بدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به اخارث من عمرو عن جماعة من أصحاب معاد لا واحد منهم ، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم ولو سمي كيف وشهرة أصحاب معاد بالعلم والدين والعقل والصدق بأهل الذي لا يحصى ولا يعرف في أصحابه منهم ولا كذاب ولا مجروح ؟ بل أصحابه من أفضل المسلمين وحبائهم لا يشك أهل العلم بالعلم في ذلك كيف وشعبية حامل نواة هذا الحديث ، وقد قال بعض أئمة الحديث : إذا رأيت شعبه في إساد حديث فاشدد يديك به . . قال أبو بكر الخطيب : وقد قيل إن عباده من أسس رواه عن عبد الرحمن بن عزم عن معاذ ، وهذا إساد متصل ورحاله معروفون بالثقة على أن أهل العلم يقبوه واحتجوا به قومه بذلك على صحته عندهم كما وصفا على صحته قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا وصية نوارث ، وقوله في السحر : هو الطهور مأؤه والحل ميتته ، وقوله : إذا حثلف المتبايعان في التمس والسلعة قائمة لمخالف وترد السبع ، وقوله : السنة عسى العاقبة ، وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد ، ولكن لما تلقها الكوفة عن الكافة عو بصحتها عندهم عن طلب الإسناد بها ، فكذلك حديث معاد لما احتجوا به جميعًا عوا عن طلب الإسناد له .

وقد عسى الإمام اس القيم بمناقشة مخالفيه عسى ديدن فقهاء الإسلام في التحرج من بدء الرأي أو معارضته بغير دليل واخرص على إبراء الذمة في كل قول بأحدويه أو بمقدومه ، فأحاب المشككين في إسماء الحديث بالحجة التي اصطلاح عليها علماء الأثر ، وبكده كان في عسى عن ذلك بأدله الاجتهاد الكثيرة من أعمال النبي عليه السلام وأعمال الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وفي هذا الأمر خاصة أمر معاد رضي الله عنه - كاد الإمام بن القيم في عسى عن مناقشة السند بثبت حقيقته واحدة لا شك فيها وهي أن معاد ولي القصة قبل تمام التبريل وما تتبرل لآية الشريفة : ﴿ أَيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دينا . . ﴾ " ولو لم يكن من حق الإمام أن يفصي عما يراه موافقا للقرآن الكريم لما أمكن أن يسد الولاية إلى أحد ، وفي القرآن الكريم بقية يحجبها الولاية وكيفما كان تأويل المتأولين في حوار الاجتهاد مما يكون لصاحب رأي في الإسلام أن يزعم أن التمس أمرنا بالنصوص الكتابية كما يؤمر الآلات لسي سدق إلى عملها ولا بدري حكمته ولا تفقه معنى لتحريم الحرام وتحليل الحلال ، وأنهم لم يؤمرو بالنصوص كما يؤمر العقلاء بالنصوص المتواترة أن يتدبروا أمر الله وبوحيه ويسدبروا آيات الله في الكتاب وآياته في الأرض والسماء . وثمن مثل المتعالمين الذين يحتجون بالكتب ولا يفهمونها ، فإنهم كما جاء في القرآن الكريم ﴿ كَمْثِلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا مِثْلَ مِثْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة ٥] على أن الأدلة على حوار الاجتهاد ، بل على وجوبه ، كثيرة كما قدم فيما ثبت من أعمال لسي عليه الصلاة والسلام وأعمال خلفائه الراشدين ، ولا سيما الخليفة الثاني الذي بولي خلافة النبي في دولة واسعة الأطراف تنطلي من الإمام أن ينصرف في تطبيق النصوص كلما عرصت له المشكلات محدد لم يكن على عهد به قبل انشاع لدونه

فالسبي عيه السلام يدرج في إيجاب التكليف ، وجاء في رواية الإمام أحمد ابن وهب نعيم ، شترطوا على رسول الله ألا يحشروا ولا يعشروا ولا يجمعوا ولا يسمعون عليهم عسهم ، أي لا حرجوا للعرو ولا يؤدو الركاة ولا يصلوا ولا بولي عليهم أحد من غير قبيلتهم . فقال عيه الصلاة والسلام : لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا حير في دين لا ركوع فيه)

(١٠ سورة مائدة حرة من الآية (٣٠)

وقيل النبي منهم ما اشترطوه وهو يقول كتب جاء في رواية بين داود أنهم «بصادقون ويحاهدون» أي أنهم سيؤدون مرتضى الإسلام متى ثبت الإيمان في قلوبهم وشاهدوا غيرهم من المسلمين يتصدقون ويخرجون لجهاد

وروي أبو داود عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال «علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهما علمي وحافظ علي الصلوات الخمس قلب إن هذه ساعات لي فيها أشغال فمررت بأمر جامع إذا أنا فعنته أحرأ عني . فقال حافظ علي العصرين - وما كنت من لعتا - فقلت وب العصرين ؟ فقال صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها

ومثل هذه الرواية أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم عنى أنه لا يصلي صلاتين قبل ثلاث منه .

وروي البخاري عن أم عطية أنها قالت « بيعة صلى الله عليه وسلم فقراً عليا . «ألا يشرك بالله شيئاً» وبها عن الياحة ، فضمت امرأة يدها وقالت أسعدني صلاة فأريد أن أحرىها . فقال لها صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فاطلقت ورجعت فبيعتها وهي رواية السائي أنه عليه الصلاة والسلام قال «أهدبني فأسعدنيها» فبهت فأسعدنيها ثم جاءت فبيعت

وفد صنع رسول الله ذلك ترغيباً للمشركين في الإسلام وبألفياً لقبوبهم وتدرجاً بهم في الصبر عنى مرتضى وفصائله وتعويداً لهم أن يطعموا وأمر دينهم عن رعيه فيها واقتداء حسن بمن يطيعونها .

وتعددت مسائل الاجتهاد التي قضى بها الماروق في خلافته فأعصى من العنوة وأسقط سهم الوثلة قلوبهم ، وفرص الخراج ، وأشأ من المكافآت والمعونات ما لم يكن معمولاً به قبل خلافته .

كان يقول لا تقصع اليد في عذق ولا عام سه ، وسرق عمة خاطب من أنى بلعة باقة لرجل من مرييه وأمروا بالسرفه فقال عمر لكثير من الصلابة - اذهب فانطع أبديهم ، ولح في وجوههم شحوق فأمر بردهم وقال أم والله لولا أنى أعصم أنكم ستعملوهم ونجيعوهم حتى أن أحدهم أكل ما حرم الله عنه حوله لقطعت أيديهم وبي الله إذ لم أفعل لأعزمتك عرامة توجعت ثم قال يا مريي ! بكم أريدت منك رفقت ؟ قال بأربعمائة قال عمر اذهب فأعطه ثمانمائة

١١ راجع كتاب جهاد بين الإسلام وصاحب النصية لأبي عبد جعفر عيسى أبو العسر

وسئل الإمام أحمد بن حنبل: أتعمل به؟ قال: بئى عمري. لا تقطع يد السارق إن حملته الخنجر على ذلك والناس فى محاجة وشدة.

وأسقط عمر منهم المؤلفة قلوبهم، وكذا السى عبد السلام قد أعطى أب سعيدان ولأقرع بن حابس وعباس بن مرد بن وصفوان بن أمية وعيينة بن حصص كل واحد منهم مائة من الإبل وطلب عينة بن حصص والأقرع بن حابس أرضاً من أبي بكر الصديق فكتب لهما بها فلما رأى عمر الكتب مرقه وقال: إن الله أعز للإسلام وأغنى عنكم فإن تنتم عليه ولا فيسا ويحكم اليك

ومن سوء العهم أن يقال إن العاروق خالف النص فى هذه القضية، وإنما يفرد به اجتهد فى فهم النص كما يسعى، وأنه بحث عن المؤلفة قلوبهم فلم يجدهم، لأن تأليف القلوب إنما يكون مع مصالحة للإسلام والمسلمين، فإذا لم يكن تأليف لم يكن هناك مؤلفة يستحقون العطاء ولو أن عيينة والأقرع وأصحابهم سئلوا يومئذ: أعم من المؤلفة قلوبهم يستحقون العطاء لأنهم صغاف الإيمان لما قبلوا أن يشتوا فى ديوان العطاء

ولما فتحت أخص الحريرة وما وراءها ثم شأ أن بقسمها وقال: كيف بمن يأتى من المسلمين؟ يحد الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء ما هذا برأى ثم أرسل إلى عشرة من الأنصار وقال لهم: إني لم أرفعكم إلا لأن تشركوا فى أمانتى فيما حملت من أمركم. قد رأيت أن أحسن الأرض بعلوها وأصعب عليهم الخراج وعلى رهابهم، خربة يؤدونها فتكون فيك للمسلمين المقانة والدرية ولم يأتى من بعدهم أراهم هذه الشعور؟ لابد لها من رجال يلزمونها أرايتهم هذه المدن العظام كالشام والحريرة والكوفة والبصرة ومصر؟ لابد لها أن نشحن بالجيوش ودرار العطاء عليهم فمن أين أعطى هؤلاء؟ إذا قسمت الأرض ولعنوح؟ فقالوا جميعاً: الرأى رأيت، نعم ما قلت وما رأيت. إن نشحن هذه الشعور وهذه المدن بالرجال ونجوى عليهم يتقوون به - رجع أهل الكفر إلى مدتهم

وقد أحد عمر بتعيين السابقين إلى الإسلام بالمكافأة على الذين تبعوهم كرها ولم يشهدوا من العرواب ما شهدوه. وأبعد فتوى عيسى رضى الله عنه حين أفتى بمعاقة شارب الخمر بعقوبة القذف لأن الخمر لا تملك لسانه إذ سكر وهدى، وأمضى كثيراً من المكافآت والعقوبات على هذا العباس

ولم يتخرج الحليفة الأول من الاجتهاد بالرأى عند وحوه، وإنما كثر الاجتهاد

في عهد الخليفة الناسي لكثرة دواعيه ، وكان الصديق يقدم على الاجتهاد أحيانا حين يحجم عنه صاحبه كما حدث في حروب الردة حيث أمر الصديق بحرب مانعي الركاة وتردد عمر في حوار حرب الساقط بالشهادتين

وسئل الصديق عن الكلاله فقال : إني سأقرب فيها برأى فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان . أراه ما حلا الوالد والولد

واجتهد عثمان وعلى كما اجتهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن اجتهد عثمان أن يأمر بكتابة المصحف على حرف واحد سبعا لاختلاف الألسنة في القراءة . ويؤنسك أن يكون لعن رضي الله عنه رأى في كن معضلة عرضت للحنفاء من قبله . ربما رأى الرأي ثم عدل عنه ثم عدل عن عدوه كما حدث في فتواه ببيع أمهات البير فقد كانت اتفق مع عمر على منع بيعهن ، ثم قال لفاضي عبيدة السدساني كأنه يحيره بين البيع ومعه فقال عبيدة يا أمير المؤمنين رأيك ورأى عمر في الجماعة أحب إليا من رأيك وحكك . فقال أقصوا بما كنتم تفصرون ، وإني أكره الخلاف

ولم ينته الاجتهاد بعد الخلفاء الراشدين لأن الاجتهاد إنما أوجبه أنه ضرورة تعرض للإمام استئول مع تقلب الأحوال وتعدد الطوائف والامتناع ، وأخرى أن يكون للتابعين ألزم منه للأوليين الذين كانوا على مقربة من معاهد التبريل وحيرة النبي صاحب الرسالة

غير أن أهل الذكر الذين يوجبهم المجتمع الإسلامي أمانه العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى دعم أسس التشريع واستبطونه الصواب والآداب من آيات الكتاب وأحاديث الرسول ومأثور السلف المصالح فحاصلت لهم من ذلك حجة فسه من القواعد والشروط يحق لنا أن نسميها فوائد التفصيل ، وهي تعاقب اليوم ما يسمى هي عرف المشترعين العربيين بالحكم وجوامع الأصول Maxims .

ومن هذه القواعد أن اليسر مفصل على الخطر في أوامر الشرع ونواهيها فحيثما أمكن السراح فهو أفضل من الحرج والمقيد . لقوله تعالى « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ »^(١) ولما أثار عن النبي عليه الصلاة والسلام في حديث السيدة عائشة أنه « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما »^(٢) فإن يكن إثما كان أبعد الناس عنه .

(١) سورة البقرة جزء من الآية (١٨٥)

ومن قوعد التشريع أن المعروف عرفاً كالمشروط شرعاً ، وما رآه المسلمون حساً فهو حساً ، وإنه « لا يجوز إقامة الحد مع احتمال عدم الفائدة » و « أن الضرورات تبيح المحظورات » وأنه « لا ضرر ولا ضرر » و « أن احتياط أحب الضررين مصححة » و « السب على المدعى واليمين على من أنكر » و « الصبح جائز بين المسلمين إلا صبغاً أحل حراماً أو حرم حلالاً » و « لا يمنعك غضب ، فصيته بالأمن أن يرجع الحن » و « إياك والعصب والفلق والصجر والتأدى بلباس »

ومن صوابط التشريع فصل السلطات وفصل عمل الحكم عن عمل التنفيذ ، وهي ذلك يقول أحمد بن القرافي في الذخيرة . « إن ولاية القضاء متباعدة للحكم لا يدرج فيها غيره ، وسر للقاضي السياسة العامة . . وأما قوة السيد فأمر رء على كونه حاكماً . . وليس للقاضي قسمة العائث وتفرق أموال بيت المال على المصالح وإقامة الحدود وتركيب الحيوش وقنال السعاة »

ومن صوابط التشريع حق النقض « فيما خالف نص آية أو سنة أو إجماع أو ما يثبت من عمل أهل المدينة أو القياس الذي لا يحمل إلا معنى واحداً أو الدليل القاطع الذي لا يحمل اختلاف الآراء »
وتفصيل ذلك مستفيض في كتب الفقهاء .

والإمامة ، بهذه الصوابط والآداب ، مصدر دائم من مصادر التشريع بكل ومن بما ستنجد فيه ، ولكن حالة من يأسسها ، يواحه به الإسلام ضرورت التشريع بعمر ححر على الإمام أو على الأمة ، وحققهما في ذلك سواء لأن الإمام وكيل الأمة في حماية الحقوق ولأن إجماع الأمة هو الحجة التي يسد إليها الإمام كما تيسر الإجماع التام فما تيسر منه كاف في إجراء أعمال الإمامة .

ولا تقع في الحسنات بهذه المثابة - قضية واحدة يقال إن مصادر التشريع الإسلامي تنصق عن حكمها الذي ساست زمانها وأحوالها ، ولا يجوز مع هذا ، أن نحسب الشريعة الإسلامية من الشرائع المتحجرة التي لا تقبل المرونة ، وإن كانت كذلك لا نحسب من الشرائع الرخوة التي لا تنماسك على أساس معين

وعد حاول حكم من أكبر حكام العرب أن ينصق بالتشريع الإسلامي مطلة التححر في العصر الحاضر ، فشاء القمر أن يحرق عليه قصاصاً كان بعده على التشريع الإسلامي في معاملة المسلمين لأنه أمر بحرق عصاية من اللصوص في مزرعة من القصب لانت بها وبخسب فيها من مط دبحها ، في جهة النساء من صعيد مصر ، فأنشأ حاكم معشقه من قومه نال يشعل النار في مزرعة ويصيد من يهرب منها صرماً بالرصاص

ذلك الحاكم هو لورد كرومر قبصر قصر الدومارة في القاهرة كتب يلقبونه في رسه
وقد أخذ على الشيخ العباسي معنى الديار المصرية أنه مثل عن عقاب العصاة
مذكره كما جاء في الآية الكريمة :

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ
يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُصَوَّأَ مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي
الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾

[المائدة ٢٤، ٢٥]

وهذه عقوبات فرضت في الحرية العربية قبل استثناء الشخ العباسي (سنة ١٨٩٠)
بثلاثة عشر قرن وفيها التحجير بين القنل وقطع الأطراف وبس السحر أو الإقصاء من
الديار، وفيها العفو عمن تاب واستقام وليس فيها الإحراق الذي كان يحاكم منلوحه
عه ، لو أنه أثر أن بصر على محاصرة المفسدين حتى يستلموا له طائعين

وقبل الاحتلال البريطاني لمصر - أثناء الاحتلال العباسي في القرن الثامن عشر -
حكم قضاء بالبيون على سليمان الحلبي نائل القائد كليبر بالقتل على -خاروق وقطع
يديه ورجليه يدًا بعد يد ورجلاً بعد رجل ، ثم إحراره حباً بعد هذا التعذيب

أما الذين حاكمتهم محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر للميلاد أي بعد
بعثة النبي العربي بسبعة قرون - فحكمت عليهم بالإحراق وعدتهم مئات وألوف ،
منهم العلماء و الأدباء والقساوسة ولتتهمون بالسحر ومخالفة الشيطان ، وليس منهم
سفاح ولا قاطع طريق ، ودسهم كله أنهم سحليون من المعرفة ما يحرمه رجال الدس .

ولا نعلم أن أحداً من قضاء التفتيش أو من قضاة بابيون دم على إحراق الدس بقية
الحية ، ولكن نعلم أن خليفة مسلماً عاقب لخصاً من عنة الجناة انفسدين عشر بعهد الأمان
وقبل الأبرياء وتحدى ولي لأمر وأعوانه واستحق حكم الموت فأحرقه خليفة بالنار ذلك
هو الفجاءة بن إلياس بن عبد يالين الذي وفد على الخليفة أبي بكر الصديق يسأله سلاحاً
يحارب به المرتدين ويحمي به الطريق ، فلما أعطاه السلاح حرج به بقطع الطريق وسهب
السادة ويحارب المسلمين ، فطارده الخليفة حتى طهره فألقي به في النار ، وعاش نفسه
حياته بدم على هذه المثلة لأنها من غصب احدة ، وإن كان عصاً لا يعاب .

والعبرة في معظم هذه الأخطاء التي تقع فيها نقد الشريعة الإسلامية من ساسة العرب أنهم يزعمون في توجيهها ولا يكلفون أنفسهم أن يرددوا فيها ، ولولا ذلك لما وجهوا نقدهم إلى موضع لاستيعاء والضم من هذه الشريعة لأنهم لم يسألوا أنفسهم قط في أمر العقوبات التي يستعصمونها هل هم على يقين أنها لم تكن في حالة من الحالات رادعة أو لارمه للتحذير والتخويف؟ وهل أوجبها الشريعة الإسلامية في جميع الحالات ولم توجب معها عقوبة أخرى تصبح للأحد بها في رماها وفي غير رماها؟ وهم حلقاء أن يرددوا في النقد إذ كلهم أنفسهم بعض هذه الأسئلة ، لأنهم يتكروا على الشريعة الإسلامية شرط التشريع الذي يزعمون أنهم يطبقونه وهو الوفاء بحجة الرسم والمطابقة لجميع الأحوال ويسقطون من حسابهم مصدر التشريع الدائم في الإسلام وهو مصدر الإمامة ومن ورثه حق الأمة أو حق الإجماع ، فمن هذا انصدر أوفى من أكبر المصادر العصرية التي يعولون عليها وهو مصدر السيادة . إذ كانت السيادة معززة بحق ولادة الأمر وحق الاستفتاء العام ، وكانت الإمامة شاملة لهذه الحقوق جميعاً ويريد عيها فداسة الدين واتفاق الأمة في جميع أزمستها ، كأنها وحدة عامة لا تتמיד بإرادة الأحياء في فترة واحدة ولا حاجة للأمة في عصر من عصورها إلى مصدر من التشريع أوفى من مصدر السيادة بهذا المعنى الواسع المحيط بكل حرمة من حرمان الشرع في غير حد ولا حصر على حرية الأحياء ولا حرية الأحياء المقبلة لأن التبعة على قدر السلطة في كل حيل من أحياء الأحياء .

وما من جهة وحدة يستند إليها حق لإمامة كنه في الإسلام ولا استثناء في ذلك لصاحب الرسالة وأمين التبليغ سي الإسلام عليه السلام :

﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [آل عمران : ٢٨]

﴿ إنما أما بشر مثلكم ﴾ [الكهف : ١١٠]



﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [ق : ٤٥]



﴿قُرْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران ٦٤]

• • •

ويؤمر النبي بمشاورة المسلمين :

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران ١٥٩]

ويؤمر المسلمون بالمشاورة بينهم

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى ٣٨]

• • •

فحق الإمامة إذن أصم من حق السيادة ؛ لأنه - فى حاسى التشريع والتمديد مستمد من أوامر الله وسنة رسول الله واحتهاد أولياء الأمر واحتهاد الجماعة الإسلامية كلها برأيها على أم صوره يثبت عينيها

ولهذه وحيت للإمامة طاعة تناسب هذه القداسة فلا حدود لها إلا أن يأمر الإمام بالخروج من الدين أو معصية الخالق فهو لا يطاع إذن لأنه ليس بإمام وقسطاس العهد بين الإمام ورعيته كما جاء فى حديث عباد بن الصامت بدين رسول الله على السمع والطاعة فى العصر واليسر والمشيطة وسكره وعلى أثره عليه وعلى ألا يزع الأمر أهله وعلى أن يقول بالحق أيعب كما لا يخاف فى الله لومة لائم» ويتم الحديث فى رواية أخرى : «ألا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . . .»

ويقول عثمان بن عفان رضي الله عنه : «إن الله يرفع بالسلطان ما لا يرفع بالقرآن»

وهى «الأثر» إذ السلطان طى الله فى أرضه بأوى إليه كل مطبوع من عبادته فإذا عدل كان له الآخر وعلى الرعية الشكر، وإن جار كان عيبه الإصر وعلى الرعية الصبر»

وليس حق الإمامة بالبداهة حق الإمام لشخصه ولا هو من الحقوق التى يمكن أن تحصر فى جهة واحدة، وإنما يحق للإمام من ما هو حقه بموجب البيعة ولأمانة العامة . فهو مطيع فى هذه الأمانة مطاع .

ومن ثم وجب أن يتولى لإمام عمه باختيار رعاياه ولا بد من البيعة العامة لكل إمام مسئول يجب له الطاعة ، يرشحه من استطاع من أولى الحل والعقد ويعقد له الأمر بعد إحارة هذا الرشيع بالبيعة العامة ، وبحور أن يرشحه ، وحد أو يشترط في ترشيحه اتفاق عدد اسميين تجوز لهم صلاة الجماعة إلا أن الاتفاق على عدد الرشحيين لا يعنى عن المرحع الأخير وهو اتفاق الجماعة بلا خلاف أو اتفاقه على القدر الذى تروح به الكفة وتمنع به العنة ومن أقدم على المتننة وإثمها عليه يقضى فيه الإمام المختار أو يقضى فيه سلطان الجماعة حيث استقام لها سلطان مشروع .



ومن غام التكافل « والنضام » فى المجتمع الإسلامى أن أمانة « الإمامة » لا تعنى لأمة من وجب النصيحة لإمامها ، وقد جمع سى الإسلام الدين فى كلمتين إذ قال « الدين النصيحة » ومثل لمن يا رسول الله ؟ فقال : الله ولكنكته ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وقال عليه السلام فى حديث آخر : « فصل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

وراء هذا الواجب من الرعاية واجب يعمه من قبل الإمام ، وينأسى فيه الأئمة صاحب الإمامة الأولى الذى قال لرجل أصابه وحل عبد لقائه - « رويدك يا هذا » إنما أذن بشر : « أما ابن امرأة أعرابية كانت تأكل القديد » وفى كتاب الله خطاب للتبى ولكل إمام متبوع .

﴿ رَاخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨]

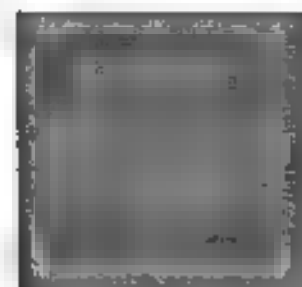
﴿ رَاخَفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥]

وحتم القوم فى هذا حق اغيط بجميع الحقوق حق الإمام أنه نائب مفتوح للتشريع فى كل عصر وكل مجتمع ، وأنه يكفل للأمة الإسلامية ما يكلفه حق السيادة وزيادة . فلا منعد لمعد التشريع لإسلامى فى جميع مصادره ما بقى له هذا المصدر مستمداً من صميم الإسلام ، وحكمة الله

التناسق ظاهرة محسنة فى الإسلام ، يلتمسها من تأمل فيه وألقى عليه فى

الفصل
الرابع

الإخلاق والآداب



محمومه نظرة عامة بين عقائده وعبادته وبين ما يشرعه من المعاملات والحقوق ويحمده من الأخلاق والآداب .

هنالك وحدة تامة أو سية واحدة يجمعها ما يجمع البنية الحية من تجاوز الوظائف وتناسق الجوارح والأعضاء .

وندر أن نقرأ في كلام باقد من لأحاب عن اللغة العربية شيئاً من سآحد التناقص في الإسلام إلا بدالك بعد قليل أنه منخطف ، وأن مرد الخطأ عنه إلى جهل ، الإسلام أو جهل اللغة العربية ، وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين لأنه يستظهر ألفاظها ولا يتسوقها ولا ينفذ إلى لبابها من وراء نصوص القواعد والراكيب .

قرأنا لبعضهم أحياناً كتاب عن الشيطان يلم فيه بصفة إبليس في الإسلام ويستحب فيه من هذا الدين أن يقول عن الله إنه أمر الملائكة بالسجود لأدم . . . مع أنه الدين الذي استنهر بعاية التندد في بكار الشرك وتكفير كل ساحد لغير الله

ومرد خطأ فيما ندر إلى الكتب من التناقص بين التوحيد وبين السجود لأدم أنه فهم السجود بمعنى الصلاة دون غيره من معاني الكلمة في اللغة العربية . وعاته أن الكلمة عرفت في اللغة العربية قبل أن يعرف العرب صلاة الإسلام ، ولم يفهموا منها أنها كلمة بصرف إلى العبادة دون غيره ، لأنهم يقولون «سجدت عليه» أي أعصت ، و«أسجد عينه» أي عصى عنها ، و«سجدت السحرة» أي ملأت ، و«سجدت» أي عصى رأسه بالحية ، و«سجد لعظم» أي وقره وحشع بين يديه ، ولاتناقص على معنى من هذه المعاني بين السجود لأدم وتوحيد الله وإنما السجود هنا هو التعظيم المستند من القصة كلها ، وهو تعظيم الإنسان على غيره من المخلوقات .

وبعضهم يرى أن الإسلام متناقص بطبيعته للعمل والسعي في سبيل الحياة لأنه يعلم من الإسلام أنه التواكل وتسليم الأمر إلى الله بغير حاجة إلى الحول والقوة ، لأنه «لا حول ولا قوة إلا بالله» .

وحهل هؤلاء بالمهم أكبر من حهلهم بالدعة لأن الإسلام إلى الله وحده وتحريم الإسلام لعبه يأبى على المسلم أن يسلم للظلم أو يسلم لتتحكم من الناس أو من صروف الحياة ، وبهذه أن يستسلم للحياة وللقسمة الخائرة ، وأن يستسلم بكل فضاء لا يرضاه ويعلم أن الله لا يرضاه .

وبعضهم يرى أن الإسلام والسلم مقيضان ، لأنه يعلم من كلمة أسلم أنها التسليم في الحرب (Surrender) أو التسليم قبل الحرب خوفاً من القتال فكل مسلم فهو حاصص لليف مرة بعد الحرب أو خوفاً من الحرب قبل إشهارها عليه

وهؤلاء المتحدلقون على النعم التي يحهلونها يفوتهم أن كلمة « أسلم » في ميدان الحرب هي نفسها مأخوذة من إعطاء اليد أو سخطها بالمصافحة ، وأن المقصود بهذه الكلمة في الدين أنها استئصال الله والاتجاه إليه . فمن أسلم وجهه لله فقد استقبل طريقه وأعطاه وجهه ولم يتحول عنه إلى غيره . وكل المتدلسين قبل الدعوة المحمدية موصوفون بأنهم مسممون كما جاء في سورة البقرة

﴿ وَمَنْ يُرَغِبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ مُضِلٍّ وَلَقَدْ اخْتَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّيْنَا بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴿

[البقرة: ١٣٠ - ١٣٣]

ومى القرآن الكريم أن المسلمين وصفوا بالإسلام في الكتب لأولى كما جاء في سورة الحج :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨]

وأكثر ما اطلعنا عليه من القائص المزعومة فهو من قبيل هذه الأخطاء في

التفرقة بين الكلمات على معانيها المصنفة وبين هذه الألفاظ على معانيها التي قيدها الاصطلاح أو حصصتها لغة القرآن الكريم

وفيه عدا هذه النقائص وما إليها يروع الساحت في الإسلام ذلك التناقض بين عقائده وأحكامه أو بين عقائده وأخلاقه ولعل هذا التناقض أظهر ما يكون بين الأخلاق المتعددة التي حمدها الدين من المسلم ، وهي متفرقات تجمعها وحدة لا تسرعها وحدتها الإسلامية فهي في جملة وصفها أخلاق إسلامية وكفى

هل هي أخلاق قوة؟ هل هي أخلاق محبة؟ هل هي أخلاق قصد واعتدال؟ هل هي أخلاق اجتماعية؟ هل هي أخلاق إنسانية؟

هي كذلك أحياناً ولكنها ليست كذلك في جميع الأحيان ؛ لأن أخلاق القوة قد تعهم على وحوه متعددة ، أو متناقضة ، بحمد الإسلام بعضها ولا بحمد بعضها ، أو بلمها جميعاً إذا فهمت على مذهب فلاسفة القوة في العصر الأخير

وقد توصف الأخلاق في الإسلام بأنها « أخلاق محبة » لأن أصول العلاقات بين الناس قائمة في الإسلام على شرعه المحبة والأخوة كأهم من أسرته وحده . ولكن الإسلام يسكر من المسلم أن يحب الخبيث كما يحب الطيب ، ويعرف العداوة في الحق كما يعرف الصداقة فيه

وليس هوام الأخلاق كله هي المتوسط أو هي القصد والاعتدال على مذهب الفلاسفة اليونانية أو فلسفة أرسطو على الخصوص . وليس مأل الأخلاق كله هي الإسلام إلى وحي المجمع أو وحي الإنسانية برمتها لأن المجتمع قد يدن بأخلاقه كما يدان الفرد ، ولأن الإنسانية لا ترتفع إلى ما فوق حواص الصعف فيها إن لم يكن لها من مثل العليا ما يسمو عليها أو تسمو هي إليه حياً بعد حيل



أخلاق القوة في العصر الأخير مفترية باسم « فردريك نيتشه » رسول السوبرمان الذي كاد يمانه بالسوبرمان أن يقلب إلى عداوة للإنسان

فالسوبرمان لا يرحم ولا يعص ولا يعرف للمصعيف نصيب من « الإنسان الأعلى » غير نصيب الرزية والإدلال ، أو الإمادة والاستئصال ، محافظة على سلامة النوع

من عدوى الصحف وعواقب لإبقاء على الصعفاء ، وهم في عرفه أولى بالاحتساب من مرضى الخدام

والأحلاق عنده قسمان قسم للسادة لا يقبله العبيد ، وقسم للعبيد لا يقبله السادة فليس بين العربيين جامعة إنسانية تلتقي بهم في صفة من الصفات ، بل هم أعداء يتسخط منهم المذنب على العاقر ، ولا يحسن بالتسخط أن يقبل من العاقر غير خبوع والهبوط في الدنة من هاوية إلى هاوية ، لا نهاية غير الانقراض والبقاء



وأحلاق القوة عرفت قبل بيشته بتفسير لا تفسير فيه عند الحاجة إلى تفسير ، لأنه يجعل القوة مرادفة للاستحسان ، ولا ندري منه لماذا يكون هذا الاستحسان

وتفسير الفيلسوف هوبر Hobbes لقوة من هذا القبيل

فالناس على رعم هؤلاء ، يفر من يحمدون الرحمة ؛ لأنهم يحمدون القوة ، ويرون في الرحمة دليلاً على قوة الرحيم لأنه بتفضل بها على الضعيف ويرفع بها عن معاملته كما يعامل الأعداء والنزلاء

والناس يحمدون العمور ؛ لأن الذي يعمو عن المسىء إليه يعتد بقوته وبأمنه إن وعى له بالشكر أو غدر به على سوء .

وهم يحمدون الكرم ؛ لأنه عطاء . ولا يملك ما يعصل من حاجته ويجود به على المعتقر إليه غير الأقوياء .

وهم يحمدون الصبر ؛ لأن القوى حديد يتماسك لصدمة المصاب ولا تتصعصع تحت وقرة السبل . فهو يصبر على بلائه لأنه قوى يحتمل منه سالا يحتمله الضعيف . ولا يكون القوى حروغاً وإن عظم عليه المصاب

وهم يحمدون الدهاء ؛ لأنه قوة في العقل يتمكن بها صاحب المعن القوى من تسخير لأقوياء بالأجسام ، ويحمدون الذكاء والحنق والمعرفة والبراعة في صناعة من الصاعات ؛ لأنها علامة من علامات القوة على نحو من الأنحاء

وهذه الصفات ، أو لمزاي ، نريد أصحابها قوة كما سم فيهم من القوة التي تصدر عنها ، فهي محمودة لذاتها عليه ، وما يؤتى إليه

أما العصمة والمجد والشجاعة فلا حاجة بها إلى تفسير عند من يرجعون بالأخلاق جميعاً إلى القوة على هذا الأسلوب لأنها طاهرة بقوتها معترف بسب الإعجاب بها بين الأقوياء أو الضعفاء .

وقبل الرجوع بالأخلاق لنشأ إلى القوة على مذهب هوور أو على مذهب بيتشه - كانت المدرسة اليونانية تعتبر الأخلاق الفاصلة وسطاً بين طرفين ، أو تحت طالب الفضيلة على الأعداد في جميع الأمور و لاتجاه إلى الحسن من كل حل على قدر خطه من الاعتدال

والشجاعة وسط بين انهور والحس ، والكرم وسط بين الإسراف والحل ، والصبر وسط بين الجمود والجرح ، والحلم وسط بين الرق والبلاهة ، والرحمة وسط بين القوة والخور وكل فضيلة على حد القيسر فهي مسألة توسط في المسافة بين عاكس

وهي رمانا هذا ، يعلب على مدارس لأخلاق أنها تؤول بالفصائل كلها إلى باعث واحد وهو باعث المصلحة الاجتماعية ، أو باعث القرارات الوعية التي يتصل بها بقاء نوع الإنسان . ومن هذه المدارس ما يحصر المصلحة في الطبقة العالية على المجتمع فلا مصلحة للمجتمع كله في الأخلاق الفاصلة التي يحمدها المجتمع في عهد من العهود ، ولكن المصلحة فيها للطبقة المتحركة فيه بثروتها ومطوتها . فما نراه حساً فهو الحسن بالنسبة إليها لاستبقاء مافعها ، وهي إذن تسوم للطبقات الأخرى أن تتحس على المحاكاة والتقليد وإن لم يكن لها حير فيه



و لإسلام محمد كثيراً من الأخلاق المحمودة في هذه المذهب ، ولكننا لا نستطيع أن نجمع الأخلاق الإسلامية كافة في نطاق مذهب منها ، ولا سيما مذهب القوة في مذهب بيتشه ومذهب الطبقة الاجتماعية في فلسفة الماديين

فمذهب القوة في رأى بيتشه بافص جميع الأديان الإلهية ، ولعله يوافق دينا يعتقد أتباعه أنه دين إله واحد يختارونه ويحاربهم فيستبقيهم ويحق غيرهم من العالين . ولكنه لا يوافق الأديان التي تدعو إلى إله واحد للأقوياء والضعفاء ، وقد يكون الأحد بمذهب القوة في رأى بيتشه همماً لهذه الأديان من فواعدها وقبلاغا لها من حدودها . إذ لا قيمة للدين مالم يثنى أمام القوة الطاغية قوة تكبحها

وتهذبها وهي قوة الضمير ، ولا رسالة بلدين بين الشر إن لم تكن رسالته أن يرى فيهم وازعاً للقوة البدنية وقوة انطامع والشهوات وقد نعلم الناس دهرًا ضويلاً أن حماية المريض غير حماية المرحس ، وأن العناية بالمرضى تؤول على الدوام إلى عناية بالصحة ، يستفيد منها الأصحاء كما يستفيد منها المصابون وليس بالعسير عليهم أن يتعدوا كذلك أن حماية الضعيف غير حماية الصعف ، وأن العنية بالصعفاء تؤول إلى عناية شاملة يستفيد منها الأقوياء والصعفاء أو تكون فائدة الأقوياء منها مهلة على قائمة الصعفاء

وتفسير « هوبز » للقوة لا يقرب مذهب القوة كثيراً إلى حفيمة الأخلاق الإسلامية لأن الإسلام لا يحدد من الأخلاق أنها حيلة متوية أو متقيمة إلى طلب القوة ، بل يحدد منها في كل شأن من شئون الإنسان أنها وسيلة إلى طلب الكمال ، ويحب إلى الإنسان أحياناً أن يؤثر الهرجة مع الكمال على الضرر مع القوة ، إذا كان الضرر وسيلة من وسائل القوة الناحية إلى لا تتورخ عن السحاح بكل سلاح

ومذهب الفلسفة اليونانية ينهى بنا إلى مقياس للأخلاق شبيه بمقاييس الهندسة والحساب بعيد عن تقدير العوامل النفسية والقيم الروحية في الأخلاق العليا على التخصيص وقد تصدق هذه الفلسفة إذا كان المطلوب من الإنسان أن يختار بين رذيلتين محقتين . فإنه في هذه الحالة يحس الاختيار بالتوسط بين طرفين متقابلين كلاهما مدموم ومتروك إلا أننا لا نقول من أجل ذلك إن الكرم نقص في رذيلة السحل ، أو نقص في رذيلة السرف ، ولا نقول من أجل ذلك إن الكرم إذا زاد أصبح سرفاً ، وإن السرف إذا نقص أصبح كرمًا بل تكون الريادة في الكرم كرمًا كبيراً ، والنقص في السرف سرفاً قبيلاً ، ولا يكون الكرم أبداً درجة من درجات السرف ، ولا البخل أبداً درجة من درجات الكرم . بل هي أخلاق متباعدة في الباعث متباعدة في القيمة ، يتقارب الطرفان فيها أحدهما من الآخر ، ولا يتقارب الطرف من الوسط كما يظهر من قياس الهندسة أو قياس الحساب

وقد رأينا في ساحت العلل النفسية التي كشفها العلم الحديث أن الشذوذ يقرب بين المسرفين والبخلاء في أعراض مشابهة ، وأن العلة الكامنة في التركيب قد تظهر في الأسره أو حدة بحلافى أحد لأحويس ، كرمًا في أح وسرفًا في الأح

الأخر أو تظهر في أحدهما هويتاً بالإقدام والاقصاح ، وتظهر في أحده هوساً بالحذر والإحجام فلا إفراط لها ولا تفريط في « كمية » واحدة تقاس الهندسة والحساب ، ولكنها خلافاً متبينة بخلاف الباعث لها وتختلف بقيمتها في معايير الأخلاق

وبوصح مذهب الفلسفة اليونانية أو مذهب أرسطو على الأصح لما جاز للإسكان أن يطلب المزيد من فصيلة الكرم - مثلاً - لأنه ينقل على هذا الرأي إلى رتبة السرف والتبذير إلا أن زيادة الكرم لا تكون إلا زيادة في فصيلة مشكورة ، ولابد من التفرقة بين زيادة الكرم وزيادة العظمة فإيهما في الواقع أمران مختلفان ، وقد قيل لاحقاً في السرف ولا سرف في الخير وفي القول الثامن توضيح لايم للقول الأول ، لأن زيادة الخير إلى أقصى حدوده واحدة لا تخرج به عن كونه خيراً محموداً يرداد حمده مع إردبائه ، ولا يحسب من السرف على وجه من الوجوه

وعا يلتبس الأمر على أصحاب مدرسة التوسط في جميع الأمور لأنهم يظنون في تقدير الكرم إلى المان المتداول وإلى مصلحة المبادل في حساب المال ، ولا التناس في الأمر إذا نظروا إلى الباعث والنوحي والمصلحة في عمومها ولو ناقضت مصلحة الباذن في بعض الأحيان .

فمن كانت طاقته أن يتفق ألف دينار ولا يتفصاه الواجب أو يتقاصاه مصلحته أن يتفق ألفاً فهو مسرف ما في ذلك خلاف لأنه يفعل شيئاً بصره ولا توجه عليه مصلحة أكثر من مصلحته أم إذا كان باعث الإعاض شيئاً غير مصلحته وغير هواه وكان حسن المال في يديه صديقاً وحبيب العاقبة على الناس وعلمه في الهانة - بالكرم أن يزداد في الإنفاق على حسب المصلحة العظمى ، وعلى قدر التصحية وإنكار الذات يكون حظ البدل من العصبة المحمودة أو حظه من الخير الذي لا سرف فيه

ونصعب انفارزة بين التطرف والتوسط حين تكون المسألة مسألة درجات ولا تكون هناك مقادير تعد بالأرقام فإذا برحوا عقبت إن الكريم هو الذي يبذل ألف دينار ، وإن المسرف هو الذي يبذل ألفين أو ثلاثة آلاف ، والبحيل هو الذي يبذل مائة أو لا يبذل شيئاً على الإطلاق فمن هو الشجاع ومن هو المتهور ومن هو الخبان ؟

ليست هنا مقادير تعد بالأرقام فإذا عرفنا أن الخبان هو الذي يحجم عن الخطر فمن هو الشجاع ؟ ومن هو المتهور ؟ إن المتهور ليكرس أفضل من الشجاعة إذ قلنا إن

الشجاعة قليل لإقدام على الخطر وإن المشهور كثير لإقدام عليه ، أو قلت إن درجة الخطر الذي يقدم عليه المشهور أعظم من درجة الخطر الذي يقدم عليه الشجاع ولكنا حين نقول إن الشجاعة هو الذي يقدم على الخطر حيث يجب الإقدام عليه يرجع بالقضية والردية إلى مقياس الواجب وتقديره ، وتصبح المسألة هنا مسألة مدره على فهم الواجب والعمل به ، وليست مسألة أعداد أو أبعاد ، فالمشهور والخبان كلاهما عاجز عن فهم الواجب والعمل به ، والشجاعة هو القادر على الفهم والعمل ، ولا يستقيم في التعبير إذن أن نقول إن المشهور أكثر شجاعة من الشجاع ، وأن الخبان أقل شجاعة منه ، لأنهما معاً حلول من الشجاعة الواجبة بغير إفراد أو تفريق .

ولم يشد الإنسان عن الاعتدال في الطبع إذا هو أنر أن يذهب في كل فضيلة إلى بهاها القصوى ، وماذا يعاب في حمل الوجوه - مثلاً - إذا انتهت إلى غاية لا غاية بعدها في معهود الأنصار؟ وماذا يعاب في حمل لأحلاق إذا انتهى إلى مثل تلك الغاية في معهود البصائر؟ إن كلمة من كتاب اللغة العربية العاصرة بتدولاتها النفسية والفكرية لنهدينا إلى قسطاس الحمد في كل حسنة مأثورة . فكلمة «ناهيك» حين تقول : ناهيك من رحل أو ناهيك من عمل أو ناهيك من خلق - هي قسطاس لثناء فيما تشده النفوس الإنسانية من كل فصل مشود فهو الفصل الذي ينتهى بنا إلى النهاية فلا نتطع بعده إلى مزيد

غير أن مذهب الاعتدال - مع هذا - أقرب المذاهب إلى فهم الأخلاق المحمودة في الإسلام ، على اعتبار أن خلق الاعتدال قضية مستقلة بذل على طبع سليم وعقل رشيد يعمل لئلا يفسده ولا يجمعهم الاعتدال أن يدهبا به إلى غاية الكمال ، إذ كان له هذا القدر بين أقدار الأخلاق



ومذهب المصحة الاجتماعية لا يفاضل مكارم لأحلاق الإسلامية كل انصاف ولا يوافقها كل انواقفه إذ مجمل الرأي في الإسلام أن المجتمع يقاس بالدين وليس الدين يقاس بالمجتمع ، فقد يسفل المجتمع فتتفق فيه الآراء والأهواء على مصحة يأبها الدين ويحسها مصرة أو مفسدة يؤتب المجتمع من أجلها كم يؤتب الأفراد . وربما كانت مصحة النوع الإنساني أصدق المقياس لمحقن محمود في الإسلام

ولكن النوع الإنساني يترقى في العلم بمصالحه حقبة بعد حقبة ، ومن حوافره إلى الترقى أن تكون أمامه أمثلة عليا بالأخلاق أرفع من مأكوف الأخلاق التي يسرسل معها بغير جهد وبغير رياضة وبغير تربية مفروضة عليه ، يعتقد أنه يتفدها عن هو أكبر من الإنسان وأحسن منه بالطاعة والإصغاء إلى هدايته وعلمه

لا بد من المصائل الإلهية في تعليم الإنسان مكارم لأخلاق ، وما كتسب الإنسان أفضل أخلاقه إلا من الإيمان بمصدر سماوى يعلو به عن طبيعته الأرضية .

وهذا هو لمقياس الأسمى لمكارم الأخلاق في الإسلام .

ليس مقياسها الأسمى أنها أخلاق قوة ، ولا أنها أوساط من أطراف ، ولا أنها مرجعان لمنفعة النوع الإنسانى بأجمعه في وقت من الأوقات .

وإنما مقياسها أنها أخلاق كاملة ، وأن الكمال اقتراب من الله

وعد يكون الكمال كالحمال مقياس غير متفق عليه قبلاً للتفاوت - بل للتناقض

كما تتفاوت مقاييس الحرف وتناقض في كثير من المعقولات والمخسوسات . لكنها

يقول قولاً معيذاً حين نقول إن الإنسان يحب أحمل الرجوة ، أو أحسن الشرائع ، أو

أحمل اخصال ، ونقول قولاً معيذاً حين نضع الكمال في موضع الحمال

إلا أن الإسلام يقرر المثل الأعلى في كل خصبة بالصفات الإلهية

... والله المثل الأعلى . . .

وكل صفة من صفات الله الخمسى محفوظة في القرآن الكريم ، يترسبها المسلم

ليبلغ فيها عاية المستطاع في طاقة المخلوق .

ولا تكلف نفس إلا وسعها كما جاء في غير موضع من لكتاب الحكيم

يسر للأخلاق الإسلامية مقياس جامع من الضوة ، ولا من التوسط من

الأطراف ، ولا من مصفة أمة قد تنقصها منعة أمة غيرها ، ولا من مصفة لأمة

جميعاً في عصر ينلوه عصر غيره منفعة أكرم منها وأحرى بالسمى إليها

فالدين الإسلامي بعقائده وأدبه ، أو بجملته وبفصيله ، يستحب القوة للمسلم

وبأمره بإعداد عدتها من قدره الروح والبدن ، ولكنه يستحبها قوة تعطف على

الضعيف وتحسن إلى المسكين واليتيم ، ويعفنها قوة بهال بالحروب والخيلاء ولا

يتال الصعفاء منها غير الهوان والإدلال

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]

﴿قَلْبُشْ مَثْوًى الْمُتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢١]

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]



ولا يسحب الإسلام القوة للقوى إلا ليدفع بها عدوان لأقوياء على المستضعفين عن دفع العدوان

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٧٥]

ولم يوصف الله بالكبرياء في مقام الوعيد للكبرياء بالكلية والإذلال ، إلا ليدكر المكبر بخسار أن الله أقدر منه على التكبر والحسوت



والإسلام يركى مذهب التوسط فيب يقلل التوسط بالمقدبر أو بالدرجات كالإنفاق الذي ينتهى الإسراف فيه إلى اللوم والحرمة

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]

ولكن القسطاس في فصائل الإسلام لا يرجع إلى المقدار والتوسط فيه ، بل يرجع إلى الوحد وما يقنصيه لكل أمر من الأمور فإذا وجب بذل المال كله وبذل الحياة معه في سبيل الحق فلا هوادة ولا توسط هب بين طرفين ، وإنما هو واحد واحد محمد من الموم أن ينصب فيه إلى أفضاه

ولا يصدق هذا على ستون القوة والكرم وحسب ، بل يصدق في شئون الرحمة حيث تجب لمن هو أهل لها .

فالإسلام على كرامته الدن لا تناعه يسحب منهم الدن في الرحمة بالوالدين الشحين :

﴿ واحفص لهما جناح الذن من الرحمة ﴾ [الإسراء ٢٤]

لأن الدن هنا وبادة في الرحمة يأتي من كرامة في النفس ولا يأتي من هوان فيها

وعلاك الاعتدال في الحق الإسلامي أن لمسلم يؤمر بالعمل لدينه كف بعمل دينه ، ويؤمر بصالح الخلد كف يؤمر بصالح الروح فلا يكون في هذه الدين روحاً محصاً ولا يكون فيها حسداً محصاً ومن أسي عليه دينه أن يكون في هذه الدنيا حسداً محصاً فمن العيب أن يقال إنه يعمل ليكون حسداً محصاً في عالم الرضوان : علم الروح والضمائر

وقد صدل بعض المعربين من دعاة الأديان عمولاً كثيرة في شئ لأقطار حين رصمو أن الخطاب بالمحسوسات في أمر الجنة والار مرسوم على العقيدة الإسلامية ، وأن المؤمنين بالدين لا يؤسبون بالنعيم المحسوس إلا إذا كانوا من المؤمنين بالقول

والأسياء والفديسون في جميع الأديان الكتنيه قد تمشوا المحسوس في رضوان الله ووصفوه على هذه الصفة في كتب العهد المدم والعهد الجديد وفي كتب التراس والدعوات وفي العهد المدم يصف أشعياء يوم الرضوان في الأصحاح الخامس والعشرين من سفره فيقول :

يصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجيل وليمة سمائن ووليمة خمر على دردي سمائن ممخة: دردي مصي ويقى في هذا الجبل وجه النقب النقب الذي على كل الشعوب والعطاء المعطى به على كل لأنم يبلغ اموت إلى الأبد ويصبح السيد لرب الدموع عن كل الوجوه ..

وفي العهد الجديد يقول يوحنا اللاهوتي في الأصحاح الرابع من رؤياه

بعد هذا يظرب وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق

يتكلم معنى قائلاً: «أصعد إلى هناك فريث ما لا بد أن يصير بعد هذا وبوقت صرت في الدوح، وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس، وكان جالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قرح حول العرش في المنظر شبه الرصرد وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً، ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب، ومن العرش تخرج بروق ورعود وأصوات وأمام العرش سبعة مصاييح نار متقدة هي سبعة أرواح الله وقدم العرش بحر راح شبه البلور، وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء، والحيوان الأول شبه الأسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه سر طائر»

ويقول في الأصحاح العشرين *

«مثل تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع راياء الأرض: يأجوج وماجوج ليجمعهم للعرب وعددهم مثل رمل البحر فخرلت مار من عند الله من السماء واكتتهم وإليس الذي كان يصنعهم طرح في بحيرة النار والكبريت... وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار»

ويقول في الأصحاح الحادي والعشرين *

«ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مصيتان والبحر لا يوجد فيما بعد، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة بارقة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مريية لزوجها وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس»

وكانت آمال العميم المحروس تسرر قلوب القديسين في صدر المسيحية فصلاً عن صامة العباد بين عمار الدماء - ومن أشهر هؤلاء الأقطاب المعدودين رجل عاش في سورية في القرن الرابع للميلاد وترك بعده ترايين مقروءة تنعى بها طلاب العميم وهو القديس أفرام الذي يقو في إحدى هذه الترايين

ورأيت مساكن الصالحين رايتهم تقطر منهم العصور ويغوش منهم العبير تريهم صفار المأكهة والريحان... وكل من عف عن خمر الديب عطشت إليه خمر الفردوس، وكل من عف عن الشهوات بطقه احسان في صدر ظهور»

واتفق أحد العرب وأخبار الشرق في وصف النعيم بهذه الصفة فقال القديس إيرينيوس Irenaeus أسقف ليون في القرن الثاني (سنة ١٧٨ للميلاد)

إسماعيل السجدة المسيح أتى يوحنا اللاهوتي أن ستأتي أيام يكون فيها كروم لكل كرمة عشرة آلاف عصف وكل غصن عشرة آلاف فرع، ولكن فرع عشرة آلاف عسلوج، ولكن عسلوج عشرة آلاف عصفود، ولكن عصفود عشرة آلاف عبة وتعصر العبة منها فتر من الخمرة مائتين وخمسة وسبعين رطلاً^(١) .

ولم يبع لإسلام هذا ابتع من الممثل ما يحسوسات ، ولكنه يشعها بعقيدته التي تمنع المسلم أن يكون جسداً محصاً في دية فصلاً عن حره . ويهي المسلم أن يقيس نعيم الرضوان على نعيم الدنيا :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِّمَّ أَحْمِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)

[السجدة ١٧]

أو كما جاء الحديث الشريف : « فيها ما لا عين رأت ، ولا أدن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »



وبن لا تعرض لهذا البحث في موضوع الأخلاق الإسلامية إلا لأن الأديان جميعاً تنظر إلى النعيم الإلهي كأبه المثل لأعلى للحياة الدنيوية ، وليس في المثل الأعلى في الحياة في عقيدة المسلم - ما يحمله على رعم المصلين من أعداء الإسلام حسداً محصاً في أخلاقه وأدبه ، أو يحور على الحاسب الأخلاقي فيه ، ومن أبي عليه دية أن يكون في الأرض جسداً محصاً فمن السحب أن يقال أنه يرضى لنفسه أن يكون حسداً محصاً في جوار الله الذي بلغ به الإسلام عية ما يتصوره العقل والصميم من التنزيه

وهذا فسطاس لا يحطين في تقويم كل خلق حسن سبحانه للدين في المسلم ، فإنه مأمور ألا يسي نصيبه من الحساء الخدية ، ولكنه مأمور في الوقت نفسه أن

(١) - راجع كتاب الفلسفة الغراتية للمؤلف

ينظر إلى صفات الله بحسبى كما تحلت فى أسمائه التى وردت فى القرآن الكريم
فهى قلبته التى يهتدى بها فى كل مكارم الأخلاق لا يكف أن يدرك بها سائر
الكمال لإلهى ، لكنه يكف منها ، فى وسعه كآها ، قصب السماء الذى يهتدى به
ملاح البحر وهو يعلم أنه فلكه الرفع بعيد المال



والأخلاق التى يهتدى إليها لمسلم يهتدى الأسماء الحسنى كثيرة وافية يحير ما
بحراء الإسناد فى مراتب الكمال المصوبة لكمالها مع عموم نفعها فى حياة الفرد
والجماعة ومنها العزة ، والقدرة ، والمتانة ، والكرم ، والإحسان ، والرحمة ، والهدى ،
والصبر ، والعفو ، والعدل ، والصدق ، والحكمة ، والرشد ، والحفاظ ، والحلم ،
واللطف ، والولاء ، والعلام ، والجمال .

وكلها مشهود لأنه كمال لا يقاس ، لا بمقياس الكمال ، وأنه ليوافق مقياس القوة
والتوسط والمصلحة الاجتماعية فى أحمل مطالبها وأصحبها على هدى الفكر وهدى
الضمير ، ثم لا يسوغيه مدرسة خاصة من هذه المدارس المتفرقة كما يستوعبه
مدرسة الإسلام ، أو مدرسة الكمال بهدانة الأسماء الحسنى

ونخير للمجتمع الإسلامى أن تقاس الأخلاق فيه بهذا القسطاس ولا تقاس بمنفعة
تفيد هذا المجتمع بصفة ، وتحرف مع انحراف نظرتة إلى مصلحته ومصاره . فإن
المجتمع قد يصاب بأفات الذل والعجز والهزال والبخل والسوء والقسوة والبعثاء
وسائر الآفات الموبقة من نقائص الخلائق الإلهية ، فيصحبها الترفاق من الدين ، أو
بصلحتها أن تقلع عنها ولا يصحبها أن تتعاضد فيها

إن أدب الإسلام يخرج للمجتمع الإنسان الكامل فيخرج له الإنسان
الاجتماعى الكامل فى أقوى صورة وفى أجملها

يخرج له السوبرمان الذى لا يصعب على أحد ، ويخرج له الحسدان الذى لا
يسىء إلى أحد .

ومن عناية الإسلام بالتفصيل والاستيعاء فى كل أمر من الأمور أنه شفع
لأصون بمروعتها فى مسائل الأخلاق ومسائل الفرائض والعبادات . فمما لا
حفاء به أن الرحمن الذى يعرف العز والصدق والطف « حسان » على أحسن ما
تكون « الحسدانية » هى رأى الرحمن المهيذب الكريم . ولكن الإسلام يستوفى صفاته

بتفصيلاتها لأنه يحاطب الناس كافة ويتوجه بالإرشاد إلى أحواح الناس إليه ، فلا يدع الإرشاد إلى الآداب الاجتماعية في أدق تفصيلاتها التي تحسب من آداب المحاملات هي اللقاء والتحية بين الناس أو هي عرف السبوك في المحصر والمعيب

لا بدخل أحد بيتاً حتى يستأذن :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [التور: ٢٧]

ولا يحيى بحبة إلا أحابها بمثلها أو بأفضل منها :

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ﴾ [النساء: ٨٠]
ولا يحسن بالمرء أن يقول لناس (لا قولاً حسناً :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]

ولا يحسن به أن يسخر من يستصغره ويستظبل عليه :

﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمَىٰ أَدْيٍ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَمَىٰ أَدْيٍ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات: ١٠]

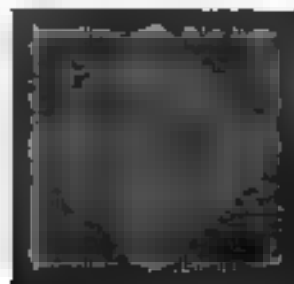
ولا يحسن أن يقول عن الناس سوءً في المحصر أو المعيب

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ٢٠]



ولا حفاء بصفات الكمال في القرآن الكريم ، ولكن الإسلام في مجموعه بنية حبة مسقة تصدر في العقائد والأخلاق من يسوع واحد فمن عرف عقيدة المسلم عرف أن الخلق الذي يحمده لإسلام هو الذي يرى فيه إسان يؤمن بأن الله رب العدين ، وأن النبوة بعيم لا سجين ، وأن الإنسان مخلوق مكلف على صورة الله ، وأن الشيطان بعوى الضعيف ولا يستولى عليه إلا إدا ولأه رمامه بيديه ، وأن العالم عا رحب أسرة واحدة من خلق الله أكرمها عند الله أنقأها الله

خاتمة



نحتتم بهذه الكلمة فصلاً كتبها عن حقائق الإسلام وأباطيل خصومه في العصر الحاضر . ونحن نعلم أن هذه القوى الروحية الخالدة في مفترق طريق وعرة تقف لديها لتثبت وجودها في مستقبلها بعد أن أثبتت وجودها في ماضيها

ولقد وقف الإسلام مرات في مثل هذا المفترق أمام خصومه منذ قيام الدعوة محمدية ، وصمد الحملات عيفة كهذه الحملات التي يشنها عليه خصومه في العصر الحاضر ، وبكثرتها على أكثرها كانت من قبيل الحملات المادية ، أو الحربية ، التي شنتها مافسوه من أرباب الدولة والسطار ، وقل أن وقف الإسلام طويلاً أمام قوة يحفل بها لأنها تنصدي له من الوجهة الروحية . إذ كانت القوى الروحية التي تنصب له فيما مضى تنظر إلى ماضيها فتلمس فيه العرق بينها وبينه ولا تأمن عاقبة خولة في هذا المجال ، وهي سحرنة من عدة الدولة والسلطان ، وكانت من جاسها متعولة بخصوماتها وممارعاتها بين محلها ومذاهبها ، تنجرد للحملة عليه إلا أن تتأهب للعبة عيه بقوة السلاح ؟

أما حملات العصر الحديث فأعزبها فيما يرى حملات الدولة والسلطان ، وهي الحملات التي شنها عليه الاستعمار ثم طهر منها بعد حين أنها لم تعتل فيه قوة المقاومة ولم سمعه أن يصمد لها في ميدان الأس والحبلة فكاد صمود الإسلام لمحج الاستعمار آية من آيات القوة الروحية التي ساعد المعتصمين بها حين تخليهم قوة السلاح وقوة السياسة وقوة العلم وقوة لئال ولو لم يكن في هذه العقيدة الخالدة سر أعظم جداً من أسرار العقائد الشائعة ما اعتصم المسلمون منها بمعصم نافع أمام هذه القوى المتصارفة عيها مجتمعات .

ولما بدد أن يقرب - على ثقة - من القصيدة الروحية بين الإسلام والاستعمار

قصبة بعت حبها المأمول أو كاتب أن تلمعه ، فهي قصبة مفروع منها في هذا الفن العسرين

ولما سمع الساعة أن يقول على ثقة أن حملات الخصوم الذين يهاجمون لإسلام صائفة إلى هذا المصير ، لا أننا ننظر إلى قوى معروفة من الجاسين ، وترى أن فرصة الإسلام في هذه الخولة خبيقة أن تمت في الصدور أملاً أكبر من الأمل هي مجرد الثبات والصمود وبخاصة حين نذكر أن العدة التي يعتد بها خصوم الإسلام في حملاتهم عليه هي عدة سببية لا يعتمدون فيها على حجتهم وبياناتهم كما يعتمدون فيها على ضعف العمائد عامة في عصر المادية الطوعية على العقول والصمائر . فهم ضعفاء يحدون الحملة على الإسلام لطهم أن الشهاد المادية رلرلته من داخله وفتحت بين أهله ثغرة يمد منها المهاجم وإن ضعف وضعفت معه حجته وبياناته . فإذا انكشفت هذه الرعوة عن زبدتها وعرضت قوى الإسلام وقوى خصومه عرصةً يناسب هذا العصر الحديث فالدى يتقدم هو الإسلام ، والدى يرتد أو يدعن للحقيقة هو الخصم المستعد بالإنصاف



سلقى الإسلام أشد الحملات في العصر الحاضر من منكبه لأهم يحترفون التشير بدين آخر ، أو من منكبه لأهم يكرون جميع الأديان وكلا الخصمين لا يستطيع أن يبال من الإسلام إذا ورد عمران واحد واحد بمعد واحد فيما يؤيده من دعوه وفيما سكره من دعوى الإسلام

لا يستطيع انشر المحترف أن يبال من الإسلام بما يدعيه عليه من التحريف والتشويه للأديان التي سبقتة ، فإن الإسلام في الإله وفي السوة وهي الخير والنشر وهي حقوق الإنسان أرفع وأصلح مما جاءت به الأديان التي سبقتة إذا ورت كلها بميران واحد يأخذها بما بأحد هناك . وليس في عقائد الإسلام ما معتبره انصف كسة إلى الورا أو يعتبره تطوراً في عقيدة ترقى مع الزمن حسبما يعرض لها من الظروف والملاسات . فإن من هذه العقائد - كالعقيدة في

رب العالمين - ما ينفص عقائد الشرك وعقائد العصبية والاستثثار ، ويصدر من بيثة منحوة بمحار العصيات والسلالات ، وإله من تعسف القول أن يقال إنها هي السئة التي يتطور فيها الإيمان بإله القسبة ليصبح إلهاً واحداً يؤسى بين المعوب والقائل ، يحاسبها بأعمالها ولا بحاسنها بأبائها وأساسها ، أو بما سيف من خطايا الآباء والأسلاف

ومن يسكر السوة على صاحب الدعوة بعله من العلل الماحية التي ينمحوها فهو مرعم على إنكار نوات كثيرة يتقبلها ولا يشك في مصدرها السموى ومعاديرها المقبولة عند الله .

والمؤسود بالعهد القديم يؤمنون بما جاء فيه من دواء عميه السلام ، ويؤمنون برصوان الله عنه واحتصاصه بالشره الإلهية من دريته ، ويقرأون ما جاء فى الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثانى عن قصة داود مع القائد «أوروى» وروحته التي سى بها بعد تعريضه للقتل وهو فى خدمته يهجر داره ويحرف بحابه لمحاربة أعدائه

يقول : وفى القصة كما جاءت فى لأصحاح الخامس عشر من كتاب صموئيل الثانى

« فان داود لأوريا أقم هـ اليوم أبصاً وعداً أضفت فأقام أوروى فى أورشلهم ثلث اليوم وغاه ، ودعاه داود فكن أمامه وشرب وأسكرو ، وخرج عبد «سواء» سبطجع فى مصجعه مع عبد سبده وإلى سنة لم سزل . وهى الصلاح كتب داود مكتوباً إلى يؤاب وأرسله بيد أوروى وكتب فى المكتوب يقول : احضروا أوروى فى وحه الحرب الشديده وارجعوا من ورتة فصرى ويؤوب . وكتب فى محاصرة يؤاب المدينة أنه جعل أوروى فى الموضع الذى علم أن رحىل السأس فيه . فلما سمعت مرأة أوروى أنه قد مات رحنها بدين بعلب . ولم مصت امباحة أرسل داود وصممها إلى بيته وصارت له امرأه وولدت له أباء . وأما الأمر الذى فعله داود فمصح فى عيسى الرب . . .

فمن كانت هذه القصة في عقيدته لا تعض من النسوة ولا تدعو إلى إنكارها
فليس له أن ينكر نبوة رسول الإسلام لما يتعلق به من أحاديث رواجه وبو صبح منها
كل ما يدعيه وهو غير صحيح ، وليس له - وهو يزن البوات بميزان واحد - أن
يشكر النبوة على صاحب رسالة ترتقى بالعصيدة الإلهية وبالرسالة النبوية ذلك
المرتقى الذي لا يحفى على بصير يفتح عينيه ولا يغمضهما بيده

أما الذين يحملون على الإسلام من غير المسلمين فهم جماعة الماديين الذين
يسكرون الإسلام لأنهم يسكرون جميع الأدب ، ويرفضون وجود الله فيرفضون الإيمان
بصور شيء من الأشياء من عند الله .

وأفة هؤلاء الماديين صيق الأفق العقلي أو صيق حظيرة النفس في حلتى
التصديق والإنكار .

فهم يسكرون الرسالة النبوية لأنهم لا يقدرون على تصورها في غير الصورة التي
يرفضونها ، ولعلمهم يندبهم أن يتصوروها على هذه الصورة لأنها تمشي في
طائعهم مع شهوة الإنكار التي تتسلط على عقول المسحاء ، ولا سيما المسحاء من
أدعياء العلم والتفكير .

ولا يراد من هؤلاء أن يسدو العقل ليدركوا حتى حق الإسلام . ولكن يراد منهم
أن يوسعوا أفق العقل فيعلموا من ثم أن العقل لا يمنحهم أن يدركوا حق الإسلام
بل يمنحهم أن يضلوا عقلاً أبه وحى من عند الله

فمن حقائق العقل والعلم أن الشكوك لا تبطل قرصاً من القروص ، لا إذا كانت
قاصعة في بطلانها ، ولا يحوز فيها لأحد بأحد الرايين المختفين . فما هي شكوكهم
التي يوردونها على الإسلام فتضع أن يكون ديناً صالحاً أو تجمع أن يكون ديناً من عند
الله .

لا يجوز أن يسكروه لما فيه من التعبير الرمزية ، لأن التعبير الرمزية متمثلة
في كل حاسة من حواس الأحياء ، متمثلة في شعوره الوجداني وشعوره الذي
يعون فيه على البصر أو على الخيال

ولا يجوز لهم ينكروه لأن الجهلاء يفهمونه كما يفهم الجهلاء كل شيء . فكل حقيقة كسرت أو صغرت لابد أن يفهمها جهلاء فهمًا يخالف ما يفهمه منها العارفون ودور البصر والدراسة

ولا يجوز لهم أن ينكروه لأن العصر المتعاقبة تدرج في فهمه والتعاضد إلى سره . وهكذا ينبغي أن تدرج العصور في التعاضد إلى سر الدين الذي تدب به أجيال بعد أجيال ، وهكذا يكون الخطاب في الأديان لأنها لا تدب النفوس إذ توجه بها الخطاب اليوم ليلقى بعد يوم من الأيام .

فإذا وجد الدين الصالح فليس يكون في وسع العقل أن ينصوره في غير هذه الصورة من التعبيرات الرمزية ومن اختلاف العماء والجهلاء في فهمه ومن تفاوت الاستعداد له على حسب الاستعداد بين الأجيال والأمم وإليه لعقل يدع ذلك العقل الذي ينكر الشيء ثم لا يستطيع أن يتصوره حقًا إلا على الصورة التي أنكرها!

ونحن لم نكتب فصول هذا الكتاب لسخر بالإسلام هؤلاء الماديين المسعطين إلى إنكار كل معنى شريف من معاني الحياة البشرية ، ولكننا كتبناه لعلمانيين المصنف الذي يستطيع أن ينظر إلى دينه وإلى هذا الدين نظرة وحدة ، وكتباؤه أولاً وآخرًا للمسلم الذي يتلقى حملات خصوم الإسلام من انتدسين وغير المتدسين ، ويعلم أنه خلق أن يطعن إلى حقائق دينه في هذا العصر سواء نظر إليها بعين العقل أو بعين الإيمان ، وأنه خلق أن يواجه العدو بما يؤمن به من عقائد دينه ومعاملاته وحقوقه وأدبه وأخلاقه فلا يعوقه عائق منها أن يجاري الزمن في المستقبل إلى أبعد محراه .

وإذ هي المسلم بأمانة الشكر وعرفان الجميل فلا يسى أنه مدين لهذا الدين الخفيف بوجوده الروحي ووجوده المادي في حاضره الذي وصل إليه بعد عهود شتى من عهود المحنة والبلاء . ولولا قوة الملة يعتصم بها المسلم من هذه العروة الوثقى لنضاع بوجوده الروحي ووجوده المادي في عمار يحويه ولا يبقى له على معالم بقاء

ومن حق هذا الدين عليه أن يسلمه إلى الأعقاب قوة يعتصم بها العالم في مستقبله بين زعازع المحن التي ابتليت بها الإنسانية في هذا الزمن العصيب . . لعله من نصيب هذا الميراث في غده القريب أن يكون مصداقاً لنبوءة الإسلام بحكمته جل وعلا في خلق عباده شعوباً وقبائل متفرقين ، ولعل هذا الدين القويم الذي دعا أول دعوة إلى رب العالمين أن يكون دين الشعوب والأمم متعارفين متسلمين . ولا تكونن أمانة الدين يومئذ سياسة حسنة نخدم بها نحن المسلمين حاضرينا ومصيرنا ، بل هو الإيمان بإرادة الله كما تتجلى لخلقهِ يؤديها كل من عرفها بمقدار ما عرف منها ، وسيذكرها كل من ينجو بها من أمم العالم فيذكر الرسالة الإلهية التي تفتتح باسم الله الرحمن الرحيم وتختتم بحمد الله رب العالمين .

عباس محمود العقاد

الفهرس

الفصل الثالث	تقديم : بقلم أنور السادات
الحقوق	سكرتير عام المؤتمر الإسلامى ٣
١٠٧	فاتحة
١٠٨	شبهة الشر
١١٧	شبهة الخرافة
١٢٢	الفصل الأول
١٤٠	العقائد
١٤٧	١ - العقيدة الإلهية
١٥٨	٢ - النبوة
١٦٦	٣ - الإنسان
١٨٦	٤ - الشيطان
الفصل الرابع	٥ - العبادات
الأخلاق والآداب	الفصل الثانى
١٩٩	المعاملات
خاتمة	٨٥
٢١٥	

مؤلفات عماد الأحب العرب

الكاتب الكبير

عباس محمود العقاد

- | | | |
|---|--------------------------------------|---|
| ١ - الله . | ٢٧ - سيرة . | ٥٣ - بوحيات (الجزء الأول) . |
| ٢ - إبراهيم أبو الأنبياء . | ٢٨ - الإسلام صورة مصرية . | ٥٤ - بوحيات (الجزء الثاني) . |
| ٣ - مطلع النور أو ضلوع البعث الحميدة . | ٢٩ - الإسلام في القرن العشرين . | ٥٥ - عالم السدود والحفود . |
| ٤ - عبقريه محمد ﷺ . | ٣٠ - ما يقال من الإسلام . | ٥٦ - سبع حقائق تاريخية للعرب . |
| ٥ - عبقريه عمر . | ٣١ - حقائق الإسلام وأبطال خصومه . | ٥٧ - موالف وإضاياء في الأدب والشريعة . |
| ٦ - عبقريه الإمام علي بن أبي طالب . | ٣٢ - لشكر طريقة إسلامية . | ٥٨ - تفاعلات في اللغز الأدبي والاجتماعي . |
| ٧ - عبقريه خالد . | ٣٣ - الفلسفة القرآنية . | ٥٩ - آراء في الأدب والفنون . |
| ٨ - حياة المسيح . | ٣٤ - الديمقراطية في الإسلام . | ٦٠ - بحث في لغة والأدب . |
| ٩ - أبو الفريدين حسان بن ثابت . | ٣٥ - أثر العرب في الحضارة الأوربية . | ٦١ - حوار في الفن والفلسفة . |
| ١٠ - صبر بن العاصي . | ٣٦ - ثقافة كبرى . | ٦٢ - فن وفن الفلسفة . |
| ١١ - معاوية بن أبي سفيان . | ٣٧ - اللغة الشعرية . | ٦٣ - فنون وشعير . |
| ١٢ - داعي السعد دلال من رباح . | ٣٨ - شعراء مصر وبيئاتهم . | ٦٤ - قيم ومعايير . |
| ١٣ - أثر الشهداء أشعري بن علي . | ٣٩ - أشتات سماعات في اللغة والأدب . | ٦٥ - المناهج في الأدب والنقد . |
| ١٤ - ظاهرة الزهرة والفاخريون . | ٤٠ - حياة قلم . | ٦٦ - حياة القلم . |
| ١٥ - هدهد الشجرة . | ٤١ - خلاصة الربية والفلسفة . | ٦٧ - رجوع وعشوة . |
| ١٦ - الخبيث . | ٤٢ - مقعب خري المعادن . | ٦٨ - ديوان يقطر العجاج . |
| ١٧ - بحثا اقتصادك الضمك . | ٤٣ - لاشيوعية ولا استعمار . | ٦٩ - ديوان وهج للشعر . |
| ١٨ - أبو خراس . | ٤٤ - الشوعية والإنسانية . | ٧٠ - ديوان لشيخ الأصيل . |
| ١٩ - الإسلام في القرآن . | ٤٥ - الصهيونية العرقية . | ٧١ - ديوان وحى الأربعين . |
| ٢٠ - دلالة في القرآن . | ٤٦ - أسرى . | ٧٢ - ديوان حديد الكروني . |
| ٢١ - حشر الإصلاح وتنظيم الإمام محمدية . | ٤٧ - آراء . | ٧٣ - ديوان غير سبيل . |
| ٢٢ - سعد زعزلون وحيد الثورة . | ٤٨ - عبقريه العتيق . | ٧٤ - ديوان عناصر مغرب . |
| ٢٣ - روح عظيم المهام عيسى . | ٤٩ - قشعريرة بيت العتيق . | ٧٥ - ديوان بعد الأعاصير . |
| ٢٤ - حيدر حسن النكر الكس . | ٥٠ - الإسلام والحضارة الإنسانية . | ٧٦ - ديوان عرائس وشياطين . |
| ٢٥ - رجعة أبي العلاء . | ٥١ - مجمع الأنبياء . | ٧٧ - ديوان أشجان الليل . |
| ٢٦ - رسال عرقهم . | ٥٢ - الحكم للطق . | ٧٨ - ديوان من خواصين . |
| | | ٧٩ - حوار في النيران . |
| | | ٨٠ - ثبوت الشعوبية . |
| | | ٨١ - القرن العشرين ما كان وما سيكون . |
| | | ٨٢ - المنارة والأبواب . |

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)

وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

